

# التاريخ الأندلسي

## مواقف وعبر

الأستاذ المساعد الدكتور

رياض أحمد عبيد العاني

الجامعة العراقية / كلية الآداب



www.dardjlah.com









التاريخ الأندلسي  
مواقف وعبر



# التاريخ الأندلسي مواقف وعبر

الأستاذ المساعد الدكتور  
رياض أحمد عبيد العاني

الطبعة الأولى

2015



رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2014/12/5681)

956.06

العاني، رياض أحمد

التاريخ الأندلسي مواقف وعبر / . رياض أحمد العاني - عمان: دار دجلة  
للنشر والتوزيع، 2014.

(ص)

ر.أ: (2014/12/5681)

الواصفات: / التاريخ الإسلامي // الأندلسي /

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.

2015

دار دجلة  
ناشرون وموزعون



المملكة الأردنية الهاشمية

عمان - شارع الملك حسين - مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس: 0096264647550

خلوي: 00962795265767

ص.ب: 712773 عمان 11171 - الأردن

E-mail: dardjlah@yahoo.com

www.dardjlah.com

ISBN: 9957-71-471-0

الآراء الموجودة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الجهة الناشرة

جميع الحقوق محفوظة للناشر. لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب. أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق  
استعادة المعلومات. أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من الناشر.

All rights Reserved No Part of this book may be reproduced. Stored in aretrieval  
system. Or transmitted in any form or by any means without prior written  
permission of the publisher.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾

صَلَّى  
عَلَيْهِ  
وَالْحَمْدُ

"سورة يوسف: من الآية 76"





## الاهداء

❁ الى الرحمة المهداة، نبينا وحبينا محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين.

❁ الى الوالدين رحمهم الله وفاءً وعرفاناً بالفضل العظيم.





# المحتويات

مقدمة ..... 11

## الأحوال العامة في المملكة غرناطة

أولاً: التسمية والموقع ..... 15

ثانياً: نشأة المملكة ..... 18

ثالثاً: التنظيم الإداري لمملكة غرناطة ..... 23

رابعاً: الحياة الاجتماعية لمملكة غرناطة ..... 25

خامساً: الحياة الثقافية والعلمية في مملكة غرناطة ..... 34

سادساً: الحياة السياسية في مملكة غرناطة الداخلية والخارجية ..... 38

## لمحات من التعايش السلمي في الأندلس

المقدمة ..... 63

تمهيد ..... 64

وقف تاريخية ..... 66

التعايش السلمي الاجتماعي ..... 69

حرية العقيدة ..... 76

الخاتمة ..... 87

المصادر والمراجع ..... 89

## العمران الأندلسي

الهوامش ..... 112

### بغداد وأثرها على الأندلس من الناحية الفكرية

مقدمة ..... 127

أولاً: تأثير المشرق العربي ..... 129

ثانياً: أثر بغداد في الحياة الفكرية ..... 139

ثالثاً: أعلام أندلسية في بغداد ..... 142

الخاتمة ..... 152

المصادر والمراجع ..... 154

### هجومات النورمانيين على الأندلس

1. النورمان أصلهم وتسميتهم ..... 161

2. غزو النورمان الأول ..... 162

3. غزو النورمان الثاني ..... 173

4. غزو النورمان الثالث ..... 178

5. هجوم النورمان الرابع ..... 181

6. هجوم النورمان الخامس ..... 182

7. هجوم النورمان السادس ..... 184

8. هجوم النورمان في عهد دول الطوائف ..... 186

الخلاصة ..... 191

الهوامش ..... 192



## المقدمة

بعد أن استقرت الفتوحات العربية الإسلامية في شمال إفريقيا في نهاية القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي)، وعبر العرب المسلمون إلى شبه الجزيرة الأيبيرية سنة 92هـ/711م، فاتحين على عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م)، ونجحوا في القضاء على دولة القوط الغربيين وكانوا طوال عهدهم يعملون على تثبيت السيادة العربية الإسلامية في هذه البلاد الجديدة، وحاولوا الانتقال بالفتح خلف جبال البرت غير أنهم لم يفلحوا بتحقيق كل تطلعاتهم في ضم بلاد غالة إلى جناح الدولة العربية الإسلامية، الى ان انتهت الاندلس بعد المنحسر وجودهم في مملكة غرناطة (635-897هـ/1237-1492م)، وانتهت بذلك دولة الاسلام في الاندلس.

أن الأندلس قد تركت أثراً في الغرب في القرون الوسطى، وذلك لأهميتها كمعبر للاتصال الفكري وانتقال التراث الحضاري العربي الإسلامي. وتركت آثارها حيث تلاحظ الآثار العربية في إشبيلية وقرطبة وغرناطة. فلا عن ذلك التلاقح للحضارات اللاتينية والعربية جنباً إلى جنب في جو يسوده التعايش والسلم والتسامح، وانه معبر عن النهضة الفكرية والعلمية عند الحكام فضلاً عن دور العلماء في الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية.

فوجدنا أن الاندلس ميدان خصب للدراسات العلمية لم تتصد لدراسة جوانب منه إلا بحوث علمية قليلة فهو بحاجة إلى مزيد من الدراسات العلمية والأكاديمية. لقد أثار اهتمامنا دراسة التاريخ الاندلسي كثيراً وذلك لأنها تلقي

الضوء على أبعاد وأعماق هذا الاحتكاك بين الشرق الإسلامي والغرب، فضلاً عن هذا التمازج الحضاري بين الديانات السماوية الثلاث ليعبر عن حضارة الاندلس (أسبانيا المسلمة) بجميع مميزاتها وخصوصيتها والذي طبعها بهذا الطابع الشرقي الذي لا تستطيع ان تنفك منه بسهولة حتى الوقت الحاضر، وكما جاء على لسان (الدكتور بدرو مونتايث) الأستاذ بجامعة مدريد في مؤتمر مدريد الأول عام 1976 حيث قال: "أسبانيا ما كان لها ان تدخل التاريخ الحضاري لولا القرون الثمانية التي عاشتها في ظلّ الإسلام وحضارته وكانت بذلك باعثة النور والثقافة إلى الأقطار الأوربية المجاورة المتخبطة آنذاك في ظلمات الجهل والامية والتخلف". ويعد كتابا لمجموعة دراسات حيث غرناطة واحوالها العامة، كما تناولنا بحثا عن التعايش السلمي في الاندلس، وكذلك تضمن الكتاب بحثا عن الاثار الكبرى الباقية في الاندلس حيث مسجد قرطبة، ومأذنة اشيلية، وقصر الحمراء في غرناطة، ثم اتجهنا الى الجانب الفكري حيث اثار بغداد على الاندلس، فضلا عن تناولنا في دراسة مستقبلية عن خطر خارجي متمثلا بالنورمان على الاندلس.

وأسأل الله تعالى، ان يثبت اقدامنا على الايمان، ويهدينا سواء السبيل، ويلهمنا الهداية والرشاد، ويتقبل اعمالنا بقبول حسن، ومنه التوفيق والسداد.



# **الأحوال العامة في مملكة غرناطة (635-897هـ/1237-1492م)**





# الأحوال العامة في مملكة غرناطة

(635-897هـ/1237-1492م)

تتناول هذا الدراسة موضوعاً من الموضوعات التي لم تحظ بعناية الباحثين لأسباب متعددة لعل أكثرها أهمية قلة المصادر المتاحة أمام الباحث في هذا المجال ولا سيما فيما يتعلق بمرحلة القرن (التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي)، أن غرناطة هذا الفردوس المفقود كان قطراً فريداً في دولة الاسلام، أهله مزيج من عناصر اوربية واخرى شرقية، وحضارته ثمرة تمازج فكري بين الشرق والغرب على نحو قلما نجد له مثيلاً في كل بلاد الاسلام ولهذا تاريخه عميق تنفرد بخصائص ومميزات فريدة. وغرناطة بلاداً على جانب كبير من الأهمية وولاية عظيمة من الولايات الاسلامية. وقد اتسمت بسمات العظمة والجلال باستنباط المعارف والعلوم وبثها في اقطار المعمورة وأنحاء العالم ونشروا لواء الحضارة على الربوع الاوربية التي كانت ترزح تحت ظلمات الجهل والانحلال والظلم والاستبداد فانتقلت بالقارة الاوربية من براثن الانحطاط الى أوج الرقي والازدهار.

## أولاً: التسمية والموقع

### 1. تسمية غرناطة

اختلفت المصادر في تحديد تسمية غرناطة، وافضل ما ورد في المصادر العربية وما أكدّه المختصون والمحدثون. وما قاله الجغرافيون العرب: أن غرناطة، أغرناطة بفتح أوله وسكون ثانية بمعنى رمانة بلغة الأندلسيين<sup>(1)</sup> ولذلك يشار إليها في المصادر العربية المبكرة بـ حصن الرمان<sup>(2)</sup> وسميت لحسنها<sup>(3)</sup>.



ويرى زيبولد مثل هذا الرأي حيث يقول أن اسم غرناطة يرجع إلى عهد الرومان وأنه مشتق من الكلمة الرومانية (cranata) ومعناها الرمانة، وقد سميت بذلك لكثرة بساتين الرمان التي تشتهر بها<sup>(4)</sup>.

ونقل محقق كتاب الاحاطة في أخبار غرناطة، رأياً للمستشرق الأسباني سيمونث، يقول فيه، أن الاسم يرجع إلى عهد القوط وأنه مزيج من كلمتين (ناطه) و(غار) الاولى اسم لقرية قديمه كانت تقع على مقربه من مدينة البيرة، والثانية وهي التي أضافها المسلمون، فصارت غرناطة، أو أن البربر هم الذين أطلقوا عليها هذه التسمية عند نزولهم بها، وهو اسم لإحدى قبائلهم<sup>(5)</sup>.

لكن هذا الرأي ضعيف لان أسم غرناطة كان موجودا قبل الفتح العربي الإسلامي للأندلس، وهي قرية صغيرة تابعه لمدينة البيرة، فقد أشارت بعض الكتب العربية أن العرب الفاتحون للأندلس، إن البيرة كانت هي المدينة الرئيسية قبل غرناطة، ثم أصبحت غرناطة منذ القرن الخامس الهجري، قاعدة الولاية، ثم غدت عاصمة للمملكة التي سميت باسمها<sup>(6)</sup>، وقيل أنها تشبه الرمانة المشقوقة لموقعها وأقسامها على التلين، فتبدو منازلها الكثيفة وسط هذا المشهد كالرمانة المشقوقة<sup>(7)</sup>.

## 2. الموقع والحدود

تقع مملكة غرناطة في الجزء الجنوبي الشرقي من الأندلس<sup>(8)</sup> منحدره وراء نهر الوادي الكبير حتى ساحل البحر المتوسط<sup>(9)</sup>.

وحدودها الجنوبية، تبدأ من جزيرة طريف غرباً، حتى المرية شرقاً، ويمجدها من الشرق مدينة لورقة في ولاية مرسية ويمجدها من الشمال مدينة جيان ومن

الشمال الشرقي مدينة لورقة ومن الشمال الغربي مدينة قرطبة، ويجدها من الغرب مدينة اشبيلية ومدينة مورور وارض الفرنتيرة وولاية قادش<sup>(10)</sup>.

إن هذا الموقع المتميز لمدينة غرناطة منحها مزايا كثيرة تفضلت بها على غيرها من المدن حتى وصفها ابن الخطيب الغرناطي بأنها: "سنام الأندلس وقاعدة الدنيا، وقراره العليا، وحاضرة السلطان، وقبة العدل والإحسان، لا يقابلها في داخلها ولا خارجها بلد من البلدان، ولا يضاهيها في اتساع عمارتها، وطيب قراراتها، وطن من الأوطان، ولا يأتي على حصر أوصاف جمالها وعد أصناف جلالها قلم البيان"<sup>(11)</sup>، أما ابن بطوطة فقد وصفها "قاعدة بلاد الأندلس وعروس مدنها، وخارجها لا نير له في بلاد الدنيا"<sup>(12)</sup>.

أما موقعها بالنسبة للأقاليم فقد عدها ابن سعيد- صاحب كتاب المغرب في حلى المغرب- من الأقليم الرابع ذي المناخ المعتدل<sup>(13)</sup>، بينما عدها ابن الخطيب الغرناطي من الإقليم الخامس فقال "وهذه المدينة من معمور الإقليم الخامس"<sup>(14)</sup>.

تتكون غرناطة من ثلاث ولايات، ولاية المرية في الشرق، وولاية غرناطة في الوسط وفيها العاصمة غرناطة، وولاية مالقة في الجنوب والغرب<sup>(15)</sup>.

وكانت هذه المملكة تضم مدناً وقرى كثيرة لعل أهمها: المرية ومالقة ووادي أش وبسطة والمنكب وشلبونية ولوشة وبرشانة وبرجا واندرش وبلش ورندا فضلاً عن منطقة جبل طارق والجزيرة الخضراء وطريف<sup>(16)</sup>، وكانت غرناطة تبعد عن قرطبة مسافة خمسة أيام<sup>(17)</sup>.

ولشبهها بدمشق الشام لقبت بدمشق الأندلس<sup>(18)</sup>، ذلك بأنها كانت مليئة بالخضر والفواكه الطيبة والثمر، وقد كثرت فيها البساتين والكروم والجنان حتى

بلغ عدد هذه الأخيرة المائة في القرن الثامن الهجري (القرن الرابع عشر الميلادي)، وفقاً لما ذكره ابن الخطيب<sup>(19)</sup>، ولعل أشهر هذه الجنان: جنة العريف، وجنة ابن عمران، ومدرج نجد ومدرج السبيكة.

وغرناطة المدينة التي كانت تضم في قسمها الشرقي متنزه السبيكة، وقصر الحمراء، وعدة أرباض يسكنها وجهاء القوم. كانت تضم في قسمها الغربي القصبة وربض البيازين<sup>(20)</sup>، وهو أكبر أحياء غرناطة وأوفرها عمراناً كان يشتمل على أكثر الأسواق التجارية، وفيها يقوم الجامع الأعظم<sup>(21)</sup>، وهو من أبداع الجوامع وأحسنها منظراً، أحكم بناءه، وقام سقفه على أعمدة حسان وجري داخله الماء<sup>(22)</sup>، وكان لغرناطة ثلاثة عشر باباً منها باب البيرة، وهو أفخمها، وباب الرملة، وباب الفخارين... وكانت مساجدها لا تحصى<sup>(23)</sup>.

## ثانياً. نشأة المملكة

### 1. أصل بني نصر

تقتضي المنهجية العلمية ونحن نتحدث عن نشأة مملكة غرناطة أن نشير ولو ببند مختصرة عن أصل بني الأحمر مؤسسوا المملكة.

فقد أجمعت المصادر التاريخية على أصالة وعراقة نسب بني نصر (بني الأحمر) وأشارت إلى أنهم ينحدرون إلى نصر بن قيس من أحفاد سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري، أحد كبار صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسيد قبيلة الخزرج الأنصار بالمدينة المنورة، مما يضيف على بني نصر (بني الأحمر) - سلاطين غرناطة - عراقة في النسب والمجد<sup>(24)</sup>.

جاء بنو نصر إلى بلاد الأندلس عقب الفتح الإسلامي لها، معززين لراية الإسلام، راجين رضا الرحمن وقد دخلوا في خدمة البلاد وتقلبوا في وضائفها وبخاصة قيادة الجند<sup>(25)</sup>، واستقروا فيما بعد بمحضر أرجونه أحد حصون قرطبة<sup>(26)</sup>.

## 2. تكوين المملكة

نتيجة لضعف أمر الموحدين في الأندلس وكثرة الفتن الداخلية فقد زادت الأطماع الداخلية والخارجية في السيطرة عليها واقتسام أجزائها<sup>(27)</sup> وهذا مما أدى إلى ازدياد الخوف من العدو الأسباني حيث عدت موقعة العقاب\*، أول وهن حل بالموحدين، حيث لم تقم لهم بعد ذلك قائمة<sup>(28)</sup>، وأمام هذا الضعف الذي أصاب الموحدين أخذ العدو يحتاج القواعد الأندلسية الواحدة تلو الأخرى<sup>(29)</sup>.

فاهتزت المشاعر الوطنية والدينية لدى بعض قادة الأندلس ووجهائها، وانبروا لمواجهة الأسبان والوقوف في وجههم وإنقاذ ما تبقى من بلادهم من خطر الاحتلال الأجنبي. فظهر ابن هود\*\*، وأبن الأحمر\*\*\* مطلع القرن السابع الهجري، وعمل كل منهما لإنقاذ البلاد. ولكن الظروف الداخلية خدمت ابن الأحمر أكثر مما خدمت ابن هود وهذا ما أفاد الأول في تأسيس مملكة عرفت باسم مملكة غرناطة أو مملكة بني الأحمر أو مملكة بني نصر<sup>(30)</sup>، وإزاء هذا الوضع المضطرب، لابد أن تظهر محاولات من أجل الحفاظ على ما تبقى من الأرض، وإيقاف زحف العدو.

وجاءت أول محاولة لهذا الغرض من أبي عبدالله محمد بن يوسف بن هود الجذامي<sup>(31)</sup>، وكانت بداية ظهوره في التاسع من شهر رجب سنة 625هـ/ 1228م، في نفر يسير من جنوده في العميرات<sup>(32)</sup>، فكثر اتباعه، وألّف حوله



الناس بسرعة<sup>(33)</sup>، ثم تمكن بعد قليل من السيطرة على مرسية، وأعلن نفسه أميراً عليها، وتلقب بالمتوكل على الله<sup>(34)</sup>.

ولم تمض على ذلك فترة طويلة حتى تمكن ابن هود من ان يفرض سيطرته على معظم بقاع الأندلس حيث تملك أشبيلية 629هـ / 1231م<sup>(35)</sup>، وقرطبة 631هـ / 1231م<sup>(36)</sup>، والمرية وغرناطة، ومالقة، 635 هـ / 1238م<sup>(37)</sup>.

وكان ابن هود رجلاً شجاعاً كريماً، إلا انه كان قليل المبالاة، متسرعاً تغلب عليه الخفة، وكثيراً ما كان يدخل المعارك قبل ان يكمل استعداداه<sup>(38)</sup>، ونتيجة لذلك هزم في العديد منها، وأهمها هزيمته سنة 627هـ / 1230م أمام فرديناند الثالث ملك قشتالة، في ظاهر ماردة، كان نتیجتها سقوط ماردة<sup>(39)</sup>.

لكن ابن هود لم يكن وحده منفرداً برئاسة الأندلس، فبينما كان يثبت أقدامه شرق الأندلس وجنوبها<sup>(40)</sup>، ظهر ابن الأحمر في أرجون من حصون قرطبة<sup>(41)</sup>، وأخذ البيعة لنفسه سنة 629هـ / 1231م، وأطاعته جيان وشريش<sup>(42)</sup>، وتمكن أيضاً من انتزاع أشبيلية وقرطبة من يد ابن هود، لكن سرعان ما تخلتا عنه ورجعتا إلى طاعة ابن هود<sup>(43)</sup>.

وتحالف ابن الأحمر مع ملك قشتالة الذي تمكن بمساعدته من احتلال قرطبة سنة 633هـ / 1235م والتي كانت تحت سيطرة ابن هود<sup>(44)</sup>.

وفي رمضان سنة 635هـ / 1238م، دخل ابن الأحمر غرناطة بدعوة من أهلها<sup>(45)</sup> بعد ان قتلوا عامل ابن هود عليها<sup>(46)</sup>.

أما ابن هود فقد قتل في العام نفسه في مؤامرة دبرها عاملة على المرية محمد بن عبد الله الرميحي<sup>(47)</sup>، عند ذلك قرر ابن الأحمر السيطرة على المرية، وطرده ابن

الرميمي منها، وتحقق له ذلك عندما غادرها متوجهاً شطر تونس لاجئاً عند أميرها أبي زكريا الحفصي<sup>(48)</sup>.

وسيطر ابن الأحمر بعدها على مالقة<sup>(49)</sup>، وهكذا تمكن ابن الأحمر من تأسيس مملكة غرناطة، التي سبق لنا تعيين حدودها.

وفي منتصف العام 635هـ/1238م سيطر السلطان محمد بن نصر على غرناطة ووضع أسس دولته الجديدة من هذه المدينة العريقة، وضرب السكة، ورفع عليها راية بني نصر (بني الأحمر)، وخط عليها شعاره المشهور (لا غالب إلا الله) ولقب بالغالب بالله، وبأمر المسلمين<sup>(50)</sup>، فضلاً عن ما يحمله من ألقاب مشهورة<sup>(51)</sup>، ولأجل إرساء حكمه التزم الأمير محمد بن نصر قاعدة في الحكم أتفق عليها حكماء العرب والعجم وهي: لا حكم إلا بالرجال، ولا رجال إلا بالمال، ولا مال إلا بالعمارة، ولا عمارة إلا بالعدل والسياسة<sup>(52)</sup>.

استمر حكم ابن الأحمر إلى سنة 671هـ/1272م، وعلى عهده سقطت العديد من المدن الأندلسية. فقد تمكن خايمي الأول ملك أراغون من انتزاع بلنسية من يد أبي جميل زيان بن مردنيش سنة 636هـ/1238م<sup>(53)</sup>، وفي سنة 643هـ/1246م عقد ابن الأحمر مع فرناند الثالث ملك قشتالة صلحاً تنازل بموجبه عن مدينة جيان المحاصرة<sup>(54)</sup>، ومن بين شروط الصلح توقف القتال بين الطرفين مدة عشرين سنة، وأن يحتفظ السلطان محمد بن نصر بكل أراضيه وأن يعترف ابن نصر بالولاء والطاعة للملك فرديناند الثالث، ويحكم بلاده باسمه وبظله، وأن يتعهد السلطان محمد بن نصر بدفع جزيه سنوية إلى الملك فرديناند الثالث قدرها مائه وخمسون ألف قطعة ذهبية، وايضاً بمعاونة الملك كلما طلب منه العون لمحاربة أعداء قشتالة سواء من قومه أو من غير قومه<sup>(55)</sup>.

ويبدو أن السبب الذي دفع ابن الأحمر الموافقة على هذه الشروط القاسية، هو فشل محاولاته في فك الحصار عن مدينة جيان، وأنه لا يملك الوسائل الكافية لمواجهة ملك قشتالة، ثم إن سقوط جيان بيده ربما يكون من نتائج الزحف على العاصمة غرناطة مباشرة فوجد إن أفضل سبل الخروج من هذا المأزق هو الدخول مع القشتالين في هذا الصلح<sup>(56)</sup>.

وبعد سقوط جيان بثلاث سنوات هاجم القشتاليون مدينة اشبيلية، وفرضوا عليها الحصار، وقدم لهم ابن الأحمر مساعدة عسكرية حسب الاتفاق فسقطت بيدهم<sup>(57)</sup>.

وبسقوط اشبيلية، أدرك ابن الأحمر إن صلحه مع القشتالين محاط بكثير من المتناقضات. وأن شعور العداء عند القشتالين تجاه كل وجود عربي إسلامي في الأندلس، لن يتيح لهذه المعاهدة الاستمرار. ووفقاً لهذا التصور السليم راح ابن الأحمر يعمل وفق المثل القائل "سلح نفسك من السلام والبس الثياب الواقية حتى في الصيف"<sup>(58)</sup>.

وقد تمكن ابن الأحمر خلال سنوات صلحه مع مملكة قشتالة من توطيد دعائم دولته، وقضائه على الفوضى والفساد، ومباشرة حساب العمال، ومراقبة مداخيل بيت المال، وإملاء المخازن بالحبوب، وخزائن دوره مالاً وسلاحاً<sup>(59)</sup>، وهذه من شأنها حسب تصوره تقوي بناء الدولة، وتعزز صمودها وقت المحن. كما ابتنى قصر الحمراء وجعله مقراً لحكمه<sup>(60)</sup>.

وبينما الملك فرديناند يشن حرباً صليبية على بلاد المغرب العربي، لقي حتفه عام 650هـ/1252م قبل الشروع في طموحه، وخلفه في حكم بلاده الفونسو العاشر (650-681هـ/1252-1282م)<sup>(61)</sup>، واستمر الصلح على

عهده مع بني نصر (بني الأحمر)، وتمكن القشتاليون من الاستيلاء على سائر المدن والحصون الغربية لبلاد الأندلس<sup>(62)</sup>، تمهيداً للسيطرة على الجزيرة الخضراء، وجزيرة طريف، ومضيق جبل طارق، من أجل قطع صلة الوصل بين الأندلس وبلاد المغرب، لذلك أضطر سلطان غرناطة محمد بن نصر إلى التخلي عن صلحه الذي جده مع القشتاليين عام 665هـ<sup>(63)</sup>، والبحث عن وسيلة تنقذ بلاده من خطرهم فوجد في دولة بني مرين الفتية المنقذ الوحيد لبلاده فأرسل إليهم الغوث فأجبهوا إلى طلبه وبدؤوا يرسلون الإمدادات إليه لأنجاده، وقد كان السلطان محمد بن نصر قد ترك وصيته لولي عهده محمد، بأن يجعل بني مرين وقاية لبلاده في النوائب<sup>(64)</sup>.

توفي مؤسس دولة بني نصر محمد ابن الأحمر في جمادى الثانية 671هـ/ 1272م، بعد أن أصيب بجرح بالغ، اثر سقوطه من فوق جواده، فور عودته من إحدى المعارك، التي خاضها ضد بعض الخارجين عن السلطة، الذين حاولوا اقتحام قصر الحمراء لاغتياله، لكنه ردهم على أعقابهم خائبين، وقد كان في عمر يناهز الثمانين، كان قد أعلن البيعة لابنه محمد اكبر اولاده، وبهذا الاجراء اسس لمبدأ الملكية المتوارثة في مملكة غرناطة<sup>(65)</sup> لاسيما وان المملكة قد استقرت لهم منذ عهده، كما قويت دعائمها إلى حد كبير اثناء حكمه.

### ثالثاً: التنظيم الاداري لمملكة غرناطة

اهتم بنو الاحمر بتنظيم مملكتهم في عدة مجالات حيوية مثل الجانب الاداري، والعسكري، والقضائي، من اجل توفير الامن والعدل والاستقرار والقوة للدولة والشعب الغرناطي.

ففي الجانب الاداري نظمت المملكة على اساس الولايات فكانت مكونة



من ثلاث ولايات كبرى يتبع كل ولاية عدد من المدن الصغيرة والحصون والقرى والولايات هي<sup>(66)</sup>:

1. ولاية المرية: وتضم أندرش، ودلاية، وبرجة، وبرشانة، وألبيرة، والمنصورة.

2. ولاية مالقة: ويتبعها مربلة، ورندة، وأنتفرة، وبلش، وقمارش، وجزيرة طريف، وأرشدونة، والجزيرة الخضراء، وجبل الفتح (طارق).

3. ولاية غرناطة: وتضم غرناطة، ووادي أش، والحامة، ولوشة، وأرجيه، وبسطة، وشلوبانية، والمكر، وحصن اللوز.

هذا ماكان عليه امر التقسيم الاداري لانحاء مملكة غرناطة، وماتبها من مناطق اندلسية، ولكن هذا التقسيم لم يبق طوال عهد بني الاحمر بسبب ضياع بعض الحصون والمدن منهم واحتلالها من قبل الاسبان، لذلك كانت تضيق حدود الولايات أحياناً بمقدار ماتفقد من المناطق التابعة لها.

وفي ميدان القوة العسكرية أسسوا جيشاً كانت نواته من اقرباء بني الاحمر، ومجموعة من الجنود العرب المحاربين الذين لجأوا الى مملكة غرناطة بعد احتلال مدنهم وديارهم من قبل الاسبان، وكذلك ضم جيشهم نخبة من الجنود البربر، وبرز دور فاعل لجند البربر في الجيش الغرناطي من خلال مشيخة الغزاة التي كانت تمثل نفوذ بني مرين في مملكة غرطاة، فضلاً عن دورهم العسكري المتميز في الدفاع عن غرناطة وفي الحروب ضد الاسبان<sup>(67)</sup>.

وتمثلت قوة الجيش الغرناطي الضاربة في جانين القوة البرية ومهمتها حماية الحدود الخارجية والاقامة في الثغور والحصون الاندلسية وهي تعد القوة الاساسية الاولى، ولم تصمد مملكة غرناطة هذه الفترة الطويلة، لو لم يكن لها

جيش منظم قوي، والقوة البحرية التي كانت تقيم في شواطئ الاندلس لحمايتها<sup>(68)</sup>.

اما الجانب القضائي فقد كانت له أهميته، وهيبته، وسلطته في حياة المملكة وأفرادها، وتمتع القاضي في ذلك العصر بمكانة عالية، وتعظيم عند الدولة وعند الشعب الاندلسي، لاسيما قاضي الجماعة (قاضي القضاة)، وكان القضاء منظماً وله قواعده، فالتعيين يحصل من قبل السلطان بعد اخذ الرأي فيه من قبل اصحاب المشورة المقربين في جهاز الدولة، وبعد الاختيار يجرى توزيعهم على اقاليم الاندلس لممارسة مهامهم القضائية، بينما كان قاضي الجماعة ينتخب انتخاباً من اوساط القضاة بعد توفر الشروط الاخلاقية وحسن السيرة الاجتماعية ورجاحة العقل والاحترام في الوسط الاجتماعي<sup>(69)</sup>.

#### رابعاً. الحياة الاجتماعية لمملكة غرناطة.

كانت الحياة الاجتماعية في عهد بني نصر، يسودها العدل والأمن، وترفل بالرفاه، وينعدم فيها التمايز الاجتماعي، كما عرف عن مؤسس المملكة انه كان " يعقد للناس مجلساً عاماً يومين في كل أسبوع، فترتفع إليه الظلامات، ويشافه طالب الحاجات"<sup>(70)</sup>، وقد اقتفى سياسة حكيمة أخذت طريقها إلى عدد من سلاطين بني الأحمر حتى غدت غرناطة "حاضرة الصقع، وأم المصير... لحصانة وضعها، وطيب هواها ودور مائها ووفرت مدنها، فأمن فيها الخائف"<sup>(71)</sup>، وكانت من ثمرة هذا المنهج القويم أن تلاحم المجتمع الغرناطي مع سلطته. ومن أهم المقومات الأساسية للحياة في غرناطة:

## 1. المنزل الغرناطي؛

كان المنزل الذي هو أحد المقومات الأساسية للحياة الأسرية في مملكة غرناطة واحد معالمها الحضارية قد نال نصيب وافر من الاهتمام والعناية المبالغة فالبناء واختطاط المنازل كما قال ابن خلدون "إنما هو من منازع الحضارة التي يدعوا إليها الترف"<sup>(72)</sup>.

والمنزل الغرناطي في مملكة غرناطة يصفه ابن الخطيب الغرناطي، بأنه متوسط<sup>(73)</sup>، ولكن المعلومات الاثرية أظهرت ان هذه المنازل كانت صغيرة، ذات غرف ضيقة جداً<sup>(74)</sup>، وغالباً مايكون منظرها الخارجي بسيطاً إلا أنها غنية في داخلها بالزخارف والنقوش<sup>(75)</sup>، كما ان أثاث هذه المنازل كانت بسيطة ومتواضعة<sup>(76)</sup>، ويعتمد السكان في تدفئتها في موسم البرد على إشعال الفحم<sup>(77)</sup>.

وقد اعتنى الغرناطيون بجمال المنزل وتأثيره، فكانت جدران غرف النوم تزين بستائر من حرير وتغطي الأرضيه بالسجاد الفاخر خصوصاً منازل الطبقة العليا، أما منازل العامة فكانت جدرانها عارية والأرض مفروشة بالبسط والحصير<sup>(78)</sup>.

والغذاء الذي يعتمد عليه، اغلب السكان، يلخصه ابن الخطيب بقوله: "وقوتهم الغالب البر الطيب عامة العام، والذرة العربية، وفواكههم اليابسة متعددة، يدخرون العنب سليماً من الفساد، شطر العام، الى غير ذلك من التين والزبيب والتفاح والرمان والقسطل والبلوط والجوز واللوز، الى غير ذلك مما لاينفذ ولاينقطع مدده الا في الفصل الذي يزهد في استعماله"<sup>(79)</sup>.

وبما ان الحديث لايزال عن خصائص المنزل الغرناطي، فلا بد من الإشارة الى المرأة، التي تعد جزءاً مهماً من المجتمع، فالمرأة الغرناطية، تتمتع بدرجة عالية

من الجمال، كما تتميز بخفة الحركات، ونبل الكلام، وحسن المحاورة، كما انها كانت شديدة الاهتمام بمظهرها الخارجي<sup>(80)</sup>.

والمرأة الغرناطية كانت اكثر تحرراً من بقية نساء العالم الاسلامي، حيث هناك العديد من الاشارات، التي تشير الى انها كانت تختلط بالرجال في المناسبات والاحتفالات<sup>(81)</sup>، وربما يكون سبب ذلك تأثير البلاد المسيحية المجاورة لمملكة غرناطة<sup>(82)</sup>.

## 2. سبل العيش

كانت الأندلس في عهد بني الأحمر غنية، خصبه، وافرة الضلال والخيرات فقد تنوعت مصادر الرزق وموارد النعمة عند الأندلسيين، من زراعة وصناعة وتجارة ومهن خاصة<sup>(83)</sup>.

وقد اشتهر الأندلسيون بكونهم مزارعين مهرة او من الدرجة الاولى تفننوا بشتى مجالات الزراعة من تنوع في مزروعاتهم وحفر الاقنيه للمياه، والإكثار من أنواع الزراعة، وخاصة الأشجار، كما ان بعض مدنها اشتهرت بزراعات معينة كالعنب والتين<sup>(84)</sup>.

وامتاز الغرناطيون بحب الصناعة والحرف والفنون واتقان التجارة والمهارة فيها، وتبادل السلع مع جيرانهم في افريقية وغيرها، وعرفوا نظام النقد، وظهرت ملامح النعمة وسعة العيش ووفرة الرزق على ملبسهم ومسكنهم وماكلهم ومشربهم وديارهم، وكانوا يحسنون استغلال ارزاقهم ويقتصدون في تصرفهم بها بشكل يوفر لهم الرفاه ويبعدهم عن الاسراف والتبذير لهذا كانت حياتهم الاقتصادية منظمة ومرفهة<sup>(85)</sup>.



وقد ظهرت ملامح النعمة، وسعة العيش، ووفرة الرزق عليهم، ولهذا كانت حياتهم الاقتصادية منظمة<sup>(86)</sup>، ومع ذلك فقد كانوا أهل احتياط وتدبير في المعاش، وقد كانوا شديدين الحرص على ما يملكون، خوفاً من تعرضهم إلى الحاجة، ولذلك قد يوصفون بالبخل أحياناً<sup>(87)</sup>.

### 3. الملابس

أما فيما يخص الملابس التي كان يرتديها أهل غرناطة فقد تأثرت هي الأخرى بالبيئة والوسط المترف وهذا ما يؤكد ابن الخطيب، حيث يصف لباس أهل مملكة غرناطة، فيقول "ولباسهم الغالب على طبقاتهم الفاشي بينهم، الملف المصبغ شتاء، تتفاضل أجناس البز من بتفاضل الجداث، والمقادير، والكتان، والحرير، والقطن، والمرعزي، والأردية الأفريقية والمقاطع التونسية، والمآزر المشفوعة، صيفاً فتبصرهم في المساجد أيام الجمع، كأنهم الأزهار المنفتحة، في البطاح الكريمة تحت ألأهويه المعتدلة"<sup>(88)</sup>.

وكان سكان غرناطة لديهم ولع بتزيين وتطريز ملابسهم، حتى وصل ذلك إلى رسم أسمائهم، وعلامات تختص بهم في طراز أثوابهم المعدة للباسهم<sup>(89)</sup>، وقد تميز أهل الاندلس بنظافة ملابسهم وفرشهم<sup>(90)</sup>.

### 4. الأعياد.

لقد كان المجتمع الغرناطي يحتفل بعيدي الفطر، والأضحى، كسائر أبناء العالم الإسلامي، ويحتفلون أيضاً بأيام العصير عند جني محصولي العنب والتين<sup>(91)</sup>، فضلاً عن هذه الأعياد كانت هناك العديد من وسائل التسلية والهوايات التي كانوا يمارسونها وتأتي في مقدمتها ألعاب الفروسية، وأهل مملكة غرناطة الخاصة والعامة منهم كانوا مولعون بهذه الرياضة<sup>(92)</sup>.

وربما يكون سبب ذلك كون بلدهم يعيش في حالة حرب دائمة بسبب مجاورته ثلاث ممالك أسبانية، تتحين الفرص للايقاع به<sup>(93)</sup>، وقد كان الغناء أيضاً وسيلة من وسائل التسلية لدى الغرناطيون وقد ابدوا نحوه ميلاً شديداً<sup>(94)</sup>.

## 5. عناصر المجتمع الغرناطي.

تكون المجتمع الأندلسي عبر مراحل زمنية طويلة بدأت منذ الفتح العربي للأندلس وحتى نهاية حكمهم لها، تكون من عدة أقوام تفاعلت وانصهرت واختلطت فيما بينها لتكون مجتمعاً جديداً يحمل في بعض جوانبه مزايا عديدة من أصوله الأولى ومولداً مزايا أخرى بفعل الاختلاط والانصهار في بوتقة المجتمع الأندلسي الجديد، ذلك المجتمع الذي تعددت وتنوعت أصوله القومية والقبلية والدينية والعرقية من عرب وبربر وأسبان وصقالبة ومولدين، وتأخت فيه أديان مختلفة من إسلام، ومسيحية، ويهودية، وهذا التنوع والتداخل للمجتمع الأندلسي ساهم في خلق مجتمع جديد يحمل خصوصية وسمات تميزت عن مجتمعات الأقوام المستوطنة فيه أصلاً<sup>(95)</sup>.

وعرفت الأندلس في عهد بني الأحمر قسطاً من الحرية الاجتماعية والدينية وحدث اختلاط في مناسبات اجتماعية كالحفلات مثلاً<sup>(96)</sup>، وقد تكون المجتمع الغرناطي من عناصر سكانية متعددة وقد قسمنا هذه العناصر على أساس الديانة التي تنتمي إليها، وهذه العناصر هي، المسلمون، النصارى، اليهود.

### أ. المسلمون.

ان الغالبية العظمى من سكان مملكة غرناطة، هم من العرب المسلمين، وقد رعددهم في الفترة الواقعة بين عامي (888-890هـ / 1483-1485م)، بأربعة

ملايين نسمة<sup>(97)</sup>، وكان معظم العرب الذين استقروا في غرناطة من أهل الشام وقد استقر الشاميون بالأندلس على الشكل التالي: جند دمشق وهم أهل كورة البيره وأعمالها من غرناطة وشاط وشبلين وبرمة ودلاية وباعة والقبذاق ولوشة ويحصب، ثم جند حمص وهم أهل كورة اشبيلية ولبله، ثم جند الأردن وهم أهل كورة رية وتوصل بوصولهم أهل كورة قبرة وبيانة وبلاي، ثم جند فلسطين وهم أهل كورة شذونة والجزيرة، ثم جند قنسرين وهم أهل كورة جيان وابذة وبياسة وبسطة<sup>(98)</sup>.

وكان الكثير من سكان غرناطة من أصول عربية فيذكر ابن الخطيب الغرناطي "فنحن الآن نذكر بعض من سير أهله وأخلاقهم... أنسابهم عربية... يكثر فيها القريشي، والفهري، والأموي، والأنصاري، والأوسي، والخزرجي، والقحطاني والحميري... وكفى بهذا شاهداً على الأصالة ودليلاً على العروبة"<sup>(99)</sup>.

ومنذ أول الفتح استقرت أعداد كبيرة من البربر في الأندلس<sup>(100)</sup>، في المناطق التي تشبه في طبيعتها المناطق الأصلية التي وفدوا منها<sup>(101)</sup>، وتزايد عدد هؤلاء بعد قيام الأماة الأموية سنة 138هـ/755م، وخاصة في عصر دولتي المرابطين والموحدين<sup>(102)</sup>.

وفي عصر غرناطة ازداد عدد البربر إذ أصبح عدد المقاتلين من البربر يشكلون جزء من الجيش الغرناطي وفي هذا يقول ابن الخطيب "وجندهم صنفان أندلسي وبربري... والبربري منه يرجع إلى قبائل المرينية، والزنافية، والتجانية، والمغراوية، والعجيسية، والعرب المغربية إلى أقطاب ورؤوس، يرجع أمرهم إلى

رئيس على رؤسائهم، وقطب لعرفائهم، من كبار القبائل المرينية يمت إلى ملك المغرب بنسب"<sup>(103)</sup>، ووجود هؤلاء كان بموجب تفاهم بين سلاطين بني مرين وسلاطين بنو الأحمر<sup>(104)</sup>.

كما ان سقوط عدد من المدن الأندلسية، بيد الأسبان، أدى إلى لجوء أعداد كبيرة من سكانها المسلمين، إلى الأراضي التي ضمتها مملكة غرناطة<sup>(105)</sup>، وتشير المصادر إلى أن جاليات إسلامية، من بلاد إسلامية في المشرق استوطنت أيضاً في مملكة غرناطة<sup>(106)</sup>.

#### ب. النصارى.

وهؤلاء هم سكان البلاد من الأسبان، وقد بقي العديد منهم أثناء الفتح في مناطق سكنهم التي دخلت في حوزة العرب الفاتحين<sup>(107)</sup>، كما استقر عدد من النصارى في مملكة غرناطة لأسباب اقتصادية<sup>(108)</sup>، وكان وجود بعضهم نتيجة الأسر في الحروب، حيث استقروا واتخذوا غرناطة موضعاً دائماً<sup>(109)</sup>.

واعتنق بعض النصارى الإسلام، وتقلدوا وظائف مهمة في الدولة، فقد شكلوا أجزاء مهمة من الحرس الخاص لسلاطين غرناطة، والذي يسميهم ابن الخطيب الغرناطي بالمماليك<sup>(110)</sup>، لقد بلغ بعض الداخلين في الإسلام مناصب عالية في الدولة. فرضوان الحاجب (ت 760 هـ / 1358 م)، تقلد الوزارة على عهد السلطان ابو عبد الله محمد الرابع<sup>(111)</sup>، وقد اتبع كثيراً من النصارى العرب في أساليب حياتهم ولغتهم وثقافتهم حتى عرفوا بالمستعربين تمييزاً لهم عن نصارى المماليك الأسبانية<sup>(112)</sup>.

وكان السلاطين يتزوجون ويتخذون حضايا من النصارى، وقد اكتسب



بعضهن مكانة كبيرة لدى سلاطين غرناطة<sup>(113)</sup>، ولقد كانت غرناطة ملجأً  
لنصارى الفارين من ظلم رجال الدين ورجال السياسة من الممالك الأسبانيين  
أو المدن الأندلسية التي سقطت بأيديهم<sup>(114)</sup>.

#### ج. اليهود.

عاش اليهود في شبه الجزيرة الأيبيرية (أسبانيا والبرتغال) قبل الفتح العربي  
الإسلامي لها بزمان بعيد يرقى إلى العهد الروماني، وكانوا يشكلون جزءاً من  
عناصر السكان في مملكة القوط الغربيين<sup>(115)</sup>، وتركزوا في الحواضر الكبرى  
كطليطلة<sup>(116)</sup>، وألبيرة، وقرطبة<sup>(117)</sup>، وإليسانه<sup>(118)</sup>.

وكان العرب أثناء فتحهم لشبه الجزيرة الأيبيرية، عندما يجدون يهوداً في  
منطقة ما، يضمونهم إلى قصبتها، ويضعون معهم جماعة من المقاتلين للدفاع  
عنها<sup>(119)</sup>، وفي هذا يقول ابن الخطيب أن العرب عندما فتحوا غرناطة ألفوا بها  
يهوداً ضمواهم إلى قصبتها، وصار ذلك سنة متبعة متى وجدوا بمدينة يهوداً  
ضمواهم إلى قصبتها مع طائفة المسلمين يسودونها<sup>(120)</sup>، هذا الموقف الإنساني من  
العرب المسلمين تجاه اليهود، أدى إلى ازدياد عددهم بشكل كبير في غرناطة، حتى  
غدت تعرف باسم - أغرناطة اليهود - لكثرة وجودهم فيها<sup>(121)</sup>.

وفي عصر مملكة غرناطة ظل اليهود يتمتعون بكامل حريتهم بدليل أن  
مملكة غرناطة، أصبحت بالنسبة لهم ملجأً للتخلص من اضطهاد الممالك  
الإسبانية، ففي عام 766هـ / 1364م، لجأت إلى غرناطة ثلاثمائة عائلة يهودية،  
هرباً من اضطهاد القشتاليين، وفي عام 792هـ / 389م، شهدت مناطق قشتالة  
وقونية، وجزر البليار، حملات اضطهاد اليهود فلجأت أعداد منهم إلى مملكة  
غرناطة<sup>(122)</sup>.

ومن اهتمامات السلطان إسماعيل الأول (713-725هـ / 1313-1324م) انه الزم اليهود شارة تميزهم عن غيرهم من رعايا الدول يقول ابن الخطيب الغرناطي "وأخذ يهود الذمة بالتزام سمة تشهرهم وشارة تميزهم، ليوفوا حقهم في المعاملة التي أمر بها الشارع في الطرق والخطاب"<sup>(123)</sup>.

مما تقدم فإن اليهود يشكلون احد عناصر السكان في شبه الجزيرة الايبيرية، وقد لقي اليهود معاملة قاسية وضيق عليهم في العهد الذي سبق دخول الفاتحين للاندلس، فنالوا معاملة جيدة جداً وتسامحاً من قبل المسلمين حتى سقوط الاندلس بيد الممالك الاسبانية.

هذه هي العناصر الرئيسية التي تكون منها المجتمع الغرناطي وبتفاعلها، نتجت شخصية أندلسية- غرناطية-، تتمتع بجوية العقل، وخفة الروح والتسامح مع الآخر.

ويمكن ان نحدد ابرز ملامح المجتمع الغرناطي الذي تميزت ببعض السمات ذات الاثر الاجتماعي والتي تحمل نوعاً من خصوصية المجتمع الغرناطي منها<sup>(124)</sup>:

1. ان الفرد الغرناطي الذي ولد وعاش في احضان الاندلس وبيئتها ومجتمعها اصبح لا يرتبط باصوله القومية التاريخية وبمجتمع اجداده وبوطنه الاول الا بصلات واهية في اغلب الاحيان فقد اندمج وتفاعل في وسطه الاجتماعي الجديد وصقلته البيئة واكتسب مظاهر سلوكية جديدة بفعل الواقع والوسط الذي يعيش فيه.

2. الميل للعمران والتمدن وقبول الاندماج والتأقلم مع الحياة الجديدة.

3. تسامح ديني وميل للحرية الاجتماعية

4. ظهور انماط جديدة في حياة الاندلسيين ولاسيما في نظام الملابس والسكن والقصور والمساجد والاماكن العامة كالحدائق والساحات.
5. رفاه اقتصادي، ظهر في مختلف مسالك حياتهم.
6. قبول بعض مظاهر التطور في نظام حياتهم استقوه من الاسبان وتأثروا به.
7. لا بد من الاشارة كان المظهر الاسلامي هو الغالب على مظاهر حياتهم الاجتماعية وان كانوا يميلون في البعض منها الى عادات الاسبان.

### خامساً: الحياة الثقافية والعلمية في مملكة غرناطة.

كانت الاندلس ثمرة تمازج فكري بين الشرق والغرب على نحو قلما نجد له مثيلاً في كل بلاد الاسلام ولهذا تاريخها عميق تنفرد بخصائص ومميزات فريدة، وغرناطة بلداً على جانب كبير من الأهمية وولاية عظيمة من الولايات الاسلامية، وقد اتسمت بسمات العظمة والجلال باستنباط المعارف والعلوم وبثها في اقطار المعمورة وأنحاء العالم ونشروا لواء الحضارة على الربوع الاوربية التي كانت ترزح تحت ظلمات الجهل والانحلال والظلم والاستبداد فانتقلت بالقارة الاوربية من براثن الانحطاط الى أوج الرقي والازدهار، فكانت ادارة الوحدة الثقافية والحضارية فيها، وهذا مما سهل نشر العلم ومشاركة جميع ابناء الاندلس في تقدمه وتنميته وتطويره<sup>(125)</sup>.

ويعد الدين الاسلامي من اهم عوامل ازدهار الحركة الثقافية والعلمية في غرناطة، واصبحت دراسة القرآن والحديث النبوي الشريف وهما مصدرا الشريعة في الاسلام، أساساً لحركة علمية واسعة وباعثاً لنهضة لغوية كبيرة في

المملكة، فاهتم سلاطين غرناطة بالعلوم الشرعية، وقاموا بتشجيع الحركة العلمية والعمل على نموها وازدهارها<sup>(126)</sup>.

وتشير الروايات التاريخية ان المراكز الفكرية ودور التعليم المهمة منتشرة في مملكة غرناطة، واعظم مدرسة بنيت في غرناطة المدرسة اليوسفية عام 750هـ/ 1349م، بناها السلطان يوسف الاول، كما عرفت بالمدرسة العلمية<sup>(127)</sup>.

وعند دراسة الحياة الثقافية الاسلامية في اية حقبة من حقبة التاريخ ينبغي اولاً دراسة المكان الرئيس لها وهي المساجد باعتبارها اهم مركز ديني وثقافي، والمسجد هو اقدم مؤسسة اسلامية اسسها الرسول الاعظم (صلى الله عليه وسلم) وتابعه الخلفاء والامراء فيما بعد، وانتشرت فيما بعد المساجد في الاندلس وبضمنها غرناطة انتشاراً كبيراً وقد حفظت لنا مصادر التاريخ الاندلسي اسماء عدد كبير جداً من المساجد في الاندلس<sup>(128)</sup>.

ويعد التعليم جزءاً اساساً من الحياة الفكرية والثقافية يرتبط بها ارتباطاً وثيقاً، حيث انه لا يمكن ان يكون الانسان مثقفاً ثقافة تامة قبل ان يكون متعلماً، فالتعليم مرحلة مهمة ومكملة لا يمكن فصلها عنها، فعندما يكون الانسان متعلماً ويعرف القراءة والكتابة يستطيع ان ينهل من كنوز العلم والمعرفة من خلال دراسته على يد الشيوخ والعلماء والاخذ منهم ومن الاطلاع على حضارة امته وما خلفته من علوم ومعارف.

وفي غرناطة كتاتيب، وهي الاماكن التي يتعلم فيها الصغار، والشخص الذي يتولى التعليم فيه يسمى بالمكتب او المعلم والكلمتان ذات مدلول واحد حيث يقوم كل منهما بعملية تعليم القراءة والكتابة واللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم، وهي الجزء الاساس من تعليمه<sup>(129)</sup>.



ان اهمية دور الكتاتيب في الحياة الثقافية يأتي من انها كانت عامة وغير مقتصرة على فئة معينة وبامكان أي فرد تعليم ابنائه، ولم يكن لها مكاناً معين تقام فيه، اذ كان بعض المعلمين يقوم بمهمته بالمساجد، ولكن عبث الصبيان الصغار الذين لا يحتفظون من النجاسة جعل الفقهاء يمنعون تعليم الصبيان في المسجد، فظهرت الكتاتيب منفصلة عن المساجد وخاصة بتعليم الصبيان<sup>(130)</sup>.

ان العلوم الدينية في غرناطة لم تكن مختلفة عن بقية مدن العالم العربي الاسلامي، فقد تركزت تلك العلوم على دراسة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وقد حفز ذلك وجود العقل العربي الاسلامي في الاندلس للاهتمام بذلك وعني الاندلسيين واهتموا اهتماماً كبيراً اذ انهم لا يختلفون عن باقي الامصار الاسلامية من كونه المادة الرئيسة في تعليم المبتدئين<sup>(131)</sup>.

وقد اشرنا الى ان ابن خلدون ذكر ان الاندلسيون يجعلون القرآن الكريم الاصل في تعليم ابنائهم، بل يخلطون من تعليمهم رواية الشعر والترسل والامام بقواعد اللغة العربية والاجادة في الخط الى ان يخرج الولد من عمر البلوغ الى الشبيبة وقد شد بعض الشئ من العربية والشعر والبصر بهما<sup>(132)</sup>.

وقد لقيت الدراسات اللغوية اهتماماً متزايداً من لدن الغرناطين بعد ان دخلت الى الاندلس علماً كثيراً من الشعر والعربية والاعخبار<sup>(133)</sup>، مما حدا بالمقري ان يقول "الاندلسيين يقولون للكاتيب والنحوي واللغوي فقيه، لانها عندهم ارفع السمات"<sup>(134)</sup>.

واثرت بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في النشاط الفكري لادباء الاندلس وتجارب الشعراء منهم خاصة مع بعض جوانب الحياة وعبروا عنها بشعرهم

سواء كانت تلك الجوانب ذات ابعاد سياسية او اجتماعية او فكرية، ولكن حظ المظاهر الاجتماعية في شعرهم كان أوفرها، كون حياتهم الاجتماعية كانت غنية بمناسباتها وتقاليدها وهذا ماوفر مادة غنية للشعراء<sup>(135)</sup>.

وكذلك شهدت مملكة غرناطة نهضة علمية ايضا، ففي مجالي الهندسة والرياضيات كان من ابرز روادها محمد بن الرقاح المرسى، فكان عالماً كبيراً فضلاً عن كونه مارس الطب، ونبغ في علم الفلك يحيى بن رضوان الوادي أشي الذي وضع قصيدة في هذا العلم بعنوان "المنظوم من علم النجوم" فضلاً عن وضعه رسالة في الاسطرلاب<sup>(136)</sup>، وكذلك كانت غرناطة فيها نهضة علمية في مجال الطب، حيث برز فيها محمد بن ابراهيم الانصاري الذي يعد من اشهر اطباء عصره وكذلك الطبيب يحيى بن هذيل التجيبي حكيم غرناطة وفيلسوفها، وكذلك ظهرت كتب في مجال الطب في عصر غرناطة ابرزها (تحفة المتوسل وراحة المتأمل) لمؤلفه محمد الشقوري طبيب دار الامارة في غرناطة، وكتاب (تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد) لمؤلفه الطبيب والشاعر والمؤرخ احمد بن علي بن محمد بن خاتمة الانصاري، وهو كتاب يختص بالوباء الذي عصف بالاندلس الصغرى - غرناطة - عام 749هـ / 1348م، كذلك هناك عدة كتب طبية لمؤرخ الاندلس لسان الدين بن الخطيب منها: (رسالة تكوين الجنين) و(مقنعة السائل في المرض الهائل)<sup>(137)</sup>.

ولابد من الاشارة الى انه رافق ازدهار الحركة الثقافية والحركة العلمية في غرناطة، ذبوع المكتبات العامة والخاصة التي شملت انفس واجود انواع الكتب، واستمر الازدهار مرافقاً للوجود العربي حتى سقوط غرناطة<sup>(138)</sup>.

## سادساً: الحياة السياسية في مملكة غرناطة الداخلية والخارجية.

### 1. سياسة غرناطة الداخلية (الفتن والاضطرابات).

ان المملكة عبر تاريخها الطويل (635-897هـ / 1237-1492م)، شهدت أحداثاً وصراعات ونزاعات بين بني الأحمر من جهة، وبين الطامعين في السلطة من جهة أخرى، وعلى عهد غرناطة تولى عرشها احدى وعشرون حاكماً، وقع خلالها ثلاثة عشر انقلاباً، خمسة منها اشتركت بها قشتالة اشتراكاً فعلياً فقد كانت ضالعة في تلك الفتن وصنعتها لتحقيق غايتها الموسومة. وكانت تلك الاضطرابات هدر، بالمال والرجال ومن هذه الانقلابات، أدت إلى اقتسام المملكة إلى قسمين كل قسم تحت يد حاكم.

وكانت أولى الفتن ما قام به بنو اشقيلولة في عهد محمد بن محمد بن يوسف الملقب بالقصبة (671-701هـ / 1273-1302) بإعلانهم العصيان والثورة وقد استعانوا في سبيل ذلك بالقشتاليين<sup>(139)</sup>.

وتمكن محمد الفقيه وبعد صدامات عسكرية عديدة من القضاء على فتنة بني أشقيلولة، وأجلاهم إلى الغرب، سنة (687هـ / 1288م)<sup>(140)</sup>.

لقد حدثت فتن واضطرابات كثيرة<sup>(141)</sup>، في سلطنة غرناطة تركت آثاراً سيئة على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية أسهمت في الإسراع من نهايتها.

وقد استفاد من تلك الفتن أعداء الإسلام (الممالك النصرانية) فكانوا يوججونها كلما لاحت لهم بوادرها، فأثارها السياسية خلقت حالة من الإرباك

والفوضى السياسية التي أضعفت السلطة وأسهمت في قلة هيبتها حتى تجرأ أعداؤها إلى الخروج عليها ويشير ابن الخطيب الغرناطي انه في عام (708هـ/ 1308م) تمت الحيلة على محمد الفقيه إذ أحيط به وهو مقعد وذلك ان رجال الدولة فتكوا بوزيره ونصبوا للناس غيره<sup>(142)</sup>، كما إن بعض الفتن والاضطرابات دفعت بالمتصارعين إلى الاستعانة بالممالك النصرانية مقابل تنازلهم عن مدن، وحصون مقايضة لهذه المساعدة، لقد ولدت تلك الفتن والاضطرابات آثاراً واضحة على الاقتصاد ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره ابن الخطيب الغرناطي في أن مدينة غرناطة بعد حدوث ثورة فيها قصدها السلطان إسماعيل بن يوسف وضيق الخناق على المتآمرين "ضعفت بصائر المحصورين وفشلوا على وجود الطعمة، وتمكن المنعه، ووفور المال، فالتمسوا لأنفسهم ولسلطانهم عهداً، ونزلوا مستقلين إلى مدينة وادي اش... ليلة الثامن والعشرين لشوال عام ثلاثة عشر وسبعمائة... وخلا للسلطان أبي الوليد الجو، وضربت إليه المقادة واطاعة القاصي والداني ولم يختلف عليه اثنان"<sup>(143)</sup>.

أما آثارها على الناحية الاجتماعية بات الناس على اغلب الفترات يعيشون في جو من الرعب والفرع وفقدان الأمن والاستقرار وكثرة الشغب وانقسام واضح إلى فئات تؤيد هذا أو ذاك دون هدف وربما الغاية من اجل النهب والسلب.

كل ما تقدم اضعف السلطة وجعل الغلبة لأعدائها من الممالك النصرانية للإجهاز على آخر معقل أندلسي بيد المسلمين.



## 2. سياسة غرناطة الخارجية

### أ. سياسة المملكة مع بني مرين

اتسمت العلاقة بين دولة بني نصر ودولة بني مرين بالتعاون، خاصة فيما يتعلق بالوقوف في وجه الممالك النصرانية<sup>(144)</sup>.

ونظراً لتلك العلاقة التي كانت تربط الطرفين فقد أوصى أول سلاطين غرناطة محمد بن يوسف (635-671هـ / 1238-1273م) ابنه محمد الفقيه (671-701هـ / 1273-1302م) أن يستعين ببني مرين وأن يتعاون معهم ويستدعيهم للجهاد في الأندلس<sup>(145)</sup>.

وقد تطور التعاون المغربي الغرناطي إلى اتفاق وضعت بموجبه مجموعات عسكرية مغربية بشكل دائم في مملكة غرناطة<sup>(146)</sup>، الأمر الذي أدى إلى نزوح الكثير من المجاهدين إلى الأندلس وسميت هذه المجموعة (مشيخة الغزاة) وتولى بنو العلاء قيادتهم وفي هذا يقول المقرئ لم يزل ملوك بني مرين يعينون أهل الأندلس بالمال والرجال... وكان عند ابن الأحمر منهم جماعة بغرناطة وعليهم رئيس من بيت ملك بني مرين يسمونه شيخ الغزاة<sup>(147)</sup>.

وتمكن الجيوش المغربية والأندلسية المتحدة بقيادة السلطان المريني من إلحاق الهزيمة بالقوات القشتالية، وتكبيدها خسائر فادحة وذلك في عام 674هـ / 1275م بالقرب من مدينة استجة<sup>(148)</sup>.

وفي عام 733هـ / 1333م تمكن السلطان محمد الرابع (725-733هـ / 1325-1333م) وبمساعدة السلطان المريني أبي الحسن علي بن عثمان من تحرير جبل الفتح من الاحتلال القشتالي، ووضع بعد تحريره تحت نفوذ بني مرين<sup>(149)</sup>.

وعلى عهد السلطان أبي الحجاج يوسف الأول (733-755هـ/ 1333-1354م) اشتد خطر القشتاليين على مملكة غرناطة، مما دفع بالسلطان المريني أبي الحسن علي بن عثمان، بالعبور إلى الأندلس على رأس قوة عسكرية كبيرة لنجدة غرناطة، وقد اشتبكت القوات الأندلسية المرينية المشتركة، مع الجيش القشتالي في 741هـ/ 1340م، قرب طريف بمعركة كبيرة تكبد فيها المسلمون خسائر فادحة، وتعرف هذه المعركة باسم واقعة طريف<sup>(150)</sup>.

لذا فإن العديد من سلاطين غرناطة كانوا على اتصال مستمر مع بني مرين يخبروهم بالأحداث أولاً بأول ويستجدونهم إذا شعروا بحاجة لذلك<sup>(151)</sup>، لكن هذا لا ينفي أن هذه العلاقة كان نصيبها أحياناً بعض الضعف أو التردد<sup>(152)</sup>، فعلى عهد السلطان أبو عبد الله محمد الثالث (887-888هـ/ 1483-1483م) الملقب بالملخوع، الذي تميز عهده بالهدوء والاستقرار مع قشتالة لكن علاقته مع بني مرين كانت مضطربة بسبب مهاجمته مدينة سبته سنة 705هـ-1305م وضمها إلى ملكه<sup>(153)</sup>.

وكذلك ما قام به محمد الخامس من إلغاء منصب شيخ الغزاة وتولى قيادة الجند المغاربة بنفسه<sup>(154)</sup>، ومع ذلك فإن الاتجاه العام في العلاقة بين الطرفين يتسم بالتعاون التام للعمل في جهاد النصارى.

وهكذا كانت دولة بني مرين القوة الوحيدة التي تلجأ إليها سلطنة غرناطة عند الشدائد ويؤيد ذلك ابن خلدون بقوله كانت الجزيرة الأندلسية وراء البحر... قليلة الحامية ضعيفة الأحوال، إلا من يلهمه الله في عمل الجهاد من قبائل... وخصوصاً بني مرين<sup>(155)</sup>.

وبذلك نرى بأن بني نصر كانوا يعدون المغرب خط الرجوع في حالة

المواجهة للعدو وضغطه عليهم، فكانوا حريصين على تأمين هذا الخط الحيوي والمحافظة عليه على الرغم من الخلافات التي كانت تحصل بينهما.

وبالمقابل كان بنو مرين يمدون يد العون لاختوتهم في الأندلس في جهادهم ضد الممالك الأسبانية<sup>(156)</sup>، لما بينهما من روابط دينية تؤطرها علاقات الأخوة والعروبة.

وهكذا أقام ملوك بني الأحمر علاقتهم مع بني مرين سلاطين فاس لعدة أسباب: عسكرية، واجتماعية، وقومية، وقد دعتهم الحاجة لمواجهة الأسبان والتصدي لنفوذهم بتوطيد العلاقة مع بني مرين وخاصة في الجانب العسكري منها وفعلاً حقق بنو مرين ما كان يسعى إليه بنو الأحمر في المجال العسكري فكانت نجذاتهم العسكرية مستمرة إلى الأندلس في عهد بني الأحمر وخاضوا دفاعاً عن الأندلس وشعبها حروباً عديدة إلى جانب بني الأحمر وهزموا الأسبان عدة هزائم، وقاد ملوك من بني مرين معارك عدة في الأندلس وبهذا فقد تحملوا أعباءً ضخمة في مواجهة الأسبان وحماية الأندلس.

#### ب. سياسة المملكة مع الممالك النصرانية.

كانت الممالك النصرانية أيام مملكة غرناطة ثلاث ممالك: قشتالة، اراغون والبرتغال وقد اجتمعت كلمة هذه الممالك على توحيد جهودها للقضاء على الحكم العربي الإسلامي في الأندلس بالقضاء على آخر معقل له في غرناطة، ولذلك لم تكن علاقة مملكة غرناطة منذ نشأتها مع الممالك النصرانية تتسم يوماً بحسن الجوار<sup>(157)</sup>.

فقد كانت الحرب سجلاً بينهما، ورأينا كيف تمكنت الجيوش الأندلسية والمغربية المتحدة من إلحاق الهزائم بالقوات القشتالية ومن جملة الأحداث المهمة

التي تكبد بها النصارى هزيمة نكراء تلك المواجهة التي تمت في عهد السلطان أبو الوليد إسماعيل الأول (713-725هـ / 1313-1324م)، تقدم الدون بيد رو، أحد الأوصياء على ملك قشتالة على رأس قوة كبيرة إلى مرج غرناطة<sup>(158)</sup> بعد أن أسقطوا في طريقهم عدداً من الحصون<sup>(159)</sup> والتقى معهم الجيش الغرناطي وأوقع الهزيمة بهم وقد تكبد القشتاليون في هذه المعركة خسائر فادحة، وقتل قائد الحملة وذلك في سنة 719هـ-1319م<sup>(160)</sup>.

إن هذا الانتصار الكبير حفز السلطان الغرناطي على شن عدد من الهجمات داخل أراضي العدو استطاع من خلالها السيطرة على عدد من المواقع المهمة<sup>(161)</sup>، وهناك أحداثاً كثيرة عاشتها مملكة غرناطة وحشدت طاقاتها لكبح أطماع الممالك النصرانية وإفشال مخططاتها الإجرامية وقد تحقق بفضل ذلك تحقيق انتصارات عظيمة في أكثر من موقعة<sup>(162)</sup>، مما كان لها الأثر الكبير في صمودها الأسطوري في وجه الأعداء وما شعرت به تلك الممالك بأن هذا المعقل عصي عليهم.

وقد شهدت بعض الفترات عقد اتفاقيات هدنة ومعاهدات صلح أملت لها ظروف القتال وأحوالها الداخلية، ففي عهد السلطان محمد الخامس وفد على السلطان العلامة ابن خلدون، فأرسله في سفارة إلى ملك قشتالة لإعادة العلاقات بينهما، وقد نجح ابن خلدون في مهمته<sup>(163)</sup>، لكن النصارى متى ما رأوا الفرصة مواتية نقضوا العهد وخانوا الاتفاق<sup>(164)</sup>.

والدخول في الصلح أو الهدنة مع الممالك النصرانية لم يكن ذلك إلا للمحافظة على المملكة بمأمن من شر تلك الممالك<sup>(165)</sup>، وقد كان السلاطين



يدركون أن علاقة العدو معهم لم تكن تتسم في يوم من الأيام بطابع الود، لأن الهدف الذي يخططون له هو إخراج المسلمين ونهائياً من الأندلس<sup>(166)</sup>.

وقد تولى أمر مملكة غرناطة في فترات معينة سلاطين من بني نصر امتازوا بالهمة والشجاعة وفي فترات أخرى جاء بعض السلاطين الذين ساءت بهم أحوال المملكة لسوء تدبيرهم وتصرفهم وحدوث الفتن والاضطرابات مما كان له أثراً سلبياً استغل من قبل الممالك النصرانية. والتي كانت تتطلع إلى إنهاء الحكم العربي الإسلامي في الأندلس<sup>(167)</sup>، وقد شهدت الفترة التي حكم بها بنو الأحمر الأندلس في ظل ظروف كانت بين القوة والضعف وبين الثبات والهزيمة، فتارة حرباً وتارة أخرى هدنة وصلاحاً مع الممالك النصرانية حتى سنحت الفرصة للممالك الأسبانية من الاتحاد وبالتالي عجل ذلك في النهاية المأساوية لسلطنة غرناطة.

### 3. نهاية مملكة غرناطة

عاشت مملكة غرناطة منذ قيامها في صراع ومواجهة عنيفة ومستمرة مع أعدائها الأسبان خارج حدودها ومع خصومها والمتآمرين عليها في الداخل، وكانت اعتداءات الأسبان عليها وأطماعهم بها متلاحقة ومؤقتة مع كل فرصة تحقق لهم كسباً عسكرياً أو سياسياً وقد خدمتهم في تحقيق أهدافهم العدوانية عليها جملة من الظروف الداخلية والخارجية.

فالخلافات الداخلية أحياناً من قبل بني الأحمر فيما بينهم، وأحياناً من جانب الطامعين في الحكم من الأندلسيين، وفي الوقت الذي كانت أسبانيا النصرانية تسير بخطوات حثيثة، نحو مرحلة الاتحاد النهائي الذي تحقق

سنة 884هـ / 1479م، بفضل زواج فردناند ملك اراغون، من ايسابيلا ملكة قشتالة<sup>(168)</sup>.

وقبل ذلك كان سقوط الدولة المرينية في المغرب سنة 869هـ / 1465م<sup>(169)</sup>، وبسقوط هذه الدولة فقدت مملكة غرناطة حليفاً مهماً. وعلى الرغم من قيام دولة بني وطاس على أنقاض الدولة المرينية، بحيث لم تكن لديها القوة على العبور إلى الأندلس لتقديم المساعدة لغرناطة في صراعها مع الأسبان، وبذلك أضحت مملكة غرناطة وحيدة في مواجهة عدوها الذي أصبح أكثر قوة من ذي قبل بفعل اتحاد مملكتي قشتالة وأراغون<sup>(170)</sup>.

ونتيجة استلام الحكم في مملكة غرناطة من قبل ملوك قاصرين أو ضعاف أحياناً أو متآمرين على بعضهم<sup>(171)</sup>، وسيطرة العدو على مناطق كثيرة من سنة 892هـ / 1487م، فسقطت بيده مالقة، وبسطة في سنة 895هـ، كما سيطر على المرية، والمنكب، ووادي آش في العام نفسه<sup>(172)</sup>، وبسيطرة العدو على هذه المناطق، لم يبق أمامه سوى العاصمة غرناطة، فبعث صاحب قشتالة، إلى أبي عبدالله محمد، لتسليم قصور الحمراء في غرناطة وإنه سترك له مقابل ذلك ما تبقى من المدينة شرط أن يكون تحت ذمته، جمع أبو عبدالله الأعيان والقادة والفقهاء للنظر في الأمر، فأجمعوا على الرفض، وصمم الجميع على القتال<sup>(173)</sup>، خلفتها حالة الحصار، قرر أعيان البلد، تسليم المدينة مقابل شروط معينة<sup>(174)</sup>.

وتم التوقيع على معاهدة التسليم من 21 محرم 897 هـ / 1491م بين أبي عبدالله محمد وملك قشتالة وأراغون<sup>(175)</sup>، وأهم الشروط التي تضمنتها هذه المعاهدة فصلت القول فيها مصادرنا التاريخية وهي: إطلاق الأسرى المسلمين في قشتالة، وتأمين المسلمين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، واحتفاظ المسلمين

بشريعتهم ونظمهم باشراف حاكم اسباني، وتأمين حرية الدين والشعائر والحفاظ على المساجد والاوقاف، وان لا يدخل مسيحي في مسجد او دار مسلم، وان يسير المسلم في ديار الاسبان أمنأ لا يحمل علامة مميزة، وان يجتاز الى افريقيا من يشاء من المسلمين في سفن ملك الاسبان لمدة ثلاث سنوات من دون مقابل، وان لا يقهر مسلم او مسلمة على التنصر، وان يعامل الحاكم الاسباني المسلمين بالرفق والعدل، واخيرا ان يوافق البابا على الوثيقة<sup>(176)</sup>.

ولكن الأسبان نقضوا هذه الشروط جميعاً الواحد تلو الأخرى، وأخذوا بعد ذلك يقضون على كل شيء يمت للإسلام بصلة، فحولوا الجوامع إلى كنائس، وحملوا المسلمين على التنصير وارتكبوا من أجل ذلك أبشع الجرائم<sup>(177)</sup>.

وكان دخول فردناند وإيسابيلا، مدينة غرناطة واستلامها في 2 ربيع الأول 897هـ / 1492م<sup>(178)</sup>.

أما السلطان أبو عبدالله، فبعد أن سلم المدينة رحل إلى أندرش ثم غادرها إلى المغرب بناءً على أوامر فردناند<sup>(179)</sup>.

وإن كان هذا ما آلت إليه حالة الأندلس في عصورها الأخيرة فقد كان لمملكة بني الأحمر فضل كبير على العرب وحضارتهم فقد احتضنت العرب وآوتهم بعد احتلال ديارهم في الأندلس بعد قيامهم وقدمت خدمات فكرية جليلة للحضارة العربية وساهمت في الكثير من الخدمات الإنسانية وحافظت على أمجاد العرب وحضارتهم في الأندلس طوال فترة بقائها.

## الهوامش

- (1) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ابن عبد الحموي (ت 626هـ)، معجم البلدان، مطبعة السعادة، ط1، (القاهرة، 1906)، ج6، ص280، القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد دار صادر، بيروت، (بيروت1380هـ، 1960م)، ص547؛ المقري، احمد بن محمد المقري التلمساني (ت1041هـ)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، 1968)، ج1، ص147.
- (2) الحميري، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت710هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مطابع دار السراج ط2، (بيروت، 1980)، ص33، ابن الخطيب الغرناطي، لسان الدين أبو عبد الله محمد السلماني (ت776هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، ط1، 1973، ج1، ص131.
- (3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج6، ص280.
- (4) نقلاً عن: عنان، محمد عبدالله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتصرين، مطبعة مصر ط1 (القاهرة، 1949م)، ص14.
- (5) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ص91، هامش رقم واحد.
- (6) الإدريسي أبو عبد الله محمد (ت560هـ)، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، (مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق من اختراق الآفاق)، مطبعة بريل، (ليدن، 1982)، ص201، القلقشندي، أبو العباس احمد بن محمد (ت821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة 1333هـ)، ج5، ص215، الحجى عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، (بيروت، 1976)، ص518.
- (7) عنان، نهاية الأندلس، ص14. هامش رقم (2).
- (8) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص214، العبادي، احمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، (الأسكندرية، 1982)، ص224.
- (9) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب



- والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب، (بيروت، 1981)، مج 4، ص 369، المقرئ، نفح الطيب، ج 1، ص 448؛ الحجى، التاريخ الأندلسي، ص 518
- (10) شبانة، محمد كمال، العرض الموجز للأحداث التاريخية ذات الصلة بما ورد في كتاب ابن الخطيب الغرناطي "كناسة الدكان بعد انتقال السكان" والذي كتبه في بدايته، ص 16، الحجى، التاريخ الأندلسي، ص 518.
- (11) الإحاطة، ج 1، ص 91.
- (12) أبو عبدالله بن أحمد اللواتي (ت 799هـ)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، تحقيق: طلال حرب، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1987)، ص 679.
- (13) علي بن موسى وأسرته (ت 685هـ)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق وتعليق: شوقي ضيف، دار المعارف، ط 3، (القاهرة، 1964)، ج 2، ص 102.
- (14) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج 1، ص 93.
- (15) الفلقشندي، صبحي الأعشى، ج 5، ص 261؛ المقرئ، نفح الطيب، ج 4، ص 510؛ الحجى، التاريخ الأندلسي، ص 518.
- (16) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج 1، ص 99 وما بعدها؛ عنان، محمد عبد الله، نهاية الأندلس، ص 1، وما بعدها.
- (17) الفلقشندي، صبحي الأعشى، ج 5، ص 214.
- (18) المصدر نفسه، ج 5، ص 214، المقرئ، نفح الطيب، ج 1، ص 117 وص 146-147، وج 3 ص 217-218.
- (19) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج 1، ص 122.
- (20) شاك، فون، الفن العربي في إسبانيا وصقلية، تعريب، الطاهر أحمد مكى، دارالمعارف، 1980، ص 156.
- (21) المقرئ، نفح الطيب، ج 1، ص 150.
- (22) الفلقشندي، مج الأعشى، ج 5، ص 214.

(23) المصدر نفسه، ج 5، ص 214.

(24) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج 1، ص 148؛ اللوحة البدرية، ص 21، النباهي، نزهة البصائر، ص 110؛ المقرئ، ابن خلدون، كتاب العبر، مج 4، ص 170؛ المقرئ، نفح الطيب، ج 1، ص 447؛ ارسلان، الخلل السندسية، ج 1، ص 95. وقد أشار ابن حزم: إن لسعد بن عباد ولدين: قيس وسعيد وسعيد بن سعد هذا عقب بالأندلس بقرية يقال لها قربلان من عمل سرقسطه من قبل الحسين بن سعيد بن سعد بن عباد وبشردونه بنو عرموم بن جميل بن عصام بن قتادة بن وتادين قيس بن سعد... ينظر: جمهرة انساب العرب: ص 365.

(25) ابن خلدون، كتاب العبر، مج 4، ص 170؛ حموده، علي محمد، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، مطابع دار الكتاب العربي، ط 1، (القاهرة، 1957)، ص 295.

(26) ابن خلدون، كتاب العبر، مج 4، ص 170.

(27) المصدر نفسه، م 4، ص 366؛ سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب الكبير، العصر الأموي، دار النهضة العربية، (بيروت، 1981)، ج 2، ص 828.

\* هي الموقعة التي وقعت بين الموحدين، ومعهم الأندلسيون بقيادة الملك الناصر أبي عبد الله محمد بن المنصور وجيوش أسبانيا تساندها دول أوروبا بقيادة الفونسو ملك قشتالة، وقد التقى الطرفان في منتصف صفر 609هـ / 1212م بموقع يعرف بالعقاب، بين جيان، وقلعة رباح، وكسر المسلمون في هذه المعركة وتكبدوا بها خسائر كبيرة. ينظر، المراكشي، عبدالواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، ط 1، (القاهرة، 1949)، ص 321؛ الحميري، الروض المعطار، ص 137؛ أشباح، يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبدالله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط 2، (القاهرة، 1958)، ص 354.

(28) الحميري، الروض المعطار، ص 146.

(29) المقرئ، نفح الطيب، ج 4، ص 383؛ الحجى، التاريخ الأندلسي، ص 513.

\*\* ابن هود هو: محمد بن يوسف بن هود الشائر بمرسية ضد الموحدين حوالي 620هـ. ينظر: المقرئ، نفح الطيب، ج 1، ص 447.

\*\*\* ابن الأحمر هو: محمد بن يوسف بن الأحمر. الملقب بالغالب بالله الذي ثار على الموحدين

وعلى ابن هود سنة 629هـ وتمكن من السيطرة على جيان وشربش. ينظر: المقرئ، نفح الطيب، ج 1، ص 447.

(30) تسمية المملكة باسم بني الأحمر يعود للقب أطلق على والد محمد الأول مؤسس المملكة يعرف بلقب ابن الأحمر نسبة لوالده، أنظر: ابن الخطيب الغرناطي، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، تحقيق: محمد الشريف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (الجزائر، 1973)، ص 21.

(31) ابن الخطيب الغرناطي، اللوحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق: لجنة أحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، (بيروت، 1980)، ص 32؛ المقرئ، نفح الطيب، ج 4، ص 384.

(32) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج 2، ص 128.

(33) ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، (بيروت، 1956)، ص 279؛ اشباخ، تاريخ الأندلس، ص 408.

(34) الحميري، الروض المعطار، ص 355.

(35) ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الأعلام، ص 280.

(36) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج 2، ص 130.

(37) ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الأعلام، ص 278.

(38) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج 2، ص 129؛ أعمال الأعلام، ص 278.

(39) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج 2، ص 130.

(40) شبانة، العرض الموجز، ص 18.

(41) المقرئ، نفح الطيب، ج 1، ص 447.

(42) ابن خلدون، كتاب العبر، مج 4، ص 366؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص 260.

(43) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة ج 2، ص 94؛ اللوحة البدرية، ص 43.

(44) المقرئ، نفح الطيب، ج 1، ص 448.

(45) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج 2، ص 98؛ اللوحة البدرية، ص 47.

(46) شبانة، العرض الموجز، ص 19؛ عنان، نهاية الأندلس، ص 28-29.

- (47) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج2، ص231.
- (48) شبانه، العرض الموجز، ص19.
- (49) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص261.
- (50) النباهي، أبو الحسن بن عبدالله بن الحسن (ت793هـ)، نزهة البصائر والأبصار، نشره مولر في كتابه نخب من تاريخ عرب الغرب، (ميونخ، 1866)، ص116.
- (51) منها الشيخ أو ابن الأحمر، والبعض يلقبه بأبي دبوس. ينظر: ابن الخطيب الغرناطي، اللوحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق: لجنة أحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، (بيروت، 1980)، ط2، ص30، ابن خلدون، كتاب العبر، مج4، ص170.
- (52) ابن قتيبة الدينوري، عبدالله بن مسلم (ت276هـ)، عيون الأخبار، طبع أوفسيت، (مصر، 1925)، ج1، ص120؛ ابن الأزرقي، محمد بن علي بن محمد بن مسعود أبو عبدالله (ت896)، بدائع السلك من طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، (بغداد، 1977)، ج، ص196؛ دوشاتو، بريان الفيكونت، آخر بني سراج، مترجمة ومذيلة بخلاصة مدن تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة، بقلم: شكيب أرسلان، (مصر، 1924)، ص120.
- (53) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج2، ص98 "اللمحة البدرية، ص47؛ المقرئ، نفح الطيب، ج4، ص460.
- (54) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج2، ص99، اللوحة البدرية، ص48.
- (55) ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (كان حيا في سنة 712هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: تحقيق خ. س. كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، (بيروت، 1967)، ج2، ص367، مؤلف مجهول، الذخيرة السنية في أخبار الدولة المرينية، نشر محمد أبو شنب، (الجزائر، 1920)، ص37، ويشير بعضهم إلى أن هذا الاتفاق تم عام 644هـ. ينظر: ابن الخطيب الغرناطي، اللوحة البدرية، ص36؛ ابن خلدون، كتاب العبر، مج4، ص171 اشباخ، تاريخ الأندلس، ص439؛ عنان، نهاية الأندلس، ص35؛ فرحات، محمود شكري، غرناطة في ظل بني الأحمر، (دراسة حضارية)، (بيروت، 1982) ص25؛ التواني، عبدالكريم، مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس، مكتبة الرشاد، (الدار البيضاء، بلات)، ص405؛ السامرائي، خليل إبراهيم، وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، (الموصل، 1986)، ص289.



- (56) ايرفنج، وشنطون، قصر الحمراء في الأدب والتاريخ، نقله إلى العربية وعلق حواشيه وقدم له، إسماعيل العربي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص92. كانت اشبيلية أثناء قيام القشتاليين بمهاجمتها تابعة، للسلطان، أبي زكريا الحفصي، صاحب أفريقيا، حيث قام سنة 643هـ/1245م يحيى ابن عبد الملك بن محمد الحافظ أبي بكر، وملكها، وباع للأخير أبي زكريا الحفصي. ينظر ابن خلدون، كتاب العبر، مج4، ص367.
- (57) ابن خلدون، العبر، مج4، ص368؛ المقري، نفح الطيب، ج1، ص448؛ سيديو، ل، أ، تاريخ العرب العام، إمبراطورية العرب، حضارتهم، مدارسهم الفلسفية والعلمية والأدبية، نقله إلى العربية عادل صغير، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه ط3، (القاهرة، 1969)، ص315.
- (58) ايرفنج، قصر الحمراء، ص94.
- (59) عن هذه الأعمال. ينظر، ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج2، ص94-95؛ اللوحة البدرية، ص43؛ النباهي، نزهة البصائر، ص117.
- (60) ابن الخطيب الغرناطي، اللوحة البدرية، ص43.
- (61) اشباح، تاريخ الأندلس، ص445؛ دوشتاو، آخر بني سراج، ص119.
- (62) مجهول، الذخيرة السنية، ص51 وما بعدها.
- (63) ابن عذاري، البيان، ج2، ص462.
- (64) النباهي، نزهة البصائر، ص117؛ ابن خلدون، العبر، مج4، ص17؛ فرحات، غرناطة، ص32.
- (65) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج2، ص99؛ اللوحة البدرية، ص48؛ كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق محمد كمال شبانة، مراجعة حسن محمود، دار الكتاب العربي، (مصر، بلات)، ص18.
- (66) ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص16.
- (67) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص183.
- (68) مزيداً للتفاصيل عن الجيش الغرناطي ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج1/115-125؛ فرحات، افاق غرناطة، ص90-96؛ العبادي، دراسات، ص400-401.

(69) للتعرف على مزيداً من القضاة المشهورين في مملكة غرناطة ينظر: ابن الخطيب، اللوحة البدرية، ص 45.

(70) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج 2، ص 95.

(71) المصدر نفسه، ج 1، ص 93.

(72) ابن خلدون، المقدمة، دار مكتبة الهلال، (بيروت، 1986)، ص 342.

(73) ابن الخطيب الغرناطي، اللوحة البدرية، ص 40.

(74) بلباس، ليوبولدو توريس، الأبنية الأسبانية الإسلامية، ترجمة، عليه إبراهيم العناني، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد الأول، السنة الأولى، 1953، ص 23.

(75) عنان، محمد عبدالله، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط 2، (القاهرة، 1961)، ص 168.

(76) عن أثار المنزل الغرناطي، انظر، القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص 221؛ المقري، نفح الطيب، ج 4، ص 510؛ لوثينا، لويس سيكودي، الوثائق العربية الغرناطية وقيمتها التاريخية، ترجمة، حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلدان السابع والثامن، لسنة 1959، 1960م، ص 107.

(77) المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 224.

(78) فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص 126.

(79) الإحاطة، ج 1، ص 137؛ اللوحة البدرية، ص 40.

(80) ابن الخطيب، اللوحة البدرية، ص 40.

(81) ابن الخطيب، مشاهدات ابن الخطيب، ص 50؛ مؤلف مجهول، أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر، ص 3-4.

(82) العبادي، أحمد مختار، من المقدمة التي كتبها في كتاب مشاهدات ابن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس، ص 10.

(83) المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 210؛ مؤنس، حسين، فجر الأندلس، (القاهرة، 1959م)، ص 433.

(84) المصدر نفسه، ج 1، ص 210؛ المرجع نفسه، ص 433.

- (85) المقرئ، نفح الطيب، ج 3، ص 150؛ ارسلان، شكيب، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، مكتبة الحياة، (بيروت، 1355هـ)، ج 1، ص 259.
- (86) المصدر نفسه، ج 3، ص 150؛ المرجع نفسه، ج 1، ص 259.
- (87) المصدر نفسه، ج 1، ص 224.
- (88) ابن الخطيب الغرناطي، اللوحة البدرية، ص 47.
- (89) للتفصيل عن الملابس ينظر زاهدة عبدالله عبدا لرزاق، الحياة الاجتماعية في الأندلس خلال عهد مملكة غرناطة، (بغداد، 1997م)، ص 219-236.
- (90) المقرئ، نفح الطيب، ج 1، ص 223.
- (91) ابن سعيد، المغرب، ج 1، ص 423؛ ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج 1، ص 138.
- (92) ابن الخطيب الغرناطي، اللوحة البدرية، ص 90؛ ايفرنج، قصر الحمراء، ص 146.
- (93) العبادي، احمد مختار، الأعياد في مملكة غرناطة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الخامس عشر، (مدريد، 1970)، ص 138.
- (94) ابن الخطيب الغرناطي، اللوحة البدرية، ص 40.
- (95) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج 1، ص 134؛ حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة، ط 1، (مصر، 1967)، ج 4، ص 640. والبربر/ هم احد عناصر الجيش العربي الإسلامي الذي عبر لفتح الأندلس وهم عرب المغرب ينتمون إلى فرعين رئيسيين: هما البرانس ويتفرعون إلى عدة قبائل، والبتر وهم بنو ماذغيس وينقسم شعبهم إلى عدة قبائل. وأكدت المصادر انهم أقوام العرب المغاربة وماداتهم. ينظر: الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف (مصر، 1964)، ج 1، ص 219، ج 2، ص 516؛ مجهول، مفاخر البربر، نبذه مختصرة نشرها ليفي بروفنسال، المطبعة الجديدة، (المغرب، 1934م)، ص 17. اما الصقالبة: أطلق الأندلسيون لفظة الصقالبة على الأرقاء الذين كانوا يشترونهم من أوربا حيث أن الجيوش الجرمانية دأبت على سبي الشعوب القبلية السلافية وبيع رجالها ونسائها لعرب الأندلس ولذلك أطلق العرب عليهم اسم الصقالبة وكانوا يسمون المجاييب كما وردت تسميتهم بالخرس والماليك. ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ج 4، ص 34؛ المقرئ، نفح الطيب، ج 1، ص 32؛ العبادي،

أحمد مختار، الصقالبة في أسبانيا، وزارة المعارف العمومية، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، (مدريد، 1953)، ص 9؛ عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، القسم الثاني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط 3، (القاهرة، 1960)، ص 230 ويقول المقدسي وبلدهم خوارزم إلا أنهم يحملون إلى الأندلس ينظر المقدسي، محمد بن أحمد (ت 380)، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط 2، (القاهرة، 1960م)، ص 242.

(96) ينظر: بروفنسال، ليفي، سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، المطبعة الأميرية، (القاهرة، 1951)، ص 36.

(97) ارسلان، الحلل السندسية، ج 1، ص 188-189، هامش رقم (3).

(98) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف أوس (ت 469هـ)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، القطعة الخاصة بعصر الحكم المستنصر، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجى، نشر وتوزيع دار الثقافة، (بيروت، 1965م)، ص 201.

(99) الإحاطة، ج 1، ص 103.

(100) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة من أهل الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، مطبع ريدنبر، (مدريد، 1876)، ص 6.

(101) طه، عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار العربي في شمال أفريقية، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، دار الرشيد للنشر، (بغداد 1982م)، ص 271.

(102) المراكشي، المعجب، ص 15-16؛ لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، (بيروت، 1979)، ص 323.

(103) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج 1، ص 136.

(104) المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 252؛ الحجى، التاريخ الأندلسي، ص 540.

(105) ابن خلدون، كتاب العبر، مج 4، ص 368-369.

(106) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص 657.

(107) ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر القرطبي (ت 367هـ)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، (بيروت، 1957)، ص 205.



- (108) ابن الخطيب الغرناطي، مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، مجموعة رسائل ابن الخطيب، حققها الدكتور احمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، (الإسكندرية، 1983م)، ص 43.
- (109) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج 3، ص 419، أعمال الأعلام، ص 309؛ ابن خلدون، كتاب العبر، المصير السابق، مج 4، ص 376، ابن القاضي المكناسي، أبو العباس احمد بن محمد، ذيل وفيات الأعيان، المسمى درة الجمال من أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحدي، أبو النور، دار التراث ط 1، (القاهرة، 1970)، ج 1، ص 147.
- (110) ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة البدرية، ص 48؛ فرحات، غرناطة من ظل بني الأحمر، ص 90.
- (111) ابن الخطيب الغرناطي، اللمحة البدرية، ص 94.
- (112) زاهدة عبدالله عبدا لرزاق، الحياة الاجتماعية، ص 67.
- (113) مؤلف مجهول، أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر، نشر مولر في كتاب نخب في تاريخ عرب الغرب، (ميونخ، 1866م)، ص 6؛ المقرئ، نفح الطيب، ج 4، ص 512؛ فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص 57، طه، عبد الواحد ذنون، دراسات في التاريخ الأندلسي، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، (موصل، 1987)، ص 193.
- (114) فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص 109-110.
- (115) طه، الفتح والاستقرار، ص 85.
- (116) ابن عذارى، البيان المغرب، ج 2، ص 12؛ الحميري، الروض المعطار، ص 394؛ طه، الفتح والاستقرار، ص 85.
- (117) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص 12-14.
- (118) ابن حيان المقتبس، تحقيق الحجى، ص 149.
- (119) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص 12؛ الحميري، الروض المعطار، ص 394.
- (120) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج 1، ص 101؛ اللمحة البدرية، ص 26.
- (122) الحميري، الروض المعطار، ص 45.

- (123) فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص116.
- (124) اللوحة البدرية، ص84..
- (125) ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الأعلام، ص288.
- (126) فرحات، غرناطة، ص162.
- (127) ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الأعلام، ص2291؛ ابن خلدون، كتاب العبر، مج4، ص370.
- (128) للمزيد عن تلك الفتن والاضطرابات ينظر: ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة، ج1، ص398-440، ج2، ص29-30؛ اللوحة البدرية، ص120-125؛ أعمال الإعلام، ص309؛ نفاضة الجراب؛ ص103-106؛ العبادي، فترة مضطربة، ص43 وما بعدها.
- (129) ابن الخطيب، اللوحة البدرية، ص67.
- (130) للتفاصيل أكثر حول الاستعانة بالممالك الأسبانية. ينظر: مجهول، أخبار العصر، ص32 وما بعدها.
- (131) ابن خلدون، كتاب العبر، مج7، ص448؛ عنان، نهاية الأندلس، ص24.
- (132) ابن أبي زرع، علي ابن عبدالله الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس من أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، (الرباط، 1972)، ص313.
- (133) ابن الخطيب الغرناطي، اللوحة البدرية، ص39؛ المقرئ، نفح الطيب، ج4، ص385؛ ارسلان، الحلل السندسية، ج2، ص301.
- (134) للتفاصيل أكثر حول المجتمع الغرناطي وتأثره ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص4؛ الحلل السندسية، ج1، ص257؛ المقرئ، نفح الطيب، ج2، ص763.
- (135) سالم، السيد، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (الاسكندرية، 1985)، ص6-7؛ العلي، صالح احمد وآخرون، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، مطبعة الآداب، (النجف الأشرف، 1395هـ/ 1975م)، ص263 وما بعدها.
- (136) المقرئ، نفح، ج5، ص268.
- (137) ينظر: هانز، رودلف سنجر، قائمة بأسماء الأماكن والبلدان الواردة في كتاب الصلة لابن

بشكوال، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمديرية، م15، 1970، الصفحات: 163، 168،  
169، 176، 177، 179، 180، 185، 186.

(138) ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، ج3، ص33-34.

(139) الاهواني، احمد فؤاد، التعليم في رأي القابسي، (القاهرة، 1945)، ص56.

(140) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ)، المقدمة، دار القلم، (بيروت، 1978)،  
ص385.

(141) المصدر نفسه، ص538.

(142) ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج2، ص22-23.

(143) نفح الطيب، ج1/206.

(144) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص20-21.

(145) فرحات، غرناطة، ص162.

(146) المقرئ، نفح الطيب، ج3، ص52، ص258.

(147) فرحات، غرناطة، ص168.

(148) نفح الطيب، ج1، ص385؛ مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والاندلس، ط1، (القاهرة  
1980)، ص389.

(149) ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة، ج1، ص565؛ المقرئ، نفح الطيب، ج4، ص385؛ ابن  
خلدون، كتاب العبر، مج1، ص191.

(150) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص651 - 652؛ عنان، نهاية الاندلس، ص100-106.

(151) ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة، ج4، ص322؛ اللوحة البدرية، ص105؛ المقرئ، نفح  
الطيب، ج5، ص14؛ الحجى، تاريخ الاندلس، ص543.

(152) ابن أبي زرع، الإنيس المطرب، ص313.

(153) الحجى، تاريخ الاندلس، ص520.

(154) ابن الخطيب، اللوحة البدرية، ص66؛ عنان، نهاية الاندلس، ص86.

- (155) السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد (ت 1315 هـ)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، (الدار البيضاء، 1955)، ج 4، ص 81؛ العبادي، أحمد مختار، فترة مضطربة من تاريخ غرناطة، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلدان السابع والثامن، لسنة 1959، 1960، ص 50.
- (156) ابن خلدون، كتاب العبر، مج 7، ص 366.
- (157) مزيدا من التفاصيل، ينظر: خالد محمود عبدالله، جهاد بني مرين في الأندلس (656-685 هـ/1258-1286 م) (بغداد 1989).
- (158) شبانة، محمد كمال، يوسف الأول، سلطان غرناطة، مطبعة الرسالة، (القاهرة، بلا ت)، ص 134.
- (159) ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الأعلام، ص 395.
- (160) ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة، ج 1، ص 389؛ اللوحة البدرية، ص 85. تقدرها بعض الروايات بخمسين ألف، بينما ترفعها روايات إلى أكثر من ستين ألف. أنظر: المقرئ، نفح الطيب، ج 1، ص 451؛ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر، (بيروت، بلا ت)، ج 6، ص 51.
- (161) ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الأعلام، ص 95؛ النباهي، نزهة البصائر، ص 129.
- (162) ابن الخطيب الغرناطي، اللوحة البدرية، ص 85-87؛ عنان، نهاية الأندلس، ص 92-93.
- (163) ابن الخطيب الغرناطي، اللوحة البدرية، ص 31؛ الحميري، الروض المعطار، ص 461.
- (164) ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، تعليق: محمد بن تاووت الطنجي، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، (مصر، 1951)، ص 84.
- (165) المقرئ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا إبراهيم، وعبد الحفيظ شلي، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1940)، ج 1 ص 51.
- (166) مؤلف مجهول، الذخيرة السنية، ص 73.
- (167) المشرفي، محمد محي الدين، التنظيم العسكري في أيام دولة بني الأحمر، مجلة (دعوة الحق)، العدد 3، السنة 21، (الرباط، 1980)، ص 37.



(168) حاملة، محمد عبدة، التنصير القسري لمسلمي الأندلس، (الأردن، 1982)، ص 14؛ محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها، مطابع دار الشعب، (الأردن، 1977)، ص 17.

(169) عنان، نهاية الأندلس، ص 138-140.

(170) السلاوي، الاستقصاء، ج 4، ص 120؛ عنان، نهاية الأندلس، ص 123.

(171) ينظر: ابن الخطيب الغرناطي، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق: د. أحمد مختار العبادي، مراجعة، د. عبد العزيز الأهواني، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، (القاهرة، بلا ت)، ص 103-104؛ ابن خلدون، كتاب العبر، مج 4، ص 376؛ العبادي، فترة مضطربة من تاريخ غرناطة، ص 46.

(172) مؤلف مجهول، أخبار العصر، ص 28-31؛ المقرئ، نفح الطيب، ج 4، ص 520-522.

(173) مؤلف مجهول، أخبار العصر، ص 33-34.

(174) مؤلف مجهول، أخبار العصر، ص 44-48؛ المقرئ، نفح الطيب، ج 4، ص 524-525؛ حاملة، محنة مسلمي الأندلس، ص 54-55؛ طه، دراسات أندلسية، ص 192.

(175) عنان، نهاية الأندلس، ص 185؛ حمادة، محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال أفريقيا، (دمشق، 1978)، ص 538.

(176) ينظر: مجهول، أخبار العصر، ص 20-46؛ المقرئ، نفح الطيب، ج 4، ص 512-525؛ أزهار الرياض، ج 1، ص 66، التواني، مأساة انهيار، ص 407 وما بعدها؛ حاملة، التنصير القسري، ص 19-55.

(177) مؤلف مجهول، أخبار العصر، ص 54-56؛ المقرئ، نفح الطيب، ج 4، ص 527-528.

(178) المقرئ، نفح الطيب، ج 4، ص 525؛ طه، دراسات أندلسية، ص 197.

(179) مؤلف مجهول، أخبار العصر، ص 53.

# لمحات من التعايش السلمي في الأندلس





# لمحات من التعايش السلمي في الأندلس

## المقدمة

لقد حملت عملية التعايش في شبه الجزيرة الإيبيرية (الأندلس) - إسبانيا والبرتغال حالياً - ديناميكية لم تكن لتعرف السكون والجمود، يعطي فيها الإنسان ويأخذ، ومن حسن حظ الأندلس أيضاً أن تكون أسس هذا البناء مختلفة الألوان متعددة السمات، وأن تكون مشاربها مختلفة المنابع متعددة الروافد. فتحمل الأندلسيون على اختلاف أصولهم وعقائدهم، مسئوليات تدبير أمور الحكم، وتلاقوا في مجلس العلم، معلمين ومتعلمين. وكتبوا فيما هو عام يحدوهم حب العلم ويسعون إلى نشر آثاره، أو فيما هو خاص، ينورون به عقول ذوي المعتقد ويهدونهم السبيل كل في نحلته وباختصار نسجوا هذا النسيج الحضاري المختلف الألوان المتجانس المنسجم التركيبية المتكامل. إنها مشاركة امحت فيها الخصوصيات الدينية والعرقية، وتوارت فيها الأنانية العصبية زمنا كان كافيا لبناء مجتمع يعتبر بحق، بما صنعه في العلم والرجال، المثال الذي يجب أن نضعه دوما نصب أعيننا.

لقد حاول المسلمون الفاتحون لشبه الجزيرة الإيبيرية تطبيق تعاليم الإسلام فيما يخص أهل الذمة بكل أمانة وصدق. وتمكّن النصارى واليهود من المحافظة على أملاكهم وتمتعوا بحريتهم الدينية. ولتأكيد هذه الفرضية، تسعى هذه الدراسة لإعطاء صور متعددة عن التعايش الذي ساد بين مختلف الإثنيات العرقية والديانات المتنوعة بالأندلس، مدعمة بالحجج والقرائن. فالإسلام بصفته خاتم الرسالات السماوية لم يأت لمحاربة الرسالتين السابقتين: اليهودية والمسيحية، وإنما لاستكمالهما، والإيمان به يقتضي الإيمان برسالي موسى والمسيح عليهما الصلاة



والسلام، وبالكتابين المنزلين عليهما، وكذلك بمن سبقهما من الرسل، ولهذا فقد أصبح لمعتنقي هاتين الديانتين ممن دعاهم الإسلام أهل الكتاب مكانة متميزة في داخل المجتمع الإسلامي، ووضع مختلف عن وضع المشركين أو الوثنيين. ولما كانت رسالة الإسلام موجهة للإنسانية كافة فقد كان على حامل هذه الرسالة أن يعمل على نشرها بالطرق السلمية من منطلق المبدأ الذي يدعو إلى أن العقيدة لا تفرض فرضاً: لا إكراه في الدين. ولذلك قسمت هذه الدراسة بتمهيد ووقفه تاريخية على تاريخ إسبانيا وعلى محاور ثلاث هي: التعايش السلمي الاجتماعي، ومن ثم حرية الاعتقاد، وأخيراً حرية الفكر، ثم ختمت الدراسة بما توصلنا إليه من نتيجة ذلك التعايش في فردوسنا المفقود.

## تمهيد

نادى الإسلام منذ اللحظة الأولى التي أشرقت فيها شمس النبوة الإسلامية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(1)</sup>، وهكذا يضع الإسلام المعيار الإنساني العام القائم على أخوة الخلق ووحدة الرب دون تفرقة بين دين أو جنس، فإن النداء في هذه الآية الكريمة نداء للإنسانية جمعاء وصدق رسول الإسلام (ﷺ) إذ يقول لا فضل لعربي على أعجمي، ولا أحر على أسود إلا بالتقوى، كلكم لأدم وآدم من تراب<sup>(2)</sup>، ولا مانع من الحوار البناء الهادئ والهادف والجدال بالحسنى مع غير المسلمين، دون تأجيج الفتنة، أو إيجاد الصراعات، أو غرس بذور الحقد

---

(1) سورة الحجرات، الآية 13.

(2) ابن حنبل، أحمد (ت 241هـ)، المسند، (مصر، مؤسسة قرطبة، بلا. ت) 5/ 411.

والتعصب والكرامية، أو ممالأة الأعداء والتعاطف معهم على حساب كرامة الوطن، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾<sup>(1)</sup> بل إن القرآن الكريم نص صراحة على قضية الحوار مع أهل الكتاب (اليهود والنصارى) فقال - تعالى - : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(2)</sup>

لقد افترض الإسلام وجود الآخر، وأهمية التعامل معه، ووضع القواعد التي تضمن حق المسلمين في المجتمع، وحق الآخرين الذين يعيشونهم، دائماً أو بصفة مؤقتة، ولم يكن ذلك معهوداً في الممالك والإمبراطوريات القديمة قبل الإسلام. وأن القواعد التي وضعها الإسلام لتنظيم العلاقة بين المسلمين وغيرهم في المجتمع المسلم، تتميز بالسماحة واليسر، وحفظ الحقوق، وتجنب الظلم لمجرد الاختلاف في الدين، فهناك حد أدنى يجب الحفاظ عليه، حتى في حالة العداء أو القتال، وهو الكرامة التي وهبها الله لبي آدم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>(3)</sup>

(1) سورة النحل، الآية 125.

(2) سورة العنكبوت، الآية 46.

(3) سورة الإسراء، الآية 70.

## وقفه تأريخية

تقتضي المنهجية العلمية ان نقف وقفة بسيطة على طبيعة شبه الجزيرة الايبيرية قبل دخول العرب الفاتحين ونشر تعاليم الاسلام فيها فقد خضعت اسبانيا قبيل الفتح العربي الإسلامي إلى سيطرة القوط الغربيين حكام شبه الجزيرة الايبيرية<sup>(1)</sup>، والقوط الغربيون هم من الشعوب الجرمانية الكبرى<sup>(2)</sup>، حيث كانت مملكتهم هي الأخيرة من سلسلة ممالك البرابرة التي خلفت الأمبراطورية الرومانية، وذلك بعد أن انتهت هذه الأخيرة ككيان سياسي،

---

(1) المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت 647هـ)، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، (القاهرة، 1963)، ص 450، 451؛ ابن الشباط، محمد بن علي التوزري (ت: 681 هـ / 1282م)، وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمه المرط، تح: أحمد مختار العبادي (مدير، معهد الدراسات الاسلامية، 1971م)، ص 167؛ الحميري، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم (ت 710هـ)، الروض المعطار في خبر الاقطار، جزء منتخب منه نشر بنشر بعنوان (صفة جزيرة الاندلس)، نشره: ليفي برونفيسال، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1937)، ص 34؛ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت 808هـ)، كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، (بيروت، 1979)، 4/ 117؛ السلاوي، ابو العباس احمد بن خالد (ت 1315هـ)، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، (الدار البيضاء، 1955)، 68/1، 69.

(2) المراكشي، المعجب، ص 451؛ وينظر، العدوي، ابراهيم احمد، المسلمون والجرمان (الإسلام في غرب البحر المتوسط)، (القاهرة، دار المعرفة، 1960م)، ص 17-20.

واختفت من مسرح التاريخ. وقد دام حكم القوط الغربيين لشبه جزيرة ايبيريا مدة ثلاثمائة سنة تقريباً<sup>(1)</sup>، ولكن مع طول هذه الحقبة إلا أنهم لم يمتزجوا بسكان شبه الجزيرة الأصليين إلا بصورة مصغرة جداً، وذلك لأن القوط حرصوا على أن يحتفظوا لأنفسهم بمركز الشعب الحاكم<sup>(2)</sup>

ولم تنعم البلاد في ظل حكم القوط بنصيب كبير من الطمأنينة والرخاء، فقد كانت حالة العصيان والمؤامرات المستمرة التي كان يقوم بها النبلاء من مظاهر الضعف الرئيسة لدولة القوط الغربيين<sup>(3)</sup> من هنا يمكن ان نشير بأن شبه

---

(1) ابن خلدون، العبر، 4/ 117؛ مؤنس، حسين، فجر الاندلس، (دار الرشاد القاهرة 2005)، ص 10.

(2) المراكشي، المعجب، ص 451؛ لمارمول، كرنجا، افريقيا، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي وآخرون، (الرباط، مكتبة المعارف، 1984)، 1/ 168؛ حمودة، علي محمود، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والإجتماعي، (القاهرة، مطابع دار الكتاب العربي، 1975م)، ص 34، 35؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص 10، 11؛ بيضون، ابراهيم، الدولة العربية في اسبانيا، (بيروت، 978)، ص 64.

(3) كانت النواة الأولى للعرب الذين وصلوا الأندلس تتكون من القيسيين والكلبيين، ممن وفد مع موسى بن نصير، ثم جاءت بعدهم دفعة أخرى مع الحر ابن عبد الرحمن الثقفي سنة 94 هـ. ومنذ ذلك تتابعت لهجرات، وسمي أولئك الوافدون مع ابن نصير البلديين، في حين سمي الوافدون مع بلج بن بشير الشاميين، وتدفقت مع الطلائع الأولى للفتح جموع البربر مع طارق بن زياد، وكان أكثرها من زناتة. مزيداً من التفاصيل عن الفتح واستقرار الفاتحين في اسبانيا ينظر كتاب عبدالواحد طه ذنون الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد، (بغداد، 1982).



جزيرة ايبيريا شهدت حقبة مظلمة مشحونة بالفوضى والإضطراب، استمرت حتى سقوط دولة القوط على أيدي العرب الفاتحين سنة 92هـ واستمر وجودهم بها إلى عام 897هـ<sup>(1)</sup>. وانضوت تحت سلطة الدولة الإسلامية في الأندلس فئات وطوائف دينية أخرى ومثل النصارى الأكثرية وضمت أرض الأندلس اليهود إلى جانب النصارى.<sup>(2)</sup>

ومنذ أعوام الفتح الأولى عكس المسلمون صورة التعايش فسجل لنا التاريخ، وثيقة صلح فريدة في تاريخ الفتوحات الإسلامية لأنها وصلتنا كاملة وتعكس فقراتها روح التسامح الإسلامي<sup>(3)</sup> وهي معاهدة الصلح المعقودة بين تدمير وعبد العزيز بن موسى بن نصير (94هـ) ولأهميتها نورد نصها. بسم الله الرحمن الرحيم "هذا كتاب من عبد العزيز بن موسى لتدمير بن غندريس إذ نزل على الصلح أن له عهد الله وميثاقه وما بعث به أنبياءه ورسله، وأن له ذمة الله عز وجل وذمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا يقدم له وإلا يؤخر لأحد من أصحابه بسوء، وأن لا يسبون ولا يفرق بينهم وبين نسائهم وأولادهم ولا يقتلون ولا تحرق كنائسهم ولا يكرهون على دينهم وأن صلحهم على سبع مدائن أوريولة ومولة ولورقة بلنته ولقنت وايه والش وأنه لا يدع حفظ العهد ولا يحل ما انعقد ويصلح الذي فرضناه عليه والزمناه أمره، ولا يكتننا خبراً علمه وأن عليه وعلى أصحابه غرم الجزية من ذلك على كل حر دينار وأربعة

---

(1) مؤنس، فجر الأندلس، ص22؛ حمودة، تاريخ الأندلس، ص38.

(2) عنان، محمد عبدالله، دولة الاسلام في الأندلس، (القاهرة، 1969)، 1/ 203.

(3) السامرائي، خليل ابراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضاراتهم في الأندلس، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، 1986)، ص40.

أمداء من قمح وأربعة أمداء من شعير وأربعة أقساط خل وقسط غسل وقسط زيت وعلى كل عبد نصف هذا<sup>(1)</sup>.

ان بنود هذه المعاهدة تعطينا الانطباع التام على احترام الفاتحين الى السكان الاصليين واحترام ما هم عليه من دين وممتلكات، وهنا نقطة الانطلاق الاولى للتعايش السلمي ابان الفتح العربي الاسلامي لشبه الجزيرة الايبيرية.

### التعايش السلمي الاجتماعي

لم يكن الفتح العربي لاسبانيا احتلالاً عسكرياً بل كان حدثاً حضارياً هاماً وحركة تحرير للشعوب الاسبانية فقد امتزجت حضارة سابقة كالرومانية والقوطية مع حضارة جديدة هي الحضارة العربية الاسلامية، ونتج عن هذا المزج والصهر حضارة اندلسية مزدهرة أثرت في الحياة الاوربية وتركت اثراً عميقة مازالت تتراءى مظاهرها بوضوح حتى اليوم، وباستكمال حركة تحرير اسبانيا استقر العرب والبربر مع سكان البلاد، وكان للسلوك العربي الانساني اثر كبير في تآلف القلوب اذ لم يلبث العرب ان أنسوا اليهم وحصل التزاوج والمصاهرة<sup>(2)</sup>، فنشأت طبقة اجتماعية جدية هي طبقة المولدين التي هي خليط من دم اهل البلاد الاصليين ودم العرب والبربر، كما ظهرت طبقة جديدة اخرى

---

(1) العذري ابن الدلائي، احمد بن عمر بن انس (ت393هـ)، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك (نشر بعنوان عن نصوص عن الأندلس)، تح: عبد العزيز الاهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد (مدريد، 1969)، ص4-5

(2) مؤنس، فجر الأندلس، ص124.

هي طبقة المستعربين وهم الاسبان المسيحيون الذين ظلوا على دياناتهم المسيحية ولكنهم تعربوا بعد دراسة اللغة العربية وآدابها وثقافتها<sup>(1)</sup> ولعل النظر الى مكان تواجد المستعربين وإقامتهم في الحواضر الأندلسية الرئيسية مثل غرناطة وإشبيلية وبلنسية ومالقة وغيرها من المدن الهامة<sup>(2)</sup> تدل على أنهم كانوا يحتلون مكانة اجتماعية متميزة، واحسن العرب سياسة سكان اسبانيا، فقد تركو لهم كنائسهم وقوانينهم واموالهم وحتى المقاضاة الى قضاة منهم، وحرص الفتاحون على الوفاء بعهودهم لاهل الذمة "فمضوا على الوفاء لهم وكان الوفاء عاداتهم"<sup>(3)</sup> وهذه ناتج عما كان عليه العرب الحاملين رسالتهم الانسانية الى كل الشعوب جذب العديد من اهل الذمة والدخول في الاسلام لما يتمتع به العرب المسلمين الفاتحين والمحربين للشعوب من عدالة.

قال المستشرق الفرنسي هنري بريس<sup>(4)</sup> "إنَّ أيَّ شعب مغلوب في أيِّ قطر من الأرض لم يحظ بما حظي به الشعب الإسباني إبان حكم المسلمين من تسامح تجلّى في تطبيق العهود والقوانين الإسلامية التي أعطت لأهل الكتاب حقوقاً

---

(1) العبادي، احمد مختار، في التاريخ العباسي والاندلسي، دار النهضة العربية، (بيروت، 1971)، ص 613.

(2) بوتشيش، إبراهيم القادري، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والاندلس خلال عصر المرابطين، (دار الطليعة، بيروت 1998)، ص 254.

(3) لوبون، جوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعير، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م)، ص 62.

(4) بريس، هنري، وثائق عن التعايش الاسلامي المسيحي في الاندلس عصر ملوك الطوائف، ترجمة الطاهر احمد مكي، (دارالمعارف، 1990)، ص 229.

كاملة في العيش الكريم. وكانت بداية التخالط السكاني والتمازج الثقافي جنوح الكثيرين من السكان إلى اعتناق العقيدة الإسلامية، إذ دخلت في هذا الدين أفواج غفيرة من العبيد والأسرى الذين استعبدتهم القوط والجرمان من قبل، فتحولوا إلى أحرار بحكم اعتناقهم الإسلام. يضاف إلى هؤلاء وأولئك كثيرون من المضطهدين الذين استردوا اثر الفتح أملاكهم وعقاراتهم المصادرة واستعادوا مكانتهم. وكان من نتائج هذا الواقع الجديد تحسن الزراعة ونشاط التجارة وازدهار الاقتصاد. وكان في جملة المستفيدين من الفتح اليهود، إذ تمتعوا بالحماية ونعموا بالرعاية وأعيدت إليهم حقوقهم، وفسح لهم المجال لتولي المناصب الرفيعة في الدولة الإسلامية، ومما أورده المستشرق الإسباني غارسيا غوميس<sup>(1)</sup> أن قرطبة كانت بلداً نصف عربي، يتحدث أهله العربية وعجمية أهل الأندلس، ويختلط فيه رنين الأجراس بأذان المؤذنين. ونجم عن تخالط الأجناس وتجاور الديانات مناخ إنساني سَمَح جميل، وجو حضاري متألق رفيع.

لقد بلغ من أمر المستعربين الإسبان أنهم شغفوا بالعربية وأدبها، حتى أن كثيرين منهم نسوا لغتهم أو تخلوا عنها، وأقبلوا على تعلّم لغة العرب الفاتحين، فراحوا يستعملونها في مخاطباتهم ومعاملاتهم، ويتدارسون آدابها وعلومها، ويرتدون الأزياء العربية، ويصطنعون أساليب الحياة الإسلامية.<sup>(2)</sup>

ومن مظاهر التعايش الذي نهجته الدول الإسلامية التي حكمت الأندلس

---

(1) غومس، إميليو غرسيه، الشعر الأندلسي، بحث في تطوره وخصائصه: ترجمة: حسين مؤنس. (لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1952)، ص 35.

(2) بالثيا، أنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي،، ترجمة: د. حسين مؤنس، (مكتبة دار النهضة المصرية - القاهرة: 1955)، ص 485.



تجاه المستعربين، أنها تركت لهم نظامهم الاجتماعي والقضائي كما كان في العصر القوطي دون تدخل أو إكراه، بل حاولت دائما أن تجد الحلول عبر الاجتهادات التي كانت تقدم للفقهاء<sup>(1)</sup>

ويقول لنا بروفنسال<sup>(2)</sup> "أن الهدف الذي نبتغيه هو إلقاء الضوء على تداخل الإسلام والمسيحية في شبه الجزيرة الإيبيرية وهو تداخل حقيقي مستمر في إسبانيا في العصور الوسيطة سواء في داخل الحدود الإسلامية أم في خارجها. وكذلك هو في أن نظهر الأندلس على أنها لم تكن حتى في ذات الوقت الذي تعرف بأنها لا تقهر، لمتشق الحسام في وجه جيرانها، وإنما كانت هناك سنوات طويلة لهدنات حقيقية أعطت الأندلس خلالها أكثر مما أخذت، كما برهنت في أغلب الأحيان على عقل متسامح إزاء رعاياها المسيحيين لم يعد أحد يماري فيه اليوم" كما قال في موضع آخر حول العلاقة الدائمة بين الإسلام والمسيحية وعن ذلك التعايش بقوله "ما من مكان كانت العلاقات الدائمة ضرورية فيه بين الإسلام والمسيحية، أكثر منها في أسبانيا العربية، فإن معظم سكانها قد احتفظوا، على الأقل في القرن الأول من حكم الإسلام، بالديانة القديمة في دولة الفيزيقيوت [القوات الغربيون]، وفيما بعد، حتى عقب اعتناق أعداد غفيرة من الرعايا النصراني أهل الذمة للإسلام، للاستفادة من نظام مالي أفضل، بقيت نسبة ضخمة من الرعايا المسيحيين تشكل في المدن الأندلسية وحدات مزدهرة، لها كنائسها وأديرتها ورئيسها المسؤول وجابيهما الخاص وقاضيهما الذي يطبق في محكمته، تحت إشراف الإدارة الأموية، القانون القوطي القديم من أما

---

(1) بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 254.

(2) بروفنسال، ليفي، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حامي، مطبعة نهضة مصر، (القاهرة، 1956)، ص 70-71-72.

الاضطهادات التي عانتها فقد كان يسببها دومًا مسيحيون متهوسون يرفضون أن يتراجعوا عن القدح في معتقد سادة البلاد.. وكان أمراء الأندلس وخلفاؤها يقرّون بصورة دائمة تقريبًا اختيار أصحاب الرتب الكهنوتية: مطران طليطلة وأسقف قرطبة. حتى إنهم كانوا يستعملون هؤلاء الأخبار في سفارات أو مهمات سياسية سرية في الوقت المناسب. فلم تكن رؤية الإيكليريكيين الأسبان يتضلعون في معرفة اللغة العربية وآدابها من الأمور النادرة مطلقًا. وهذا ما يجعلنا نفترض وجود اختلاط ودّي، واثق ومتصل بين مختلف عناصر السكان. بل نملك على هذه الناحية شهادة معاصرة لا نستطيع الارتياح في قيمتها، ذلك لأنها صادرة عن واحد من أنشط أبطال المقاومة ضد الإسلام في شبه الجزيرة في القرن التاسع ألا وهو الفارو القرطبي فبينما يحزن لفتور مسيحيي أسبانيا وجهلهم باللاتينية، نراه يمجّد بفصاحة نادرة الثقافة الإسلامية الإسبانية التي كانت في طور التكوين.."

أما الوجه الثاني لهذا التعايش الاجتماعي المبكر فيتمثل في ظاهرة الزواج بين العرب الفاتحين والنساء الإسبانيّات، مما أدى إلى تكوين عائلات وبيوتات بفضل هذا الامتزاج، وهي البيوتات المولدية. لقد أصبحت ظاهرة الزواج والمصاهرة بين الجنسين العربي والإسباني ظاهرة متميزة جعلت من عملية فتح الأندلس مدخلًا لتعايش اجتماعي وحضاري مشترك أكثر منه غزوا عسكريًا. وتحفل المصادر التاريخية بذكر أخبار متفرقة عن نماذج من الزواج العربي-الإسباني، من ذلك ما رواه صاحب كتاب افتتاح الأندلس<sup>(1)</sup> عن زواج عيسى بن مزاحم بسارة القوطية بنت غيطشة، ثم زواجها الثاني بعد وفاة زوجها الأول

---

(1) ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر القرطبي (ت367هـ)، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: عبدالله انيس الطباع، دار النشر الجامعيين، (بيروت، 1957)، ص6.

بعمير بن سعيد اللخمي، وبالمثل فإن عبد العزيز بن موسى بن نصير تزوج بأيلونا المعروفة بأم عاصم<sup>(1)</sup>، ومع مرور الزمن سيزداد إيقاع هذا التزاوج العربي- الإسباني سرعة وشمولا حتى صار الموثقون والعدول يخصصون فصولا من كتبهم لكتابة صيغ نموذجية لعقود زواج المسلمين بالكتايات<sup>(2)</sup>. وقد أفرز هذا الزواج المختلط جنسا يحمل الدم العربي- الإسباني وهو المعروف بجنس المولدين.

ومن ناحية أخرى، شكل الزي الأندلسي وجها آخر للتعایش المشترك بين طوائف وشعوب المجتمع الأندلسي، ولا غرو فقد ظهرت ملامح التأثير الإفريقي في الزي الأندلسي بوضوح، خاصة في الملابس الحريرية المطرزة والقلانس<sup>(3)</sup> نستشف ذلك مما ذكره ابن الخطيب<sup>(4)</sup> عن ابن مردنيش أمير شرق الأندلس إبان العصر المرابطي الأخير حيث مال إلى اتخاذ زي الروم، وفي نفس المعنى أكد

---

(1) مؤلف مجهول، اخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تح: ابراهيم الاياري، دار الكتب الإسلامية، نهضة مصر، (القاهرة، 1981)، ص21

(2) ابن عذاري المراكشي، ابو العباس احمد بن محمد (ت712هـ)، البيان المغرب اخبار الاندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان، وأ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، (بيروت، 1980) 2/ 23.

(3) بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ص86.

(4) ابن الخطيب الغرناطي، لسان الدين محمد (ت776هـ)، اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الاسلام، نشر أ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، (بيروت، 1965)، ص561.

المقري<sup>(1)</sup> أن أمراء وأعيان الأندلس غالبا ما تزينوا باللباس الإفرنجي، وأثناء حديثه عن أنواع الملابس التي انتشرت خلال العصر المرابطي، يشير إلى اشتراك المسلمين والمستعربين في الأندلس في صناعة زي من جلد القلنية، ومن الدلالات على الأزياء المشتركة بين المسلمين والمستعربين أن مصطلح "فشطان" الذي شاع استعماله في اللغة العامية الأندلسية كان يعني في لغة ذلك العصر ثياب الروم، مما يدل على التداخل بين حضارتين كانتا تعيشان على أرض واحدة<sup>(2)</sup>.

وعرف المجتمع الأندلسي أنواعا من العلاقات الإنسانية والاجتماعية بين العرب وغيرهم من الأجناس الأخرى، وبين المسلمين وغيرهم من أهل الديانات الأخرى، وانعكست هذه العلاقات على الحياة اليومية للناس، فتشاركوا في الاحتفالات بالأعياد والمواسم وأصبح أهل الأندلس من المسلمين يحتفلون مع إخوانهم المسيحيين بأعيادهم كعيد رأس السنة أو ما يسمى ينير الذي كان يحتفل به احتفالا كبيرا، سواء في المنازل أو في الشوارع حيث تقام النصبات في الحارات وهي عبارة عن موائد كبيرة يضع عليها الباعة أصناف الحلوى والفواكه، وروي في احتفال أهل الأندلس أن النصبه ببعض بلاد الأندلس يبلغ ثمنها سبعين دينارا أو يزيد على السبعين. وعرف الأندلسيون في الاحتفال بهذا اليوم حلوى خاصة اسمها المدائن، والظاهر أنهم كانوا يتفنون في

---

(1) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ)، نفخ الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تح: د. احسان عباس، دار صادر (بيروت 1388هـ-1968)، 62/2، 111.

(2) الأهواني، عبد العزيز، ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد 3، ج2/ 254.



صنعها والإنفاق عليها كل حسب طاقته ومقدرته المالية، بل كانت بعض النساء يغالين في الاحتفال بهذا العيد طالبات من أزواجهن النفقة الباهضة قد لا يقدرّون على دفعها<sup>(1)</sup>.

## حرية الاعتقاد

جاء الإعلان القرآني الصريح بكمال البيان والوضوح في قوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ

أَسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(2)</sup> وتفعيلاً لهذا المبدأ الصريح عمل المسلمون عبر تاريخهم الطويل على عرض الإسلام على الناس دون إكراه، وتوسع سلطانهم السياسي والجغرافي بالقوة، دون أن يتوسع سلطانهم الديني والعقدي بها، بل بالإقناع والقدوة والجدال بالتي هي أحسن وبحسن الخلق.

وللتحاور في الإسلام أصوله وأخلاقه التي لا يرتضي الإسلام سواها في عرض عقيدته من الأدب في الخطاب والصدق والإخلاص في تحرير الآخرين من

---

(1) حول الأعياد ينظر، ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (ت586هـ)، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، (القاهرة، 1953)، ج1/ 294؛ ابن بسام الشنتريني (ت524هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، 1979)، والقسم الثاني، المجلد الأول، تح: الدكتور لطفي عبد البديع، (القاهرة 1975)، ق1 ص562، ق1، ج2، ص705-707؛ العبادي، احمد مختار الأعياد في مملكة غرناطة، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمطرد، سنة 1970، مجلد 15/ 140.

(2) سورة البقرة، الآية 256.

الباطل، يضاف هذا كله إلى عدم إكراههم على تغيير معتقدتهم. والقرآن مليء  
بجدال الكفار والبراهين العقلية التي تدين باطلهم من كتبهم ومعتقداتهم. وكما لا  
يرضى الإسلام لأتباعه إلا الحق والأدب والعدل والإنصاف مع الآخرين عند  
جداهم، فإنه لا يقبل عكس ذلك من غير المسلمين. وكما لا يأذن لأتباعه،  
ولا يميز لهم السخرية من معتقدات الآخرين، فإنه لا يأذن لغير المسلمين بالمساس  
بمعتقدات المسلمين تضمنته نصوص عديدة من القرآن كقوله تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا  
أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا  
وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (1)

ولم يكن الاعتقاد بغير الإسلام يوماً ما سبباً في التمييز بين المسلمين  
والمواطنين غير المسلمين في المعاملة أو العدل أو في وظائف الدولة، إلا تلك  
الوظائف التي تحول طبيعتها دون قيام أناس لا ينتمون إلى عقيدة النظام السياسي  
الحاكم بتوليها كالقضاء ورئاسة الدولة والجيش والأمن العام والجهاد الذي يحتاج  
إلى نية وإخلاص لله لا يتوفر عليهما غير المسلم ويشهد التاريخ بصدق ذلك، إذ  
قام المسلمون باستعمال غير المسلمين في مواقع عديدة في المجتمع الاسلامي (2).

ومنذ فتح المسلمين للأندلس، تعايشت الديانات السماوية الثلاث الإسلام  
والمسيحية واليهودية جنباً إلى جنب كانت الحرية الدينية التي سادت في المجتمع  
الأندلسي عاملاً فعالاً في توجيه الناس للمعرفة والأخذ بأسباب التعلم بلغات  
مختلفة عربية أو عبرية أو لاتينية، فكان العرب يدرسون هذه اللغات إلى جانب

(1) سورة العنكبوت، الآية 46.

(2) ينظر، امين، احمد، فجر الاسلام، (بيروت، 1969)، ص 91، 155.

اللغة العربية، كما كان غيرهم من المسيحيين واليهود يقبلون على دراسة اللغة العربية بجانب لغتهم الأم<sup>(1)</sup>

وعاشت هذه العناصر منذ الفتح في سلام وطمأنينة، وعملت الخلافة الإسلامية منذ الفتح على احترام هذه التعددية فأما اليهود فقد وثق المسلمون فيهم عند الفتح وضموهم في كل بلد مفتوح مع حامية إسلامية. وقد تركوا لهم حرية العقيدة وحرية التنظيم الداخلي للجماعة اليهودية، وأما أهل الذمة من النصارى فقد ذكرنا كيف أن العرب الشاميين نزلوا على أموالهم، وكان لهم قضاتهم كما كان لهم مطران مركزه طليطلة، وحفظ العرب لهم أديرتهم وأكثر كنائسهم<sup>(2)</sup>

فالنصارى الذين بقوا بعد فتح الأندلس في المدن والبقاع المفتوحة، في ظل الدولة الإسلامية، وكانوا يكونون مجموعات كبيرة في قواعد الرئيسية مثل قرطبة وإشبيلية وطليطلة، وكان من الطبيعي أن يكون عددهم كبيرا في كل أرجاء الأندلس وكان هؤلاء النصارى أو الأعاجم يكونون طبقتين داخل المجتمع الأندلسي، طبقة عليا، جماعها كبار النصارى ووجوههم، وطبقة من العامة، وقد غير الفاتحون من وضع هؤلاء الاجتماعي، ومكنوهم من خدمة الأرض مقابل جزء يسير من متوجها يؤدونه للدولة، ويحتفظون هم بجله، وكانوا قبلا أقنانا

---

(1) ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، تح: محمد عبدالله عنان، دار المعارف، (القاهرة، 1973)، 67/3.

(2) عباس، احسان، تاريخ الادب الاندلسي - عصر سيادة قرطبة -، دار الثقافة، (بيروت، 1960)، ص 13.

مملوكين<sup>(1)</sup>. وكان كل امتيازاتها الاجتماعية، إذ أخذت جل أرض الأندلس صلحا، وعليه فإن أصحابها كانوا يبيعون ويبيع منهم، وأبناء آخر ملوك القوط حافظوا على ثلاثة آلاف ضيعة سميت بعد ذلك صفايا الملوك<sup>(2)</sup>

أما بالنسبة لحرية المعتقد بالنسبة لمسيحيي الأندلس، فإن السلطة الإسلامية كفلت لهم الحرية الدينية منذ بداية الفتح الإسلامي للأندلس، وكذلك استمر المر خلال عصر الولاة والإمارة والخلافة<sup>(3)</sup>، يقول ابن حوقل<sup>(4)</sup>: "وبالأندلس غير ضيعة فيها الألوف من الناس لم تمدن وهم على دين نصرانية الروم".

وأشار الونشريسي<sup>(5)</sup> في إلى التسامح في بناء الكنائس والحظ على عدم تهديمها وظل الحفاظ على الكنائس سنة كما سنها عبد الرحمن بن معاوية، الذي وجد المسلمين يقاسمون نصارى قرطبة في كنيستهم العظمى، فأوسع لهم البذل في شطرهم، وفاء بعهد المصالحة، وأباح لهم بناء كنائسهم التي كانت قد هدمت إبان الفتح وكذا بناء كنيستهم العظمى خارج قرطبة<sup>(6)</sup>. وكانت الأناجيل أيضا

---

(1) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، حققه وترجمه لاسبانية: لويس موليفا، نشر معهد ميغيل اسين، (مدريد، 1983)، ص7؛ طه، الفتح والاستقرار العربي في شمال افريقيا والأندلس، ص81-82

(2) الحميري، الروض المعطار، ص169-170؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 258؛ مؤنس، فجر الأندلس، 465؛ عنان، دولة الاسلام / 1 / 63.

(3) أنظر التفاصيل عند، بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص82.

(4) ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي (ت367هـ)، صورة الارض، (بيروت، 1979)، ص111

(5) المعيار، ج 2 / 214

(6) ابن عذاري، البيان، 2 / 229

شائعة الرواج يطالعها النصراني وغير النصراني، وقد أفاد منها ابن حزم<sup>(1)</sup> كثيراً، وكان يصاحب رجال الكنيسة ويمجادهم.

والراجح أن التسامح الديني الذي أبداه مسلمو الأندلس، والسلوكيات الحضارية التي تعاملوا بها مع الأهالي المسيحيين، ما جعل هؤلاء يعتنقون الإسلام. فالمصادر تمدنا بين الفينة والأخرى بأخبار بعض المسيحيين الذين أسلموا<sup>(2)</sup>.

إن الاختلاط في السكن والمعاملات التجارية والنشاطات الاقتصادية، تفرض حتماً وقوع نزاعات مما يستوجب تدخل القضاء، وقد كان الفاتحون منذ البدء على وعي بما يحدث في مقبل الأيام، لذلك مكنوا لأهل الذمة استقلالاً فيما يخص قضاياهم، ولم يمس المسلمون أيّاً من شؤونهم الخاصة وعبادتها وأماكنها، ولم يمنعوهم من الاحتكام إلى دينهم وتركوا في هذا أحراراً<sup>(3)</sup>، ولذلك ترى المسجد إلى جانب الكنيسة، ولم تتخذ الكنائس مساجداً، إلا في حالات استبدالها أو هجرها، بعد دخول الناس في الإسلام<sup>(4)</sup>.

---

(1) ابن حزم الأندلسي (ت456هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، صححه وذيله: عبد الرحمن خليفة، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، (مصر، 1347هـ - 1982م)، 2/ 20.

(2) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص263.

(3) الحججي، عبد الرحمن علي، اندلسيات، المجموعة الثانية، (بيروت، 1969)، 2/ ص26، وص158.

(4) الحججي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة، (دار القلم، دمشق، 1976)، ص158. ينظر، مؤنس، فجر الأندلس، ص492؛ سالم، السيد عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (بيروت، 1971)، ص286.



وظل المسيحيون يتمتعون في القواعد الرئيسية مثل قرطبة وإشبيلية وطليلة باستقلال ذاتي، ويطبقون شرائعهم القوطية القديمة على يد قضائهم وتحت مسؤولية قواميسهم، الذين كانوا يتمتعون باحترام كبير، وكانوا من مستشاري الخلفاء في قضاياهم الخاصة، وفي قضايا النصارى وأحوالهم. ويذكر أن عبد الرحمن بن معاوية هو الذي نصب أول قومس في الأندلس. ويبدو أن القومس كان يرأس جهازا إداريا كاملا مركزه قرطبة وفروعه في الكور. وهكذا فقد كان أهل الذمة في مختلف مدن البلاد وكورها يسرون أمورهم برئاسة شيوخ من أهل دينهم ذوي حنكة ودهاء ومدارة ومعرفة بالجبابة. وعليه فإن قضايا الطائفة خلال القرن العاشر كانت تدبر بواسطة موظفين تختارهم الطائفة باتفاق مع السلطة الإسلامية العليا<sup>(1)</sup>.

أما اليهود الذين استوطنوا الأندلس قبل الفتح كانوا عوناً للفاطحيين، يقول المقرئ عن فتح طارق ووقوف اليهود مع الفتح بقوله: "...ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه إلى البيرة، فحاصروا مدينتها وفتحوها عنوة، وألفوا بها يهودا ضمواهم إلى قصبة غرناطة، وصار ذلك سنة متبعة متى وجدوا بمدينة فتحوها يهودا، ويضمونهم إلى قصبتها ويجعلون معهم طائفة من المسلمين يسدونها"<sup>(2)</sup>. ولليهود طوائف ذات أهمية كبرى في عديد من المدن، مثل قرطبة وإشبيلية ولسيانية وغرناطة وطليلة وقلعة حماد وسرقسطة، وكذا في مدن الشمال، مثل برشلونة وطركونة وطرطوشة<sup>(3)</sup>.

---

(1) مؤنس، فجر الأندلس، ص 462.

(2) نفح الطيب، ج 1، ص 10؛ ينظر، ابن عذاري، البيان، ج 2، ص 12.

(3) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت 469هـ)، المقتبس في أخبار الأندلس، تح: عبد =

وما تمتع به اليهود من حرية دينية تمثلت في السماح لهم بالحج إلى بيت المقدس، وتأليف الكتب الدينية. كما ظهرت مجموعة من الأحرار في مدن أندلسية كقرطبة وغرناطة وأليسانة. وتعددت معابد اليهود في الأندلس إلى درجت أنها أثارت انتباه العامة، فذكروها في أمثالهم<sup>(1)</sup>.

ظلت سلطة اليهود ومقاليدهم أمورهم الدينية الخاصة بهم بين أيديهم، فقد جرت العادة على أن تعين السلطة رأس الجالوت أو الناسي أو شيخ اليهود، للقضاء في أمرهم وبتشريعهم، ويكون هذا الشيخ نفسه هو الواسطة بينهم وبين السلطة المدنية.<sup>(2)</sup>

ويقول ول ديورانت<sup>(3)</sup> "على الرغم من خطة التسامح الديني التي كان ينتهجها المسلمون الأولون أو بسبب هذه الخطة، اعتنق الدين الجديد معظم المسيحيين، وجميع الزردشتيون والوثنيين إلا عددًا قليلًا جدًا منهم، وكثيرون من اليهود، وحيث عجزت الهلينية عن أن تثبت قواعدها بعد سيادة دامت ألف عام، وحيث تركت الجيوش الرومانية الآلهة الوطنية ولم تغلبها على أمرها، وفي البلاد التي نشأت فيها مذاهب مسيحية خارجة على مذهب الدولة البيزنطية الرسمي،

---

الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، (بيروت، 1965)، ص 149؛ مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص 12-13؛ ابن عذاري، البيان، 2/12.

(1) مؤنس، فجر الاندلس، ص 525.

(2) ابن بلقين، عبد الله بن بلقين (ت: 483 هـ)، مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان، تح: ليفي بروفنسال (القاهرة، دار المعارف، 1955م)، ص 131.

(3) ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ط 2، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1964)، 13/133

فإن هذه الأقاليم كلها انتشرت فيها العقائد والعبادات الإسلامية، وآمن السكان بالدين الجديد وأخلصوا له، واستمسكوا بأصوله إخلاصًا واستمسكًا أنسيانهم بعد وقت قصير آلهتهم القدامى، واستحوذ الدين الإسلامي على قلوب مئات الشعوب في البلاد الممتدة من الصين وحتى الأندلس، وتملك خيالهم وسيطر على أخلاقهم، وصاغ حياتهم، وبعث فيهم آمالاً تخفف عنهم بؤس الحياة ومتاعبها، وأوحى إليهم العزة والأنفة، حتى بلغ عدد من يعتنقونه ويعتزون به في هذه الأيام [مئات الملايين] من الأنفس، يوحد هذا الدين بينهم، ويؤلف قلوبهم مهما يكن بينهم من الاختلافات والفروق السياسية

حرية الفكر رغم هيمنة العرب على الأندلس، فقد أشاعوا ثقافة متسامحة أساسها الاختلاف والتنوع، والذي يهمننا في هذا البحث هو تسليط الضوء على اهتمام أهل الذمة بعلوم اللغة العربية والتميز فيها أدبا وشعرا.

لقد انتشرت اللغة العربية في أوساط الإسبان، وظلت وسيلة للتعبير الكتابي حتى انتهاء الحكم الإسلامي في الأندلس كما يؤكد ذلك المستشرق الإسباني بالنتيا<sup>(1)</sup>

من جهة أخرى فإن العامية الأندلسية المعروفة باسم العجمية أو الرومانسية أو اللطينية شاعت في الأندلس، وهي لغة تختلط فيها الألفاظ العربية واللاتينية. والراجح أنها كانت شائعة لدرجة كبيرة حتى أن ابن حزم<sup>(2)</sup> يبيدي استغرابه من كون إحدى العائلات الأندلسية المشهورة وهي "دار بلي" لا يحسن

---

(1) تاريخ الفكر الأندلسي، ص 488

(2) جهرة انساب العرب، تح: ليفي بروفنسال، (بلا. ت)، ص 443

أهلها التحدث باللاتينية، وعلى كل حال، فإن هذه اللغة لم تقتصر على كونها وسيلة للتداول في المنازل والشوارع<sup>(1)</sup>، بل غزت أجناساً أدبية أخرى في اللغة العربية الفصحى مثل الأزجال والموشحات<sup>(2)</sup>

ولم يتردد المجتمع الإسباني، كما يبدو، من سرعة اندماجه في المنظومة الحضارية الإسبانية، في استعارة طائفة من الكلمات والألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية والعادات من طرف الآخر، بل وحتى لغة التداول والتواصل التي كان يستعملها الإسباني في خطابه اليومي مستعار أغلبها من اللغة العربية المتداولة في الشارع الأندلسي، فاللغة التي يتكلم بها الإسبان اليوم فيها ما يزيد على 1290 كلمة عربية. وإن دل هذا الرقم على شيء فإنما يدل على أن الإسبان والبرتغالي يتكلمون اليوم العربية وهم لا يعلمون<sup>(3)</sup>.

وفي المجال العلمي عرفت الساحة الأندلسية في العصور الوسطى ظواهر حضارية في غاية من الرقي والتقدم والشفافية، ويتعلق الأمر بالمعاهد العلمية المشتركة التي كانت تحتضن اليهود والنصارى والمسلمين في آن واحد حيث يتلقى الحاضرون مختلف العلوم باللغة العربية التي يفضلونها. فقد ذكر لسان الدين ابن الخطيب في كتابه الإحاطة عن العالم الغرناطي عبد الله بن سهل الذي كانت له مدرسة في مدينة بياسة في عام 553 هـ/1158 م وكان يحضر دروسه في الفلسفة

---

(1) بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ص 79

(2) أنظر مقدمة إحسان عباس في تحقيقه لديوان الأعمى التطيلي، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، 1980 ص حرف ث

(3) بالنشأ، تاريخ الفكر الأندلسي، ص 573/574



والعلوم الرياضية جمع كبير من المسلمين والنصارى واليهود<sup>(1)</sup>، وتحدث بعده المقرئ في كتابه نفح الطيب عن الأستاذ محمد بن أحمد بن أبي بكر القرموطي الذي كان له مجلس بمرسية يحضره المسلمون والنصارى واليهود على السواء، يلقي فيه أنواع العلوم القديمة: النطق والهندسة والطب والموسيقى أكثر من هذا لما عادت مرسية إلى حكم النصارى، قدر الحاكم الجديد للأستاذ القرموطي الدور العظيم الذي كان يؤديه، فبنى له مدرسة تابعت عملها في تلقين المسلمين والنصارى واليهود<sup>(2)</sup>

إن النزعة العامة للكنيسة المسيحية تجاه الفلسفة والعلم هي نزعة عدائية. ويرجع الفضل للإسلام في محافظته على الروح العلمية الفلسفية وإرجاعها إلى المجتمع الأوروبي، إذ كان الإسلام حامياً للكثير من المعلمين والفلاسفة الذين هجروا أوطانهم بنتيجة اضطهاد المسيحية إياهم. والواقع أن العلم لم يرجع إلى أوروبا إلا بواسطة الإسلام الذي امتد سلطانه إلى الأندلس.. وأن هذا العلم الذي انتشر في أوروبا عن طريق الإسلام أخذ يعمل في عقول المفكرين شيئاً فشيئاً حتى كانت النتيجة أن أحدث صراعاً عنيفاً بين الكنيسة وساسة الشعوب المفكرين فكان نصيب الكنيسة التسليم بمعظم ما كانت تتمتع به من سلطان<sup>(3)</sup>.

ويشير غوستاف لوبون<sup>(4)</sup> أن دراسة الاستعارات (اللغوية) التي تنفع

---

(1) الإحاطة، 3/ 405.

(2) المقرئ، نفح الطيب، 4/ 130.

(3) سوسة، أحمد، في طريقي إلى الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2006 هامش 1، 188-189

(4) حضارة العرب في الأندلس، ص 80-81.



القشتالية والبرتغالية والقطالونية وهي اللغات القومية الحالية في شبه الجزيرة عبيراً من العربية جد نفاذ ومدعاة للبحث، هذه الدراسة لا تقدم لنا قيمة في فقه اللغة فحسب بل إنها تكتسي طابع الأهمية الخاصة حالما نتوسع فيها لتشمل وقائع الحضارة التي بردت هذه الاستعارات اللغوية، فهي تقدم الدليل الضمني، ولكن الذي لا جدال فيه، على الأثر العميق الذي مارسه الثقافة العربية الأندلسية على السكان المسيحيين في الكتلة الإيبيرية بكاملها.. لقد وجد هؤلاء أنفسهم مضطرين لأن يأخذوا عن العربية كل ما كان ينقصهم حتى ذلك الوقت للتعبير عن المفاهيم الجديدة وبخاصة في مضمار المؤسسات والحياة الخاصة. وهذا التحقق هو غني بالمعلومات بصورة فريدة.

ويقول أيضاً كان العالم السياسي الإسباني السيد -Cl. Sanchez Albornoz رئيساً لجامعة مدريد فسفيراً لبلاده ثم وزيراً لشؤونها الخارجية، إلا أنه كان ويبقى، قبل كل شيء، مؤرخاً على مستوى عالٍ.. أنه يعرف، أكثر من أي شخص آخر، كيف أشرف الإسلام على هذه البلاد وماذا كان تراثه الرئيسي فيها: تأثير عميق على الفكر الإسباني لا يمكن إنكاره.. لنترك له الكلام ونردد معه كلمة هذا الاعتراف المؤثر العضوي: المسألة اليوم ليست مسألة ظلمات العصور الوسطى، ولكن علينا أن نرى مقابل أوروبا التي تنمو في التعاسة والانحطاط، حضارة إسبانيا المسلمة الرائعة. فإن أساتذة الدراسات العربية يفتحون لنا كل مرة آفاقاً جديدة عن مدى تألق هذه الثقافة الإسبانية المغربية وعمقها. فقد ادعوا أن لها مقاماً حاسماً في تكوين الفلسفة والعلم والشعر وجميع ثقافة أوروبا المسيحية. وبرهنوا على أن تأثيرها قد بلغ حتى ذرى الفكر الوسيط. بلغ القديس توماس ودانتي. كثيرون ولا شك، في كل ناحية من ناحيتي جبال البيرنيه والبحر المتوسط الذين ينفرون حتى الآن من الإقرار لها بهذا التفوق

وذلك الدور الموجه. ومع ذلك فإن براهين وافية للغاية تؤكد ذلك منذ الآن. ومن يوم على يوم تنبجس أخرى جديدة. وقد انقضت عدة قرون قبل أن تعمل النهضة من جديد على تفجير ينابيع كادت تنضب، كان نهر الحضارة الذي ينهمر في قرطبة يحفظ جوهر الفكر القديم وينقله إلى العالم الجديد<sup>(1)</sup>

لقد فضلت أن أكتفي بهذه الشواهد الإيجابية والنماذج الحية من التعايش العربي الإسباني اقتبسناها من مصادر عربية أندلسية ومصادر معربة لأرسم صورة تقريبية لمدى التعايش بين العناصر المتساكنة في شبه الجزيرة الإيبيرية.

## الخاتمة

أزعم أن التعايش السلمي بين الديانات السماوية الثلاث شكل سمة من سمات الحوار الحضاري الذي عرفته الأندلس، وهو حوار حضاري، أنتج العقلية الأندلسية المفتوحة، وأدى إلى لقاء الثقافات المختلفة على صعيد واحد، وأدى إلى تلاقح العقول، وهو حوار حضاري ما أحوجنا اليوم لمثله، فقد أثبتت التجربة الأندلسية أنه إذا ما توفرت الأجواء الصحيحة والتسامح فإن الدين لا يشكل عقبة أمام الحوار الحضاري، وإن الدين لا يصبح كما يقول البعض من أنه كان سببا من أسباب الصدام الحضاري، وإذا ما ابتعد عن التعصب والتحيز. والجدل الديني كما اتضح من التجربة الأندلسية، جدل قائم على قبول الرأي والرأي الآخر، وعلى فتح باب الخيار أمام المتجادلين وغيرهم، وعدم إجبارهم على قبول مالا يرضون، أو التقليل من شأنهم، ولم يرد في المصادر ما يشير إلى أن المتجادلين والمخاورين من أتباع النصرانية أو اليهودية قد تعرضوا للضرب أو

---

(1) لوبون، حضارة العرب في الأندلس، ص 87-88.

السجن، ناهيك عن القتل. وهذا هو التعايش السلمي المطلوب. الذي يؤدي إلى حوار حضاري. وهو الحوار الحضاري الذي شهدته الأندلس، وقام بين الحضارة الإسلامية وحضارة أهل الكتاب بشقيها اليهودي والنصراني.

وان الاسلام لم يأت لينفي المسيحية او اليهودية وانما ليؤكدهما معتبرا نفسه استمراراً لهما واحياء لسنة ابراهيم ابي الانبياء. اذ لم يرد في القرآن عن نبي الاسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه اول موحد في العالم بل نرى الحديث عنه وعن التوحيد يشمل عددا من الاشخاص ولا سيما اولئك الانبياء الذين سبقوه ودعوا لنفس الاله وعبدوه ومن بين هؤلاء نجد اشخاصاً من الكتاب المقدس كما نجد انبياء عرب ارسلهم الله لمختلف الشعوب العربية القديمة ومن ذلك نجد ان الاسلام تميز منذ انطلاقة الاولى بصفة الشمولية او الكونية الامة، ليس بتوجهه الى الامم والشعوب المختلفة فقط، بل بأخذه فكرة تدرج المعرفة البشرية واستيعاب المرحلة اللاحقة لما قبلها وتخطيها لها، وإيمانه بوحدة العقل البشري ووحدة العالم رغم وجود خصائص تميز الشعوب والامم. إسبانيا المسلمة هي برهان ملموس على كل هذا، وهي تحد سافر للأفكار الجاهزة، وللقوالب المسبقة حول الإسلام والمسلمين. الإسلام كان الحضارة المتفوقة، وكان الطرف الخلاق حين كانت المسيحية متخلفة عنه قروناً كثيرة، ولقد عاشت المجموعات السكانية المختلفة بظله بتناغم وتجانس دون اعتبار للعرق والدين. لقد تمكن الإسلام هناك من خلق مجتمع التعايش السلمى..

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

ابن بسام الشنتري (ت 524هـ)

(1) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، 1979)، والقسم الثاني، المجلد الاول، تح: الدكتور لطفي عبدالبديع، (القاهرة 1975)

ابن بلقين، عبد الله بن بلقين (ت: 483 هـ)

(2) مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان، تح: ليفي بروفنسال (القاهرة، دار المعارف، 1955م).

ابن حزم الاندلسي (ت 456هـ)

(3) الفصل في الملل والاهواء والنحل، صححه وذيله: عبدالرحمن خليفة، مطبعة محمد علي صبيح واولاده، (مصر، 1347هـ - 1982م)

(4) جمهرة انساب العرب، تح: ليفي بروفنسال، (بلا. ت).

الحميري، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم (ت 710هـ)

(5) الروض المعطار في خبر الاقطار، جزء منتخب منه نشر نشر بعنوان (صفة جزيرة الاندلس)، نشره: ليفي بروفنسال، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1937).

ابن حنبل، احمد (ت 241هـ)

(6) المسند، (مصر، مؤسسة قرطبة، بلا. ت)

- ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي (ت367هـ)  
(7) صورة الارض، (بيروت، 1979).
- ابن حيان، ابو مروان حيان بن خلف (ت469هـ).  
(8) المقتبس في اخبار الاندلس، تح: عبدالرحمن علي الحجبي، دار الثقافة، (بيروت، 1965).
- ابن الخطيب الغرناطي، لسان الدين محمد (ت776هـ)  
(9) الاحاطة في اخبار غرناطة، تح: محمد عبدالله عنان، دار المعارف، (القاهرة، 1973).
- (10) اعمال الاعلام في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الاسلام، نشر  
أ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، (بيروت، 1965).
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت 808هـ)  
(11) كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن  
عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون،  
مؤسسة جمال للطباعة والنشر، (بيروت، 1979).
- ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (ت586هـ)  
(12) المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر،  
(القاهرة، 1953).
- السللاوي، ابو العباس احمد بن خالد (ت 1315هـ)  
(13) الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد  
الناصرى، دار الكتاب، (الدار البيضاء، 1955).



ابن الشباط، محمد بن علي التوزري (ت: 681 هـ / 1282م)

(14) وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط، تح: أحمد مختار العبادي (مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، 1971م).

ابن عذاري المراكشي، ابو العباس احمد بن محمد (ت712هـ)

(15) البيان المغرب اخبار الاندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان، وأ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، (بيروت، 1980).

العذري ابن الدلائي، احمد بن عمر بن انس (ت393هـ)

(16) ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك (نشر بعنوان عن نصوص عن الأندلس)، تح: عبدالعزيز الاهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد (مدريد، 1969).

ابن القوطية، ابو بكر محمد بن عمر القرطبي (ت367هـ)

(17) تاريخ افتتاح الاندلس، تح: عبدالله انيس الطباع، دار النشر لجامعيين، (بيروت، 1957)

مؤلف مجهول

(18) اخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تح: ابراهيم الاياري، دار الكتب الإسلامية، نهضة مصر، (القاهرة، 1981).

مؤلف مجهول

(19) ذكر بلاد الاندلس، حققه وترجمه لاسبانية: لويس موليفا، نشر معهد ميغيل اسين، (مدريد، 1983).

المراكشي، عبدالواحد بن علي (ت647هـ)

(20) المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان،  
مطابع شركة الاعلانات الشرقية، (القاهرة، 1963).

المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ)

(21) نفخ الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تح: د. احسان عباس، دار  
صادر (بيروت 1388هـ-1968).

## ثانياً: المراجع

امين، احمد

(22) فجر الاسلام، (بيروت، 1969)

الأهواني، عبد العزيز

(23) ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة، مجلة معهد  
المخطوطات العربية، المجلد 3

بالنشا، أنخل جنتالث

(24) تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: د. حسين مؤنس، (مكتبة دار النهضة  
المصرية- القاهرة: 1955)

بروفنسال، ليفي

(25) الاسلام في المغرب والاندلس، ترجمة السيد عبدالعزيز سالم ومحمد  
صلاح الدين حامي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، 1956.

بوتشيش، إبراهيم القادري

(26) مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، (دار الطليعة، بيروت 1998)

بيريس، هنري

(27) وثائق عن التعايش الاسلامي المسيحي في الاندلس عصر ملوك الطوائف، ترجمة الطاهر احمد مكي، (دار المعارف، 1990).

بيضون، ابراهيم

(28) الدولة العربية في اسبانيا، (بيروت، 1978).

الأعمى التطيلي، أحمد بن عبد الله بن هريرة القيسي

(29) ديوان شعر، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، 1980

الحجي، عبدالرحمن علي

(30) التاريخ الأندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط الخلافة، (دار القلم، دمشق، 1976).

(31) اندلسيات، المجموعة الثانية، (بيروت، 1969)،

حمودة، علي محمود

(32) تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، (ط 1، القاهرة، مطابع دار الكتاب العربي، 1975م)

سالم، السيد عبد العزيز

(33) قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (بيروت، 1971).

السامرائي، خليل ابراهيم وآخرون

(34) تاريخ العرب وحضاراتهم في الأندلس، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، 1986).

سوسة، احمد

(35) في طريقي إلى الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2006

طه، عبد الواحد ذنون

(36) الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والاندلس، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد، (بغداد، 1982).

العبادي، احمد مختار

(37) في التاريخ العباسي والاندلسي، دار النهضة العربية، (بيروت، 1971)

(38) الأعياد في مملكة غرناطة، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، مجلد 15 سنة 1970

عباس، احسان

(39) تاريخ الادب الاندلسي - عصر سيادة قرطبة -، دار الثقافة، (بيروت، 1960).

العدوي، ابراهيم احمد

(40) المسلمون والجرمان (الإسلام في غرب البحر المتوسط)، (ط 1،  
القاهرة، دار المعرفة، 1960م)

عنان، محمد عبدالله

(41) دولة الاسلام في الاندلس، (القاهرة، 1969)

غومس، إميليو غرسيه

(42) الشعر الأندلسي، بحث في تطوره وخصائصه: ترجمة: حسين مؤنس.  
(لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1952).

لمارمول، كرينجا

(43) افريقيا، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي وآخرون، (الرباط، مكتبة  
المعارف، 1984)

لوبون، جوستاف

(44) حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، (الهيئة المصرية العامة للكتاب،  
1998م)

مؤنس، حسين

(45) فجر الاندلس، (دار الرشاد القاهرة 2005). ديورانت، ول

قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ط2، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة  
والنشر، 1964).





# العمران الأندلسي

## (الاثار الكبرى الباقية)





## المران الأندلسي

### (الأثار الكبرى الباقية)

فتح العرب بلاد الأندلس عام 91هـ/711م، وحاول عدد من الباحثين مناقشة هذا الاسم الأندلس: لغوياً وتاريخياً واهتموا بمدلوله جغرافياً، يرى البعض أن التسمية مشتقة من كلمة الوندال<sup>(1)</sup>، وحاول البعض إخضاع الكلمة لقواعد الصرف والاشتقاق ليخلص إلى أنها "كلمة عجمية لم تستعملها العرب في القديم، وإنما عرفتھا العرب في الإسلام"<sup>(2)</sup> الكلمة الآن تدل على الجزء الجنوبي من أسبانيا والذي يحوي مدناً وقرى لا تزال تحتفظ بأسمائها مثل: مالقة، المرية، غرناطة، اشبيلية، قرطبة، كل هذه الأسماء لها وقعها الخاص في أسماعنا وتاريخنا.

وكثيراً هم أولئك الذين وصفوا الأندلس فالحميري بقوله "اسم الأندلس في اللغة اليونانية اشبانيا ... وقيل اسمها في القديم أباريه ثم سميت بعد ذلك باطقة، ثم سميت اشبانية من اسم رجل ملكها في القديم كان اسمه اشبان"<sup>(3)</sup>.

ووصفها ياقوت الحموي بقوله "... الأندلس جزيرة كبيرة فيها عامر وغامر، طولها نحو الشهر من نيف وعشرين مرحلة تغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر والرخص والسعة في الحال"<sup>(4)</sup>.

ودخل العرب الأندلس فلم يجدوا فيها شعباً عريقاً في الحضارة كما وجدوا في مناطق أخرى دخلوها فقد وجدوا أناساً حديثي عهد بالحضارة، فتركوا آثارهم شاخصة وخرجوا من الأندلس وتركوا إبداعاً مما أبدعه أبناؤهم طيلة عقود من عمر الزمن لم تغيره السنون والأحداث، فمن آلاف أشجار

النخيل إلى القصور والقلاع والحصون مروراً بآلاف الكلمات العربية في اللغة الأسبانية كلها شواهد إلى أن نور الإسلام ما انطفأ وإن كانت حقبة من الزمان قد أسدلت عليها ستاراً من التعقيم.

ومن مظاهر الحضارة التي تركها العرب منشآت معمارية كثيرة فهي تعد دلالة على الرخاء الاقتصادي فقد اختار العرب قرطبة حاضرة للأندلس الإسلامية وقد أصبحت في عهد الخلافة صورة حقيقية لمظاهر ازدهار، فقد كانت من أكبر وأجمل عواصم العالم آنذاك<sup>(5)</sup> و"حوت كل شيء تزهو به المدن"<sup>(6)</sup>

وعندما فتح المسلمون قرطبة اتخذ وسط كنيستها المعروفة شنت فنجنت مسجداً لهم<sup>(7)</sup>، وبقي الشطر الآخر كنيسة للنصارى بحيث يؤدي كل منهما شعائر دينه<sup>(8)</sup> ثم اشترى عبد الرحمن الداخل النصف الثاني من الكنيسة وأسس جامع قرطبة الكبير<sup>(9)</sup>. (صوره رقم 1).

ويعد المسجد الجامع أشهر وأكبر المساجد على الإطلاق (صوره رقم 2) وهو آية من آيات الفن ترك أمراء بني أمية بصماتهم عليه زيادةً وتوسعاً إلى انتهى بكامل روعته في عصر الخليفة الناصر<sup>(10)</sup> بدأ بناءه عبد الرحمن الداخل ودام بناءه اثني عشر شهراً ثم شيد هشام الأول المئذنة وزاد عبد الرحمن الثاني أروقته ومحرابه ووضع محمد الأول مقصورته وشيد عبد الرحمن منارته العظيمة، وزاد الحكم الثاني امتداد أروقته إضافة إلى مقصورة جديدة لها ذات أقواس متقاطعة مفلطحة وقيماً ذات أضلاع رائعة الشكل. وفي زمن الحاجب المنصور، زادت أروقة الجامع فبلغت تسعة عشر وفي كل رواق خمسة وثلاثون عموداً، وأحيط الجامع بسور ذي شرفات عالية، وواحد وعشرين باباً شاخخاً وفي وسط الجامع حوض عظيم للوضوء<sup>(11)</sup>، وهذا الجامع من أهم المباني الظاهرة التي زهت بها



الأندلس لقد حوى هذا المسجد على ألف وأربعمائة عموداً (صورة رقم 3) من أقواس الدائرة ويتدلى من السقف المصنوع من خشب الأرز أربعة آلاف وسبعمائة مصباحاً من الفضة لتضيء تسعة عشرة رواقاً طولياً تتقاطع مع ثلاثة وثلاثين رواقاً عرضياً<sup>(12)</sup>، المسجد الآن لا يزال يحتفظ ببعض خصائصه المعمارية لكنه فقد جموع المصلين التي كانت تقدر بالآلاف فأبواب هذا المسجد باقية على حالها من البناء الأول والنقش بالكتابة العربية لازال<sup>(13)</sup>، وإن هذا المسجد هو أكبر مساجد الدنيا وأعظمها صيتاً<sup>(14)</sup>.

وفي جامع قرطبة عدة نقوش وكتابات، تشير إلى الإصلاحات والزيادات التي تدل على تجديدها، ومن أهم نقوش المسجد الجامع ما نقله لنا عنان: هما اثنان أولهما ما قام به عبد الرحمن الناصر حيث نقش في لوحة رخامية بخط كوفي ما يأتي: "بسم الله الرحمن الرحيم، أمر عبدالله عبد الرحمن أمير المؤمنين الناصر لدين الله، أطال الله بقاءه، ببيان هذا الوجه وأحكام إتقانه، تعظيماً لشعائر الله، ومحافظة على حرمة بيوته، التي أذن الله أن ترفع، مع بقا شرف الأثر وحسن الذكر، فتم ذلك بعون الله، في شهر ذي الحجة سنة ست وأربعين وثلاثمائة، على يد مولاه ووزيره وصاحب مبانيه عبدالله بن بدر، عمل سعيد بن أيوب"<sup>(15)</sup>. والثاني ما نقش بالكوفية داخل المحراب (صورة رقم 4) في أسفل القبة وهو يؤرخ ما قام به الحكم المستنصر في إنشاء المحراب، وكسوته بالرخام وهذا نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم، حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين. أمر الإمام المستنصر بالله، الحكم، أمير المؤمنين أصلحه الله بعد عون الله فيما شيده من هذا المحراب، بكسوته بالرخام، رغبة في جزيل الثواب وكريم المآب، فتم ذلك على يد موليه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رضي الله عنه، بنظر محمد تمليخ، وأحمد بن نصر، وخالد بن هاشم أصحاب شرطته

ومطرف ابن عبد الرحمن الكاتب، عبيده، في شهر ذي الحجة من سنة أربعة وخمسين وثلاثمائة. ومن يسلم وجهه إلى الله فقد استمسك بالعروة الوثقى، وإلى الله عاقبة الأمور<sup>(16)</sup>.

ويحتوي المسجد الجامع واحد وعشرين باباً وقد كسيت بالنحاس الأصفر اللامع الرائع الصنع ويذكر سيديو: "إن الباب الأوسط كان مرصعاً بصفائح من الذهب وبأعلاه ثلاث كرات مذهب تعلوها رمانة من الذهب"<sup>(17)</sup>.

ويحتفظ مسجد قرطبة بصورته الإسلامية (صورة رقم 5)، رغم ما أصابه من تغيير منذ سقوط قرطبة وبقيت أصالته المعمارية في قباب المسجد وصفوف الأعمدة على أروقة طويلة عددها تسعة عشر، وتميز أقواسها جميعاً بالتناوب اللون الأصفر والأحمر<sup>(18)</sup>، فإن الضرورة الفنية تحولت إلى نتيجة زخرفية رائعة وقد ازداد جمال الأقواس باستعمال الحجر الأحمر وقطع الحجارة الصفراء مما أكسب المسجد مظهراً زخرفياً جميلاً<sup>(19)</sup>. أما أعمدته التي كانت من الرخام والتي كانت مكسوة بالذهب واللازورد فقد بلغت عدتها ثلاثة وتسعين ومائتين ألف عمود<sup>(20)</sup>.

ويصف لوبون هذه الأعمدة فيقول "يقوم سقف جامع قرطبة على أعمدة ويتكون من اجتماع هذه الأعمدة صفوف من الصحن المتوازية المؤدية إلى ساحته، وتتقاطع هذه الصحن وصحن أخرى كتقاطع الأضلاع الذي ينشأ زوايا قائمة ويتألف من مجموع تلك الأعمدة غابة من الرخام والغرانيق وتعلو تلك الأعمدة أقواس رائعة منضدة مصنوعة على شكل نعل الفرس"<sup>(21)</sup>، وفي سقف الجامع من ضروب الصنائع والنقوش ما لا يشبه بعضها بعضاً، وقد احكم تزيينها وأبدع تلوينها بأنواع الحمرة والبياض والزرقة والخضرة والتكحيل<sup>(22)</sup>.

فقد ضرب لنا المسجد الجامع ذلك الأثر الرائع بعظمته أحداث مأساة وجودنا العربي الإسلامي في الأندلس، وجامع قرطبة هو- بعد قصر الحمراء- أعظم الآثار الأندلسية الباقية.

كذلك اشتهرت قرطبة بحماماتها الكثيرة والتي تقدر بثلاثمائة حماماً<sup>(23)</sup> وساحاتها وحدائقها الواسعة

ولعل من أهم آثار عصر الخلافة في الأندلس مدينة الزهراء<sup>(24)</sup> (صورة رقم 6) فقد بنيت في محرم سنة 325هـ<sup>(25)</sup>.

ولقد وصف المؤرخون والرحالة مدينة الزهراء فقد قسمت إلى ثلاث مجموعات، تشمل الأولى مواقع القصر الخلفي والمقام الخاص، وتشمل المجموعة الثانية مساكن الحاشية والحرس، والمجموعة الثالثة تشمل أربعة أبنية كبيرة عالية، وقد تم وصف جداولها المتدفقة وبساتينها النظرة، ومبانيها الضخمة وأعطوا للأجيال المتعاقبة صورة حية لحالة المدينة، وعلى الرغم من شهرة الزهراء التي وسعت كل الآفاق في أبنيتها وزخارفها وما توالى عليها العناية في عهدي الناصر ومن بعده ابنة الحكم إلا أنها لم تعمر طويلاً، فالخراب طرق شيئاً فشيئاً حتى دكت معالمها في عهد محمد بن هشام بن عبد الجبار ابن عبد الرحمن الناصر والذي خلع الخليفة المؤيد بن الحكم المستنصر سنة تسع وتسعين وثلثمائة للهجرة وخرب الزهراء وعاد إلى قرطبة متخذاً إياها دار لإمارته، وصار الناس لا يعلمون من أمرها شيئاً اللهم إلا ما حوته الكتب، فقد اندثرت معالمها فتوالى الحفائر الأثرية للكشف عن معالمها وتاريخها<sup>(26)</sup>.

ومن فنون العمارة العربية الإسلامية ما كان عليه الجامع أو المسجد الذي كان يمثل المركز الرئيسي في المدن الإسلامية حيث كانت تقام صلاة الجمعة

والصلوات الخمس فيه ومن أمثلة هذا الفن العربي الإسلامي جامع اشبيلية ومثذنته (صورة رقم 7) التي يحدثنا عنها ابن صاحب الصلاة حيث قال "...وهذه الصومعة الفايت وصفها للناطقين السابق حديثها إلى المخبرين، لا صومعة تعادلها في جميع مساجد الأندلس، سمو شخص، ورسو أمل، ووثاقه عمل، وبنيان بالأجر، وغرابة صنعه، وبدائع ظاهره، وقد ارتفعت في الجو وعلت في السماء تظهر للعين على مرحلة من اشبيلية مع كواكب الجوزاء"<sup>(27)</sup> ولا شك في أن فن العمارة لهذا الجامع ابرز سمات اشبيلية العربية التي ورثتها اشبيلية المعاصرة.

ويرجع تاريخ إنشاء هذا الجامع إلى عام 214 هـ / 889م إبان حكم عبد الرحمن الثاني، وكان يضم أحد عشر صحناً جمعت متعامدة مع حائط القبلة، الذي كان يواجه الجنوب كما هو الحال في جميع المساجد الأندلسية. وكان مستطيل الشكل وله أعمدة من المرمر تستند عليها أقواس من القرميد، أما منارته فهي ذات تصميم مربع يبلغ طول ضلعه حوالي ستة أمتار استعمل في بنائه الأصلي الحجارة المربعة، وهناك في داخل المنارة سلم لولبي، يلتف حول عامود أسطواناني مثبت في المركز<sup>(28)</sup>.

وعندما لاحظ الخليفة أبو يعقوب يوسف الموحدي، سلطان المغرب والأندلس في شهر رمضان سنة 567هـ / 1172م. أثناء إقامته، حيث كانت يومئذ قاعدة حكم الموحدين بالأندلس، من الصغر بحيث لا يكفي لإقامة خطبة الجمعة في حشود بحجم سكان اشبيلية في ذلك الوقت، فأنفق أموال طائلة وذلك بتشيد جامع جديد أكبر لكنه توفي قبل إتمامه، فعني بإتمامه ولده يعقوب المنصور، وأنشأ منارته الشهيرة التي مازالت قائمة حتى يومنا هذا، ويعرفها الأسبان باسم لآخر الدا<sup>(29)</sup> lacialde.



ويورد مؤرخ الموحدين أبو مروان صاحب الصلاة هذا الوصف للبرج، وهو ابرز ما يميز المدينة في العالم اجمع: "هذه المنارة من أعظم جمع المنائر الأخرى في الأندلس قاطبة. في ارتفاعها وفن بنائها الفائق. وعند النظر إليها من بعيد يبدو وكأن جميع نجوم السماء قد توقفت في قلب اشبيلية"<sup>(30)</sup>.

وكانت اشبيلية الإسلامية بأماكن أخرى بالعبادة بعضها في الهواء الطلق وكان يستخدم في الاحتفالات المهمة، وكان أحد الأماكن المصلى<sup>(31)</sup>، في الجهة الجنوبية من القصور عند باب النخيل<sup>(32)</sup>، وهناك عدد كبير من الجوامع في اشبيلية، نجد قائمة طويلة بأسمائها محفوظة في النصوص العربية والنصوص النصرانية المبكرة.

ومن الآثار الأخرى في اشبيلية قصر اشبيلية المعروف بالكازار alcazar (صورة رقم 8)، ويحتوي على عدة أفنية وأبهاء منها، قاعة العدل، وفناء الصيد، وفناء العذارى، وبهو السفراء، بها نقوش عربية (صورة رقم 9 و10 و11) ويذكر لنا عنان: "أنه يوجد ثمان نقوش في قصر اشبيلية منقوشة بالأزرق والأبيض بخط كوفي جميل وبعبارة ولا غالب إلا الله وهي شعار بني نصر ملوك غرناطة"<sup>(33)</sup> وهذا الشعار يشغل جدران قصر الحمراء بكثرة.

ويتفق معظم مؤرخي العمارة العربية الإسلامية، الذين تناولوا دراسة قصور الحمراء بشكل واسع وعميق على أن أسم الحمراء عرف به القصر في نهاية القرن الثالث الهجري المقابل للقرن التاسع الميلادي، وكان يطلق على حصن صغير لجاء إليه الهاربون أثناء الفتن وأعمال الشغب التي ظهرت خلال حكم الأمير عبد الله الأموي سنة 277هـ/ 890م، وبها كان قصر ابن باديس<sup>(34)</sup>.



وفي أيام بني الأحمر، امتدت مباني الحمراء فوق الهضبة كلها ومدينة الحمراء دار الملك على معموورها... تشرف عليه منها الشرفات البيض، والأبراج السامية، والمعقل المنيعة والقصور الرفيعة تغشي العيون وتبهر العقول<sup>(35)</sup>.

فالحمراء نفسها تتكون من قصبة وقصر وهما يقعان على ربوه عالية. ولقد كان في موضع القصر حصن صغير يسمى القصبة القديمة أو الحمراء القديمة وعندما اتخذ محمد بن الأحمر هذا الحصن مقراً له أحكم أسواره وبنى على الأسوار أبراجاً حصينة عالية وبنى لنفسه قصراً في المكان لذا يقوم فيه قصر شارل الخامس اليوم، سميت مبانيه بالقصبة الجديدة<sup>(36)</sup>.

لقد بدء العمل في إنشاء قصر الحمراء بعد أشهر قلائل من دخول محمد بن الأحمر غرناطة في رمضان 635هـ/1238م. وكان المبنى الجديد يختلف اختلافاً عن الحصن القديم في وسائله وسعته وجوانبه وملحقاته، فالحمراء أكثر من حصن ومقر معاً، فأراد مؤسس الدولة محمد بن الأحمر أن يجعل مقره على تلة السبيكة ورفع البناء وأحاطه بالأسوار والأبراج، فاحتوت القصور الملكية على المصالح الحكومية والإدارية وثكنات الحرس ومخازن المؤن<sup>(37)</sup>.

وقد أقيم سور مرتفع طوله 726 متراً فيه 24 برجاً على طوله حول قصر الحمراء<sup>(38)</sup>، فالحمراء قبل كل شيء تعتبر حصناً استراتيجياً منيعاً.

ان هذا الحصن ذو الأسوار والأبراج المنيعة الذي يحيط بالحمراء من أقوى وانضج ما عرف من فن العمارة الحربي فقد بنيت الحمراء في منحدر جبل شلير على ارتفاع 150 متر من أرحبة المدينة<sup>(39)</sup>، فمدينة الحمراء تقع فوق هضبة مرتفعه

بلغ طولها 736 متراً، وعرضها نحو مائتي متراً<sup>(40)</sup>، أما تسمية القصر أو الحصن بالحمراء فقد اتفق معظم المؤرخين على أن التسمية جاءت من بني الأحمر الذين كانوا يسكنون غرناطة والذين انشئوا القصر وقيل أيضاً إن أصل ولون التربة التي يمتاز بها التل الذي شيد عليه القصر فضلاً عن الأجر الذي ابتنت به الأسوار<sup>(41)</sup>.

إلا أن عنان له رأى آخر حيث يقول وسميت القصبية الجديدة بالحمراء جرياً على اسمها القديم، الذي هو أصل التسمية ومن الخطأ أن يقال إن إطلاق اسم الحمراء عليها يرجع إلى اسم منشئها ابن الأحمر أو أنه يرجع إلى لون الأجر الذي بنيت به الأسوار الخارجية، ذلك ثبت أن هذا اللون الأحمر الذي تبدو به الأسوار يرجع إلى العصر الحديث، وأنه من صنع الأسبان<sup>(42)</sup>.

وأبنية هذا القصر ليست لشخص واحد من بني الأحمر بل لجملة منهم، مؤسس الدولة محمد بنى الأحمر جعل مقر حكمه فيه، فرفع البناء وأحاطه بالأسوار، ومن ثم جاء ابنه محمد الثاني فأكمل عمل أبيه وأنشأ ولده محمد إلى جوار القصر مسجداً، الذي تحتل موقعه اليوم كنيسة سانتا ماريا<sup>(43)</sup>، وظلت الحمراء تخضع لتعديلات وزيادات حتى جاء أبو الوليد إسماعيل - خامس سلاطينهم - بداء في بناء معظم القصر، وأغدق عليها روائع الفن والزخرف<sup>(44)</sup>، ثم جاء ابنه الحجاج يوسف - سابع سلاطينهم - الذي زاد من القصر، ثم ابنه محمد الملقب بالغني بالله فقد وسع في رقعة القصر وألبسه حله من الجمال الفني<sup>(45)</sup>.

وقد يصعب أن يميز بين أعمال كل السلاطين بالشكل الدقيق لتداخل واندماج الأعمال في بعضها البعض ثم أجريت في القصر بعد خروج العرب من

الأندلس زينات أخرى جعلت التميز من الصعوبة أكثر ويذكر لنا فرحات ما يؤكد بأن التغيرات التي طرأت بعد خروج العرب من الأندلس حيث يقول "وعندما وقعت غرناطة بين أيدي الأسبان عام (689هـ / 1492م) اهتم الأسباط الجدد بترميم ما بدا متصدعاً، وأوكلوا عائلته من الإشراف رعاية الحمراء (conded tendilla). ولما جاء الإمبراطور شارلمان أضاف بناءً جديداً عرف باسم القصر الملكي، وعندما تسلم فيليب الثاني (القرن السادس عشر) الملك رصد ميزانية خاصة من أجل صيانة الحمراء. ثم كان النسيان في بداية القرن الثامن عشر بسبب الحروب التي دارت بين طلاب العرش ولم تنفع استغاثات الغرناطين، فبقيت الحال هكذا حتى عهد كارلوس الثالث الذي أعاد إلى القصر عافيته وجماله وقد تحولت الحمراء إلى ثكنة عسكرية عندما وقعت إسبانيا تحت الاحتلال الفرنسي أيام بونابرت<sup>(46)</sup>، مع ذلك رغم كل التغيرات التي حدثت في القصر والإصلاحات التي تمت إلا أن معرفة القديم من الجديد سهل للغاية.

وقوام قصر الحمراء أقسام ثلاثة: القسم الأول، وهو المسمى المشور الذي يعقد فيه الملك مجلسه والثاني قسم الاستقبالات الرسمية، ويشمل الديوان وقاعة العرش والثالث قسم الحريم الذي يضم المساكن الخاصة بالسلطين ونسائهم<sup>(47)</sup>، وهناك تقسيم آخر لأبنية قصر الحمراء وذلك بجعله جناحين كبيرين، الأول جناح قمارش والثاني جناح الأسود<sup>(48)</sup>، أما أقسام هذا القصر هو حوش الريحان، الذي يطل على فسقيه الحوش، وكذلك قاعة العدل وقاعة السفراء، الداخلة في برج قمارش، وهي أفخم قاعه في القصر، مربعة الشكل تعلوها قبة خشبية ذات نقوش مذهبه، وقد نقش جدران هذه القاعة بنقوش، كل نقشه منها تختلف كل الاختلاف عن غيرها ولكنها جميلة بتناسقها وكل جزء

منها متمم للآخر. ويتصل بهذا الجزء من القصر صحن السباع، وفناء الأسود، وهو أكثر أجزاء القصر شهرة، وقد شيدت في منتصفه فسقيه رخامية من عدة أحواض، أكبرها قائم على تماثيل اسود من الرخام عددها اثنا عشر أسداً، يخرج من فم كل واحد منها فوارة ماء، وأرضية الفناء مقسمة إلى أربع مناطق مغطاة بالرمال تفصلها لوحات من الرخام وتحيط بهذا الفناء بئكات من العقود مزينة بالنقوش، تعلوها مساحة مثقبة بزخارف غاية في الإبداع، وتحمل هذه البائكات أعمده ممشوقة جميلة تبهر مشاهداً بما يعلوها من جمال فن العمارة والزخرفة، ولا يضارعهما إلا ما يشاهد في قاعة الأختين وقاعة بني السراج في هذا القصر، تلك القاعتان اللتان تطلان على هذا الفناء وتمتازان بوفرة زخارفها المقرنصة والنقوش النباتية والكتابات العربية المنمقة.

أما مسجد القصر فلا يقل عن باقي أجزاء القصر بهاءً وجمالاً من حيث الزخرفة والنقوش، وفي حمام القصر فسقيه رخامية يحيط بها أربعة أعمده من المرمر تحمل السقف، وحول الحمام في الطابق العلوي منه شرفات كلها غنية بالنقوش المذهبة، وفي قبة الحمام فتحات للإضاءة مثبت عليها ضلع من الزجاج الملون.

إن بناء قصر الحمراء لم يشيد كوحدة متناسبة التوزيع لأنه بني في مراحل متعاقبة، كما أن في القصر إسراف في الزخرفة دون الاهتمام بمتانة البناء مما سبب تهدم بعض الأقسام بمرور الزمن والأيام فأصلحت في أزمنة مختلفة متعاقبة (صورة رقم 12، 13، 14، 15).

وعرفت كذلك نماذج أخرى من الأبنية والصروح في الأندلس منها قصر



الجعفرية بسرقسطة، بناه أبو جعفر أحمد المقتدر بالله بن هود، كما مثبت ذلك بنقوش أحد تيجان أعمدة هذا القصر وكان المقتدر يسميه مجلس الذهب<sup>(49)</sup>.

وعرفت أيضاً نماذج من الأبنية العربية كالقصور التي شيدت في زمن بني عباد وخلال فترة الموحدين وعلى سبيل المثال قصر المبارك وقصر المكرم<sup>(50)</sup>، وقد شيد أولهما على الطرف الجنوبي من المدينة فوق أبنية سابقة له مثل دار الإمارة الخاصة لعبد الرحمن الثالث<sup>(51)</sup>.

مما تقدم ونحن نتحدث عن العمران الأندلسي فإن البناء واختطاط المنازل، إنما هو من منازع الحضارة التي يدعوا إليها الترف والدعة<sup>(52)</sup>، فلقد ابتدع الفنان العربي وبرع المهندس العربي وهو يصمم تلك الأبنية، وسطر في سجل الخلود صفحة ينجلي فيها جمال الفن العربي، وعظمة العرب في صناعة البناء، فمن خواص الفن العربي استخدام الأقواس والعقود والقباب بأشكالها المختلفة وبطرق مبتكرة وقد أصبح التجريد السمة الأولى للفن الإسلامي وإن جماله الزخرفة من رسم وتزويق ونقش ونحت.

ولقد كانت شبه جزيرة ايبيريا منطقة صالحة لنمو المؤثرات وقد وصلت الاتجاهات والأشكال الفنية إلى شبه الجزيرة من الشرق عبر حقه التي امتدت ثمان قرون وبعض هذه الاتجاهات نمت وأصبحت أسمى درجة وأفسح مدى مما كانت عليه في بلدها الأصيل.

وقد تطور الفن الأندلسي واتخذ له طابعاً أصيلاً مميزاً وحدث أثناء فترة الاتصال بالشرق بين القرنين الثاني والتاسع الهجريين. أن شيدت هناك بعض الآثار التي تنفرد بجمال لا يضاهي وكمال وأصالة لا نجد لها في أي بلد إسلامي



آخر. فمسجد قرطبة المنفرد ببنائه البارع وثراء زخرفته، وقصور مدينة الزهراء وفنها وفخامتها، وقصر الجعفرية في سرقسطة الذي يمتاز بإبداع عجيب وبذخ في زخرفته. وبرج الخيرالدا وهي المنارة الأثرية، وقصر الكازار في اشبيلية من أجمل الآثار في العالم الإسلامي.

وأخيراً هنالك قصر ضخيم هو قصر الحمراء في غرناطة الذي لا يزال يحتفظ بحاله على نحو عجيب من فن العمارة العربية الإسلامية وبدع الطبيعة لتجعل منه مشهداً من أعظم مشاهد العالم إلهاماً.

## الموامش

- (1) البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (ت487هـ)، جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجى، دار الإرشاد، (بيروت، 1968)، ص57؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، دار الطباعة المنيرية، (القاهرة، 1353هـ)، ج4، ص656؛ ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت712)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: تحقيق خ. س كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، (بيروت، 1967)، ج1، ص2، بيضون، إبراهيم، الدولة العربية في أسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار النهضة للطباعة والنشر، ط2، (بيروت، 1980)، ص2.
- (2) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ابن عبد الحموي (ت626هـ)، معجم البلدان، مطبعة السعادة، ط1، (القاهرة، 1906)، ج1، ص262.
- (3) الحميري، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت710هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مطابع دار السراج ط2، (بيروت، 1980)، ص32 ويقول الحميري كذلك (والأندلس دار بهاء وموطن رباط).
- (4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص266.
- (5) ابن حوقل، أبو القاسم ابن حوقل النصيبي (ت367هـ)، صورة الأرض، طبع في مدينة ليدن، (بريل، 1938)، ص107.
- (6) هونكة، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وآخر، (بيروت، 1969)، ص486.
- (7) سالم، السيد عبد العزيز، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، الناشر مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، (الإسكندرية، 1985)، ص168.
- (8) المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت1041هـ)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، 1968)، ج2، ص96؛ مورينو، ما نويل جوميث، الفن في أسبانيا، ترجمة لطفي عبد العزيز والسيد عبد العزيز سالم، (القاهرة، 1977)، ص16.
- (9) سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص162.

- (10) الحميري، الروض المعطار، ص458؛ ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط1، (بيروت، 195)، ص38.
- (11) طلس، محمد أسعد، تاريخ العرب، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، (بيروت، 1979)، مج1، ص258.
- (12) هونكة، شمس العرب، ص499.
- (13) عنان، محمد عبدالله، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، (القاهرة، 1961)، ص26.
- (14) الغساني، محمد بن عبد الوهاب (ت 1119)، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، تحقيق: فريد البستاني، (طنجة، 1940)، ص18.
- (15) الآثار الباقية، ص27.
- (16) عنان، الآثار الباقية، ص28.
- (17) تاريخ العرب، ص54.
- (18) سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص166.
- (19) مؤنس، حسين، رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط1، (القاهرة، 1963)، ص77.
- (20) سيديو، تاريخ العرب، ص54.
- (21) لوبون، حضارة العرب، ص352.
- (22) مؤنس، رحلة الأندلس، ص77.
- (23) المقري، نفح الطيب، ج1، ص540.
- (24) مزيداً من التفاصيل حول هذه المدينة ينظر: نجلة العزي، قصر الزهراء في الأندلس، (بغداد، 1977).
- (25) المقري، نفح الطيب، ج1، ص526؛ العزي، قصر الزهراء، ص33.
- (26) المقري، نفح الطيب، ج1، ص516؛ ابن عذاري، البيان، ج2، ص665؛ عنان، محمد عبدالله، دولة الإسلام في الأندلس، (القاهرة، 1969)، ج2، ص443؛ العبادي، احمد مختار، في تاريخ الأندلس والمغرب، (الإسكندرية، بلا ت)، ص206؛ سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، (بيروت، 1962)، ص317؛ العزي، قصر الزهراء، ص84.

- (27) ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد (ت أواخر ق6هـ)، تاريخ المن بالأمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الأندلس للطباعة والنشر، (بيروت، 1964)، ص390.
- (28) البكري، جغرافية الأندلس، ص112.
- (29) عنان، الآثار الباقية، ص39.
- (30) ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالأمامة، ص516.
- (31) ابن حيان، المقتبس، عني بنشره ملشور. م. انطونيه، مطبعة بوليس الكتي، (باريس، 1937)، ج3، ص75؛ الضبي، احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة (ت 599هـ)، بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، مطبعة روفس، (مدريد، 1889)، ص85.
- (32) ابن بسام، أبو الحسن علي الشتريني (ت 542هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة والنشر، (بيروت، 1979)، ج2، ص430.
- (34) الآثار الباقية، ص16.
- (35) ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، هامش رقم (2)، ص516، مؤنس، رحلة الأندلس، ص165.
- (35) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، ط1، 1973، ج1، ص14.
- (36) عنان، الآثار الباقية، ص159؛ العبادي، عبد الحميد، المجلد في تاريخ الأندلس، مكتبة النهضة العربية، ط1، (القاهرة، 1958)، ص188.
- (37) فرحات، محمود شكري، غرناطة في ظل بني الأحمر، (دراسة حضارية)، (بيروت، 1982)، ص122.
- (38) البتنوني، محمد لبيب، رحلة الأندلس، مطبعة مصر شركة مساهمة، ط2، بلا ت، ص97.
- (39) المرجع نفسه، ص99.
- (40) عنان، الآثار الباقية، ص160؛ عبد الجواد، توفيق احمد، تاريخ العمارة والعصور المتوسطة الأوربية والإسلامية، ط2، 1970، ص333؛ العميد، طاهر مظفر، آثار المغرب والأندلس، طبع بمطابع دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، 1989)، ص307.
- (41) جواد، ناجي، رحله إلى الأندلس، دار الأندلس للطباعة والنشر بيروت، ط1، (لبنان، 1969)،

ص 61؛ لاندو، روم، الإسلام والعرب، نقله إلى الإنكليزية، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط 2، (بيروت، 1977)، ص 179؛ علي، محمد كرد، غابر الأندلس، وحاضرها، المطبعة الرحمانية، المكتبة الأهلية، ط، (مصر، 1923)، ص 114؛ فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، 224؛ عبد الستار، لبيب، الحضارات، دار المشرق، ط 6، (بيروت، 1986)، ص 290؛ البتنوني، رحلة الأندلس، ص 290.

(42) عنان، الآثار الباقية، ص 160.

(43) فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص 122.

(44) مرزوق، محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت، (لبنان، بلا ت)، ص 58.

(45) المرجع نفسه، ص 58.

(46) غرناطة في ظل بني الأحمر، ص 224.

(47) مؤنس، رحله إلى الأندلس، ص 184؛ توفيق، تاريخ العمارة، ص 333؛ كحاله، عمر رضا، الفنون الجميلة في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية، (دمشق، 1972)، ص 101؛ علي، غابر الأندلس، ص 115؛ فروخ، مصطفى، رحله إلى بلاد المجد المفقود، مطبعة الكشاف، (بيروت، 1933)، ص 131؛ كونل، ارنست، الفن الإسلامي، ترجمة: أحمد موسى، دار صادر، (بيروت، 1966)، ص 126، عبد الحميد، سعد زغلول، العمارة والفنون في دولة الإسلام، الناشر منشأة المعارف (بالإسكندرية، بلا ت)، ص 524؛ الألفي، أبو صالح، الفن الإسلامي، أصول فلسفته ومدارسه، دار المعارف، ط 2، (مصر، بلا ت)، ص 216.

(48) عنان، الآثار الباقية، ص 163؛ الحجى، عبد الرحمن علي، محاضرات في التاريخ والآثار - الآثار الإسلامية في الأندلس، مطبوعات جمعية التاريخ والآثار، جامعة الرياض - كلية الآداب، قسم التاريخ، 1969، العدد 1، ص 31.

(49) عنان، الآثار الباقية، ص 80؛ سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص 197.

(50) ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج 3، ص 759.

(51) ابن حيان، المقتبس، تحقيق ملشور، ج 3، ص 78.

(52) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (808هـ)، المقدمة، دار مكتبة الهلال، (بيروت، 1986)، ص 342.







(1)



(2)



(3)



(4)



(5)

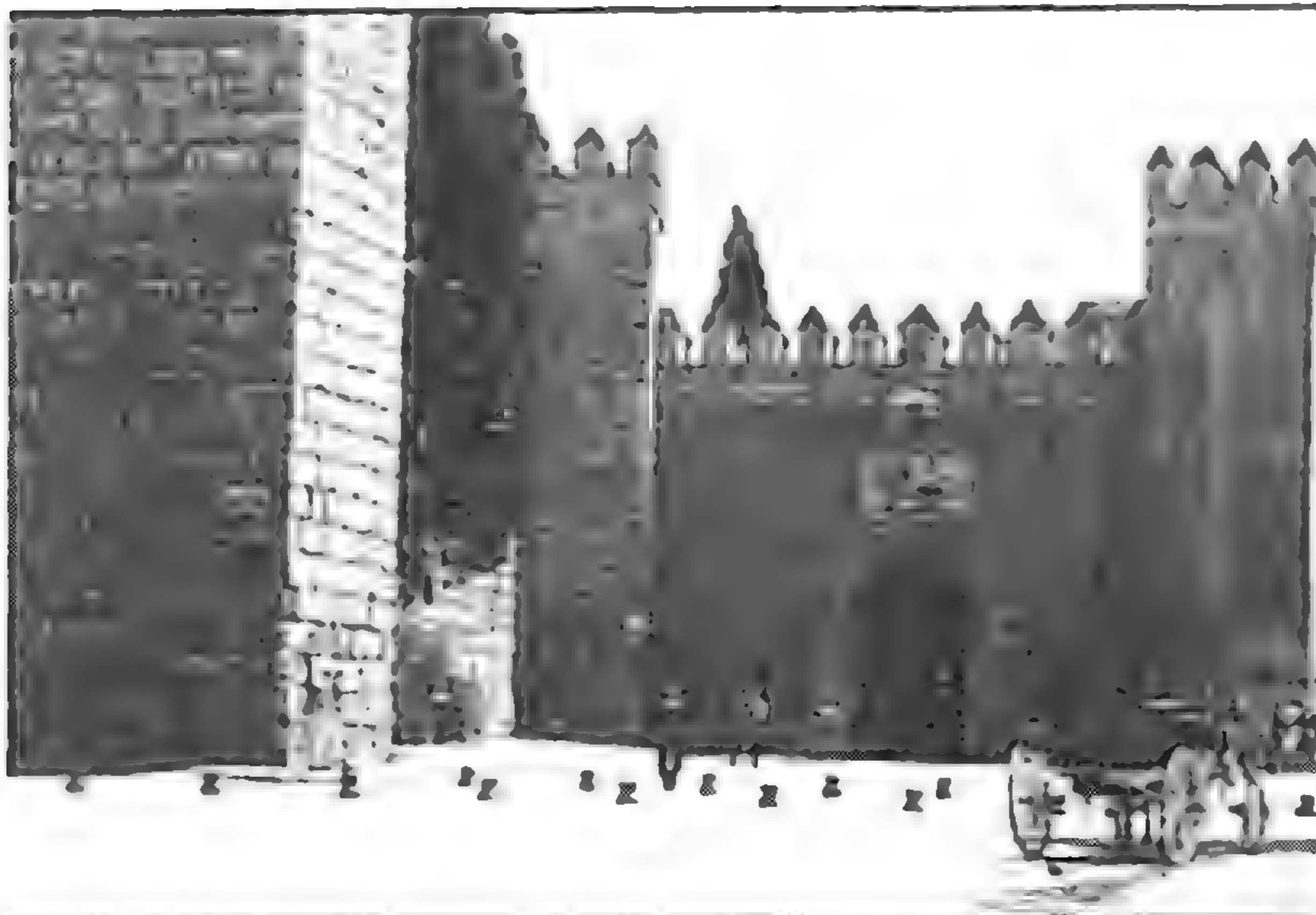
*TravelArab.com*



(6)

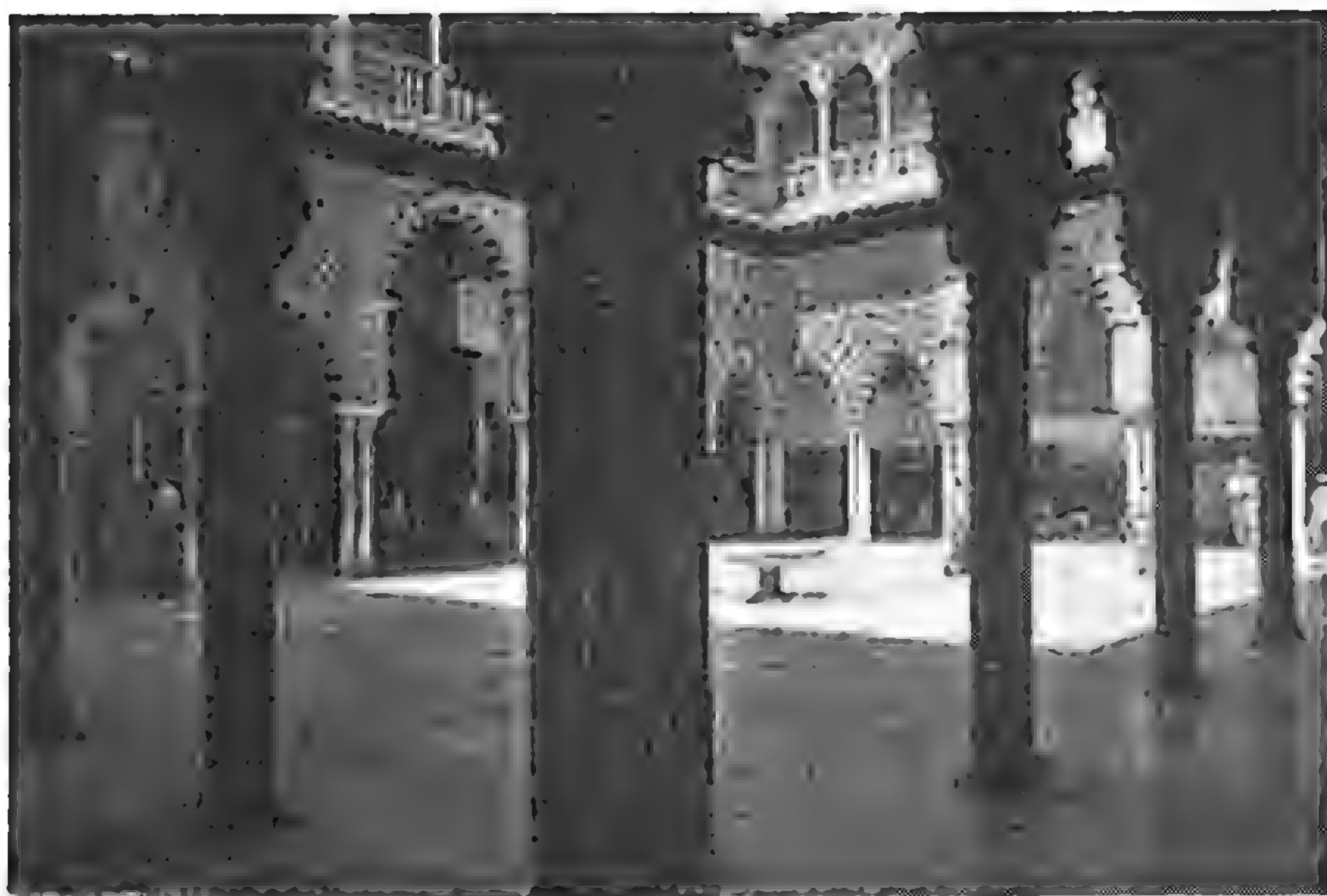


(7)

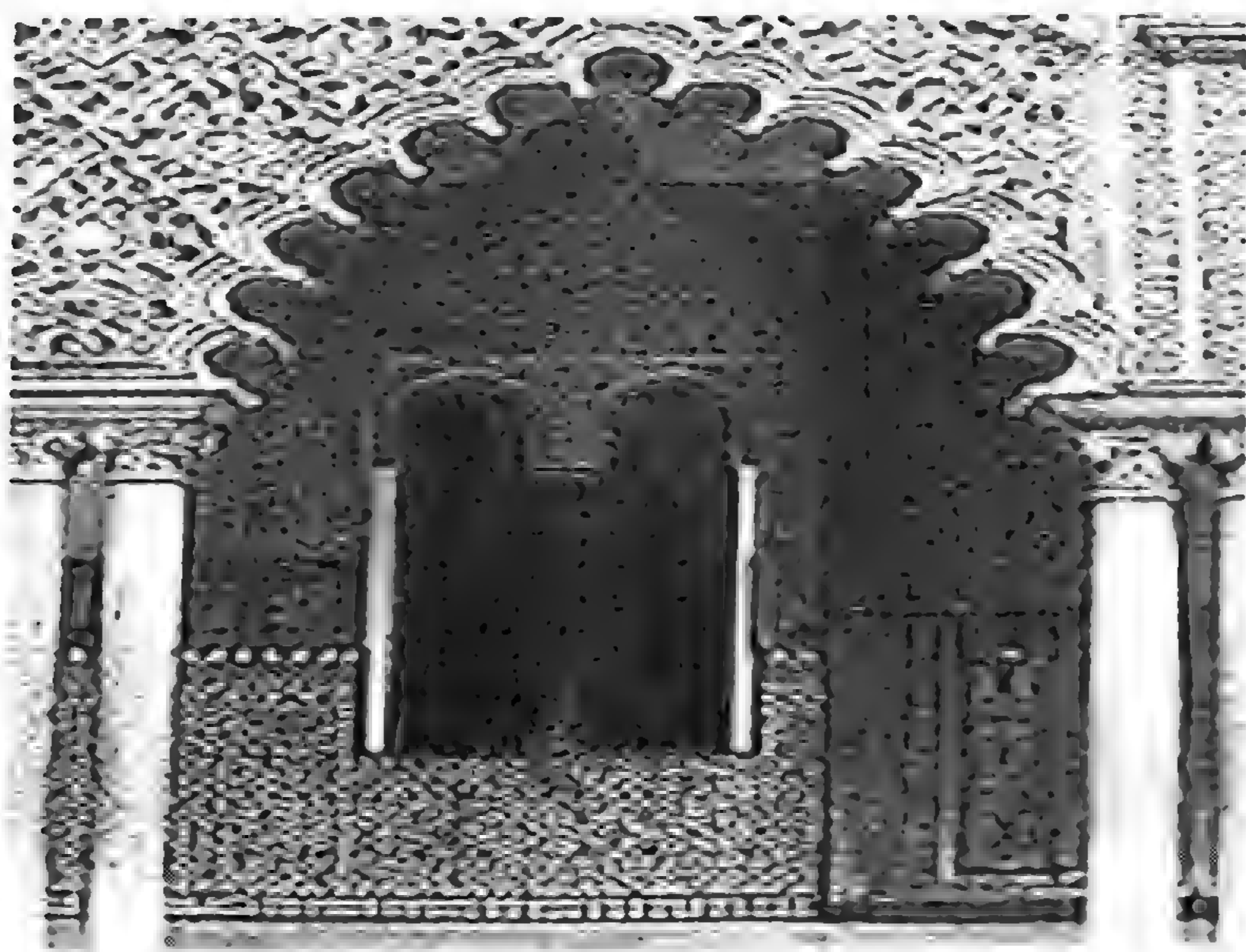


(8)

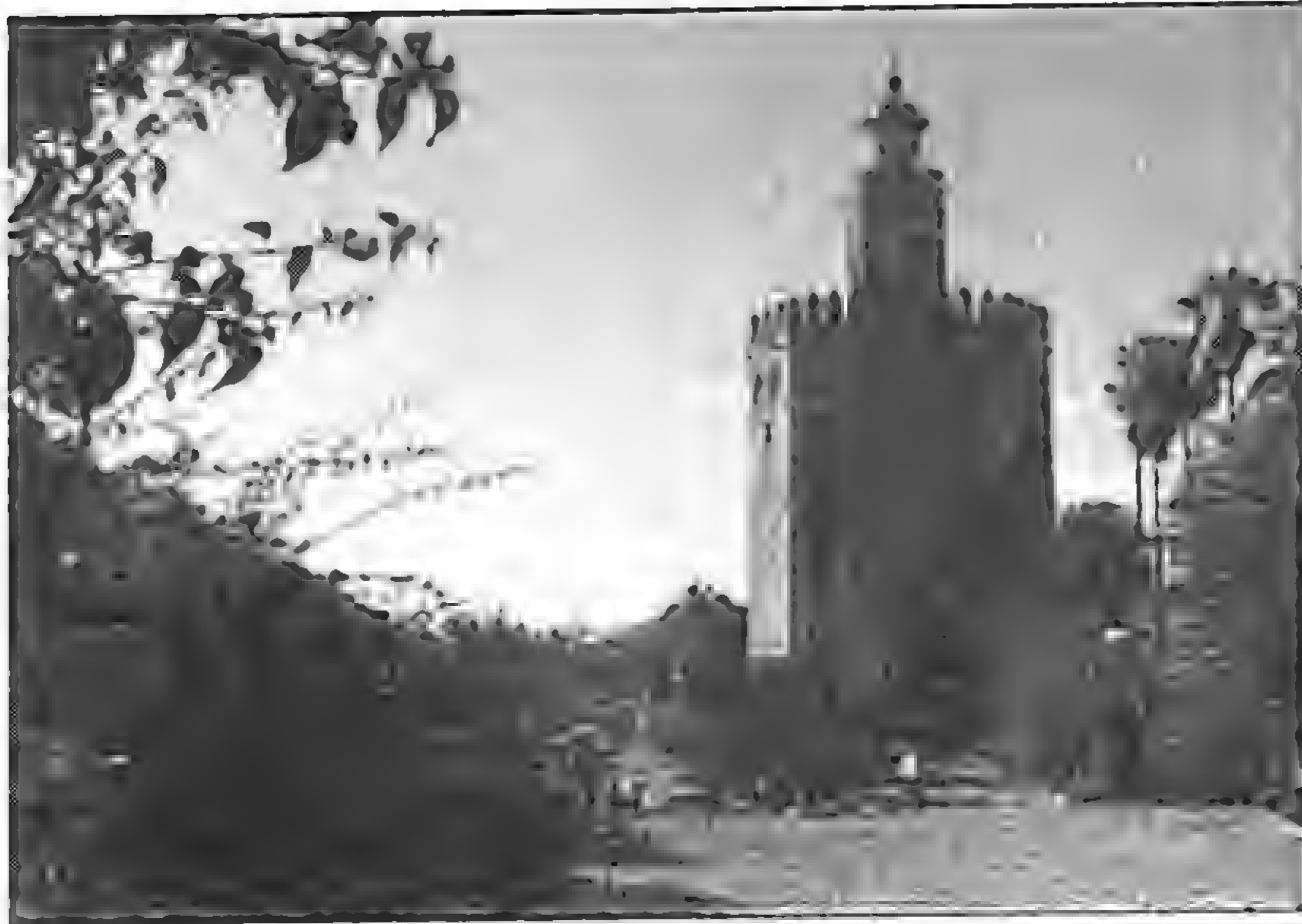




(9)



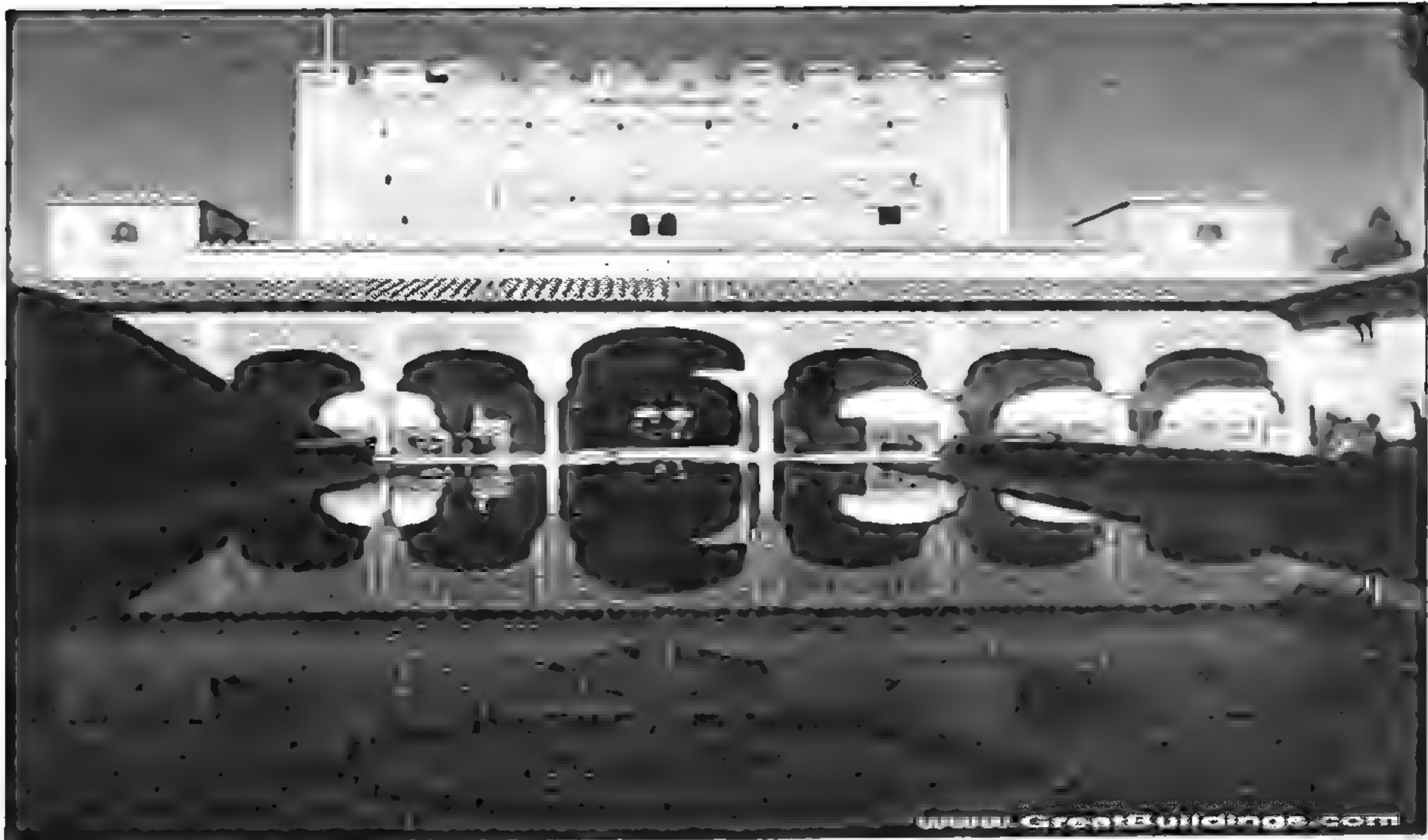
(10)



(11)



(12)

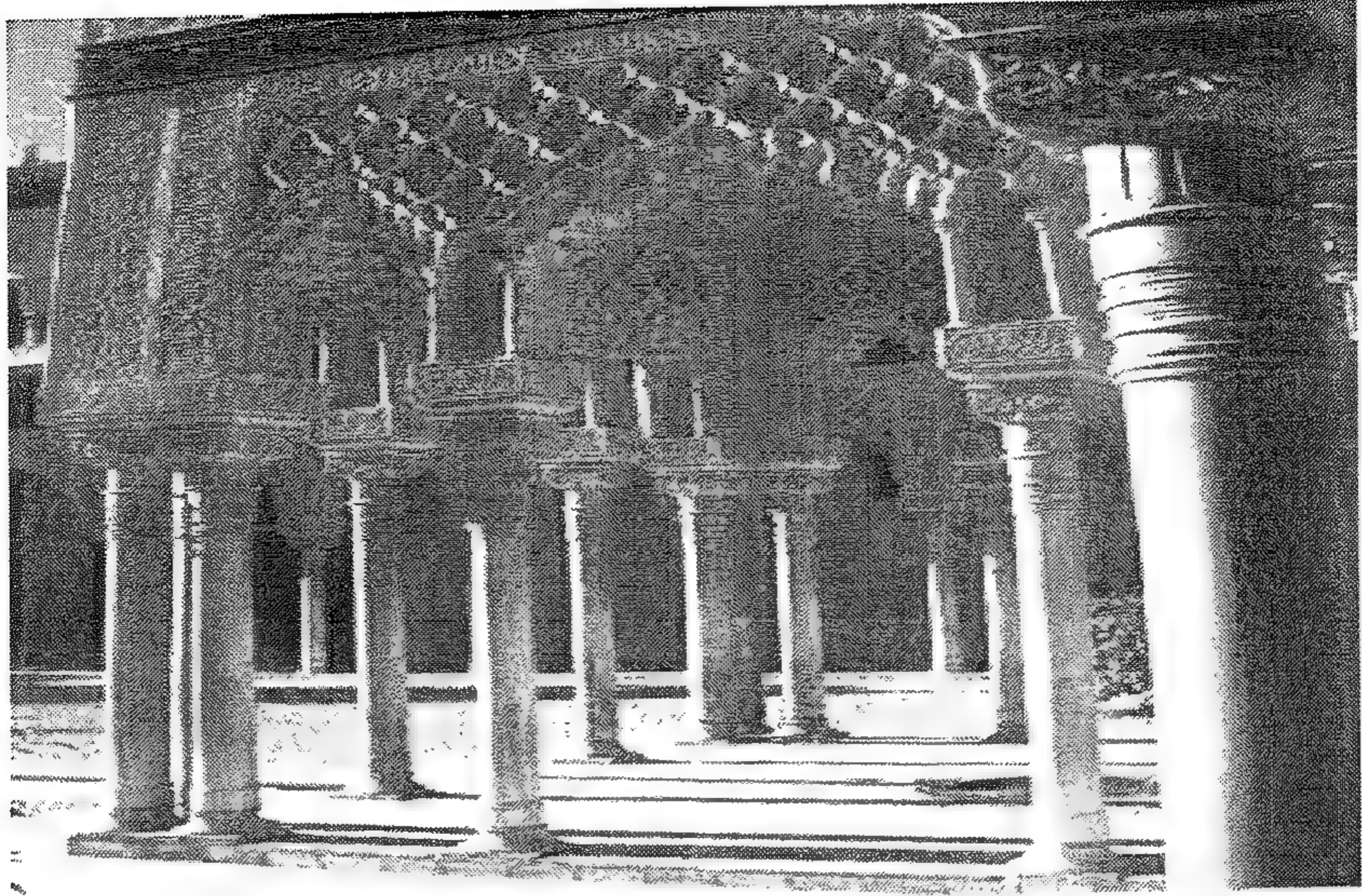


(13)



(14)





(15)

# بغداد واثرها على الأندلس من الناحية الفكرية







## بغداد واثرها على الأندلس من الناحية الفكرية

### المقدمة

بلغت عظمة بغداد<sup>(1)</sup> ومكانتها الراسخة حداً لم تستطع معه حاضرة إسلامية أخرى ان تنافسها، تستوى في ذلك سامراء العاصمة العباسية الشهيرة الثانية، ودمشق عاصمة الامويين، والقاهرة عاصمة الفاطميين والايوبيين

---

(1) بغداد تمتعت بخصوصية مهمة هي كونها عاصمة العراق العريق في الحضارة والعلم والادب، فاكسبت من تلك الخصوصية ما جعلها مؤهلة لان تكون العاصمة بالمنظور العراقي، وبالمناظر العربي والاسلامي، ويعتمد الخطيب البغدادي على القرائن الدينية التي يستند اليها في بيان مكانة العراق العلمية والادبية والاخلاقية، فيذكر قولاً للنبي الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) عن سيدنا ابراهيم (عليه السلام) انه هم ان يدعو عليهم- اهل العراق- فاوحى الله تعالى اليه لاتفعل، فاني جعلت خزائن علمي فيهم، واسكنت الرحمة قلوبهم، ويروي الخطيب مستكملاً خبره قال كتب عمر بن الخطاب إلى كعب الأحبار اختر لي المنازل قال فكتب يا أمير المؤمنين أنه بلغنا أن الأشياء اجتمعت فقال السخاء أريد اليمن فقال حسن الخلق أنا معك وقال الجفاء أريد الحجاز فقال الفقر وأنا معك وقال البأس أريد الشام فقال السيف وأنا معك وقال العلم أريد العراق فقال العقل وأنا معك وقال الغنى أريد مصر فقال الذل وأنا معك فاختر لنفسك قال فلما ورد الكتاب على عمر قال فالعراق إذا فالعراق ويستكمل الخطيب البغدادي ان الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): قال أهل العراق كنز الإيمان وجمجمة العرب وهم رمح الله عز وجل يحرزون ثغورهم ويمدون الأمصار ينظر: الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي (ت463هـ)، تاريخ بغداد، المكتبة السلفية، (المدينة المنورة، بلا. ت)، 25/1.

ومما ليكهم، ولعل قرطبة حاضرة الأندلس، وفي حقبة الازدهار ايام حكم الامير عبد الرحمن بن الحكم (206-238هـ / 822م-852م) في عهد الامارة (138-422هـ / 755-1031م) كان اعتمادهم الاكبر على العراق، ذلك لأن العطاء الحضاري يأتي دائما من الاكثر حضارة وثقافة الى الادنى، وربما كان هذا الدافع الاكبر لتحرك الكثير من الاندلسيين نحو التأليف والتصحيح والترجمة، رغبة منهم في منافسة اهل العراق واللاحق بهم وهذا مايؤكدده معظم المؤلفين الاندلسيين<sup>(1)</sup>.

وفي حقبة الهدوء والاستقرار ازدهرت الاندلس مما حدا بالامير عبدالرحمن بن الحكم الانفتاح الى العراق والتي سبق هذا الانفتاح سياسة الانعزال عنه، ففتحت الاندلس ابوابها امام الثقافة والحضارة العراقية التي كانت انذاك في اوجها، فضلا عن هذا كانت الاندلس تتمتع بمظاهر الترف والرفاه كما وان الاستقرار السياسي والعامل الاقتصادي كانا سبباً للانفتاح على الاخر لاسيما ماكانت تتمتع به بغداد من ازدهار حضاري كبير. ومن قرطبة العاصمة انطلق العلماء إلى العراق لشراء المؤلفات العربية، واليونانية، والفارسية حتى أصبحت

---

(1) على سبيل المثال ما قام به ابن حزم في وضع رسالته في فضل الاندلس هو التباهي بعلماء بلده ومالفوا من الكتب في مختلف الفنون، وكذلك ما قام به ابن بسام على تأليف كتابه الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، اذ يذكر بأن سبب اقدامه على تأليفه الذخيرة هو ان يثبت للناس مقدرة اهل بلده العلمية وقدرتهم على منافسة اهل المشرق. ينظر: ابن حزم الأندلسي، علي بن احمد (ت456هـ)، ابن حزم، رسالة في فضل الاندلس، نقلها المقرئ في نفح الطيب، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة، 1949) في الجزء الرابع، ص154؛ ابن بسام الشنتريني، ابي الحسن علي (ت542هـ)، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، (بيروت، 1979)، ق1، م1، ص11 وما بعدها.

قرطبة مركزاً ثقافياً كبيراً يماثل بعظمته بغداد<sup>(1)</sup>

وهذه الدراسة محاولة لاستشفاف الملامح والاثـر العراقي البغـدادي على الاندلس من خلال: تأثير المشرق العربي واثـر بغداد العراق<sup>(2)</sup> في الاندلس في النواحي الفكرية واثـرها في التأليف الاندلسي، وكذلك دور العلماء العراقيين الذاهبين للاندلس ومساهماتهم في الحركة العلمية، واثـراً علماء الاندلس القادمين الى بغداد وختـمنا دراستنا باهم النتائج.

### اولاً: تأثير المشرق العربي

ان الاندلس هذا الفردوس المفقود كان قطراً فريداً في دولة الاسلام، اهله

---

(1) السامرائي، كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، دار الحرية للطباعة، (بغداد، 1985)، ج2/ 149.

(2) لقد ذكر الاستاذ ناجي معروف في مقدمة لكتاب: (بغداد - مدينة المنصورة) تأليف طاهر مظفر العميد، من منشورات المكتبة الاهلية، بغداد، 1967. مانصه: "ويظهر تأثير بغداد واضحا في تسمية بعض المدن والاماكن باسمها بـ(بغداد المغرب)، وهي المدينة التي تتكون من مدينتين مسورتين هما (عدوة القرويين) و(عدوة الاندلسيين)، اما المدن والاماكن التي سميت (بغداد) فكثيرة منها (بغداد) التي انشأها (زيري بن عطية) في المغرب ومنها الاسماء التي اطلقت على اماكن مختلفة في العالم القديم والعالم الجديد... وسمي المغاربة بعض مدنها باسماء المدن الشرقية، متأثرين بزيارة تلك الديار، او وردوهم منها، فنجد اسم (بغداد) يطلق على مكان في مدينة (مكيك) لمايتوفر فيه من نخل، وفي مصر اطلق اسم (قصر بغداد) على قرية من قرى (المنوفية)...". ولقد ذكر الاستاذ ناجي معروف في نفس مقدمة الكتاب: اماكن عدة في الولايات المتحدة الامريكية واستراليا والاتحاد السوفيتي اسم بغداد وكذلك تنزانيا بافريقيا اذ اطلقت كلمة دار السلام على عاصمتها.

مزيج من عناصر اوربية واخرى شرقية، وحضارته ثمرة تمازج فكري بين الشرق والغرب على نحو قلما نجد له مثيلاً في كل بلاد الاسلام ولهذا تاريخه عميق تنفرد بخصائص ومميزات فريدة، والاندلس بلاداً على جانب كبير من الأهمية وولاية عظيمة من الولايات الاسلامية. وقد اتسمت بسمات العظمة والجلال باستنباط المعارف والعلوم وبثها في اقطار المعمورة وأنحاء العالم ونشروا لواء الحضارة على الربوع الاوربية التي كانت ترزح تحت ظلمات الجهل والانحلال والظلم والاستبداد فانتقلت بالقارة الاوربية من برائن الانحطاط الى أوج الرقي والازدهار.

ان استقرار السلطة في ايدي العرب لها دور كبير في النهضة العلمية والازدهار في الاندلس حيث ان العرب معروفون بموهبة حب العلوم والشعر المتأصلة في نفوسهم وحرصهم الشديد على اللغة العربية وآدابها. وقد اصبحت اللغة العربية لغة العلوم والآداب والفلسفة في الاندلس وجميع انحاء العالم الاسلامي الواسع، فكانت ادارة الوحدة الثقافية والحضارية فيه وهذا مما سهل نشر العلم ومشاركة جميع ابناء الاندلس في تقدمه وتنميته وتطويره<sup>(1)</sup>.

ساهم المشرق العربي الاسلامي من خلال الرحلات اسهاماً مباشراً في مطلع عهد المسلمين بالاندلس وفي بلورة الحياة الفكرية والعلمية وعملية

---

(1) سالم، السيد عبد العزيز، في تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (الاسكندرية، 1985)، ص 6-7؛ العلي، صالح احمد وآخرون، تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، مطبعة الاداب، (النجف الاشرف، 1395هـ/ 1975م)، ص 263 وما بعدها.



نضجها، اذ كان لدخول المزيد من كتب اعلام المشاركة في هذه العلوم منها تفسير القرآن للفقهاء المقرئ ابي زكريا يحيى بن سلام (ت200هـ/ 815م)<sup>(1)</sup>، وكتاب معاني القرآن وغريبه للفقهاء ابي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت276هـ/ 889م)<sup>(2)</sup>، وكتاب غريب القرآن للعالم اللغوي ابو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت210هـ/ 825م)، ويعد اول كتاب صنف في غريب القرآن<sup>(3)</sup>، وكتاب الناسخ والمنسوخ للفقهاء المحدث ابي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت223هـ/ 837م)<sup>(4)</sup>، وقد دخلت القراءات السبع الى الاندلس وذلك من خلال جذب من

---

(1) ينظر: ابو العرب، محمد بن احمد بن تميم (ت333هـ)، طبقات علماء افريقية وتونس، تحقيق: علي الشابي ونعيم حسن البافي، (تونس، 968)، ص111؛ ابن خير، ابو بكر محمد الاشبيلي (ت575هـ)، فهرسة مارواه عن شيوخه، تحقيق: قداره زيد بن وخبان، (بيروت، 1979)، ص56.

(2) الحميدي، محمد بن ابي نصر (ت488هـ)، جذوة المقتبس، (القاهرة، 1966)، ص76؛ ابن خير، مارواه عن شيوخه، ص66؛ بروكلمان، كارل، دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة: محمد ثابت الفندي وآخرون، (مصر، 1933)، مادة ابن قتيبة، ج1/ 260-262.

(3) ينظر: الزبيدي، محمد بن الحسن (ت379هـ)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة، 1973)، ص199؛ ابن خير، فهرسة مارواه، ص59؛ ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد (ت681هـ)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، 1968-1972)، ج5/ 235.

(4) ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص199؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ص14؛ ابن حيان، ابو مروان حيان بن خلف (ت469هـ)، المقتبس من علماء اهل الاندلس، تحقيق: محمود علي مكي، (بيروت، 1973)، ص254؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج4/ 60-63.

العلماء المشاركة الماهرين بالقراءات واحاطتهم بالاهتمام والتكريم والاخذ  
عنهم<sup>(1)</sup>.

ويرجح ان تأثير الاتجاه نحو التفسير بالرأي قد تبلور في بلد الاندلس عقب  
ورود بعض المصادر الشرقية لاسيما كتاب جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن  
جرير الطبري (ت310هـ/922م) ويعد من التفاسير الجيدة في المشرق العربي  
الذي جمع بين التفسير بالرواية والتفسير بالدراية (الرأي) فحاز السبق في  
منهجه<sup>(2)</sup>. كذلك كان هناك اتباع للمدرسة الثانية والتي تتخذ التفسير بالرأي،  
فقد اتبع الفقيه عبدالرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الانصاري (ت413هـ/  
1022م) احد اعلام التفسير البارزين المؤلفين وله تفسير مختصر اطلق عليه تفسير  
ابن سلام<sup>(3)</sup>.

وقد سارت دراسة الحديث في الاندلس حتى قيل ان بلاد الاندلس

---

(1) ينظر: ابن الفرضي، ابو الوليد عبدالله بن محمد (ت403هـ)، تاريخ علماء الاندلس،  
(القاهرة، 1966)، ج1/ 253، 316؛ بدر، احمد، تاريخ الاندلس في القرن الرابع الهجري،  
(عصر الخلافة)، (دمشق، 1974)، ص162.

(2) ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج2/ 207؛ ابن خير، فهرسة مارواه عن  
شيوخه، ص58؛ ومزیداً من التفاصيل حول شروط يجب ان تتوفر في مفسر القرآن منها  
اللغة، والتصريف، وعلم القراءات، واصول الدين، واصول الفقه، واسباب النزول،  
والناسخ والمنسوخ، والحديث النبوي الشريف ينظر: الصالح، صبحي، مباحث في علوم  
القرآن، (بيروت، 1977)، ص248 وما بعدها؛ ماجد، عبدالمنعم، تاريخ الحضارة  
الاسلامية، (القاهرة، 1978)، ص169.

(3) المقرئ، شهاب الدين احمد بن محمد (ت1041هـ)، نفح الطيب من غصن الاندلس  
الرطيب، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، (بيروت، 1949)، ج4/ 171.

اصبحت دار حديث، لما تهيأ لها من علوم الحديث ورجاله القائمين على دراسته والتأليف فيه. ويعد ذلك نتيجة عملية لازدهار الرحلة العلمية الى بلاد المشرق الاسلامي، والتي كانت قد بدأت منذ مطلع عهد المسلمين بالاندلس مع العلوم الدينية، فتزايد عدد العلماء وطلاب العلم الراحلين، فنشطت دراسة الحديث بصورة تلقائية في الاندلس في القرن الثالث الهجري، حيث كانت دراسة الحديث قد بلغت اوجها بالمشرق الاسلامي على يد الشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم. فنهل الاندلسيون من علومهم بما توفر لديهم من الكتب والمؤلفات التي تناولت علوم الحديث المختلفة. ومن العوامل المهمة الاخرى التي ساعدت على انتعاش دراسة الحديث في الاندلس الانفتاح على دراسة العلوم المختلفة الذي حدث ايام الامير عبدالرحمن بن الحكم وابنه الامير محمد، وتقريب اصحابها، والارسال في طلب العلوم القديمة من بلاد المشرق وقد افادت منه الى حد كبير علوم الحديث، حيث دخلت الاندلس مؤلفات مشرقية بالحديث تحوى اراء مخالفة لاراء مالك بن انس، رغم معارضة فقهاء المالكية لذلك<sup>(1)</sup>.

ويظهر ان دراسة الحديث في القرن الثالث على يد امثال هؤلاء العلماء، قد اوصلت هذه العلوم الى مرحلة مزدهرة بعد ان قطعت مايزيد على القرنين من العمل الدؤوب والنشاط المتواصل في طلب الحديث والرحلة اليه.

وقد حاول العلماء بعد ذلك القرن لمواصلة نشاطهم العلمي والمحافظة

---

(1) ابن سعيد المغربي، علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، (القاهرة، 1953)، ج 1/ 45-46؛ الوزاد، محمد، الاتجاهات الفكرية في الاندلس خلال القرن الثالث الهجري، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية، فاس، 1980-1981، العدد 4 و5، ص 160.

على حالة النهوض في هذه العلوم، ولدينا من المؤشرات ما يؤيد ذلك، فقد استمرت الجهود المخلصة من اجل نقل عيون المؤلفات المشرقية في ميدان علوم الحديث، حيث توفرت للعلماء والطلبة الاندلسيين، تأليف كبار رجال الحديث المشاركة، الذين وضعوا مؤلفاتهم في القرن الثالث الهجري، وكانت موضع اهتمام المسلمين في كل مكان. فاستفاد الاندلسيون منها ايضاً، وبهذا توفرت لدراسة الحديث بالاندلس مصادر جديدة اختصت للدراسة والشرح والاختصار والتأليف، مما ساهم في نشاط هذه الدراسات وازدهارها.

وفي مجال الدراسات اللغوية فقد بدأ الاهتمام بالدراسات اللغوية في الاندلس، منذ عهد مبكر، حيث قام عدد من الاندلسيين بالرحلة الى بلاد المشرق، ودراسة المسائل اللغوية هناك والعودة بالكتب المشرقية البارزة، ويعد ابو موسى الهراوي اول من جمع بين علم الفقه في الدين وعلم العرب بالاندلس اذ رحل الى المشرق ايام الامير عبدالرحمن الداخل<sup>(1)</sup>.

وقد لقيت الدراسات اللغوية اهتماماً متزايداً من لدن الاندلسيين بعد ان دخلت الى الاندلس علماء كثيراً من الشعر والعربية والاختبار<sup>(2)</sup>، مما حدا بالمقري<sup>(3)</sup> ان يقول ان الاندلسيين يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه، لانها عندهم ارفع السمات.

---

(1) ابن القوطية، محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت367هـ)، تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق: عبدالله انيس الطباع، (بيروت، 1958)، ص59؛ الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص253.

(2) ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج2/22-23.

(3) نفح الطيب، ج1/206.

ولعل شهادة ابي علي القالي البغدادي<sup>(1)</sup> القادم الى الاندلس من المشرق سنة 330هـ/ 941م دليل على سلامة الحركة اللغوية بالاندلس عندما نقل لنا ابن بسام<sup>(2)</sup> حين قال "لما وصلت القيروان وانا اعتبر من امر به من اهل الامصار، فاجدهم درجات في الغباوة وقلة الفهم... وان اهل الاندلس رأيت في افهامهم من اهل هذا الافق في ذكائهم" ويظهر انه وجد بيئة لغوية اندلسية جيدة بالقياس بما شاهده في شمال افريقيا.

وتشير النصوص الاندلسية ان العلماء المشاركة وعلى رأسهم ابو علي القالي الذين قدموا الى الاندلس لقوا حفاوة وتكريم من لدن الامراء لما اقاموا به من نشر العلم بين الناس فتركوا اثرهم الكبير في الناحية اللغوية على اهل الاندلس<sup>(3)</sup>، فقد استفاد الاندلسيون من كتاب الامالي لابو علي القالي وكتب

---

(1) ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، دخل قرطبة سنة 303هـ تتلمذ على علمائها الكبار وكان إماماً في علم اللغة متقدماً فيها متفنناً لها فأستفاد الناس منه وعولوا عليه، وكانت كتبه في غاية الضبط والاتقان ومن كتبه التي اختص فيها علمه، كتاب الامالي، كتاب الممدود والمقصود، كتاب الابل، وكتب اخرى عديدة، توفي في قرطبة ودفن فيها سنة 356هـ. المراكشي، أبو محمد عبد الواحد بن علي (ت 647هـ/ 1250م) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي (القاهرة، مطبعة الاستقامة، 1368هـ)، ص 303.

(2) الذخيرة، ق 1/ م 14-15.

(3) ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج 1/ 69؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق شاملتا، ص 480؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص 553.



كثيرة معظمها لغوية وأدبية وعن الاخبار قد وفرت لهم المصادر للاطلاع عليها  
لاسيما للباحثين الاندلسيين<sup>(1)</sup>.

وقد وصل اديب وعالم العراق القالي البغدادي الى بلاط الخليفة في قرطبة  
ايام عبدالرحمن الناصر وقام: "بنشر ما يحمله من علمه في الناس واشاعة اسماعهم  
وافادتهم وتأليف ما التقط من منشور ما عيا عليهم، فسارع الى ذلك بجد وقوة،  
ففاض على طلاب العلم ما عظم انتفاعهم به جداً، وصحح لهم صحائف كانت  
عندهم بورا، فاجد للسان العربي عندهم نشوراً"<sup>(2)</sup>، ويشير بروفنسال<sup>(3)</sup> حول  
زيارة القالي البغدادي الى كون أصبح كتابه الامالي كتاباً اساسياً ومرجعاً يعتمد  
عليه، وقد احصى المؤرخ والمصنف الاندلسي ابن خير الاشبيلي الكتب التي  
حملها القالي البغدادي معه الى الاندلس ثلاثة واربعون مصنفاً من المجموعات  
الشعرية<sup>(4)</sup>.

اخذ الاندلسيون علومهم في النحو من بلاد المشرق فحصلت اليهم كتب  
المشاركة النحوية فمن اوائل الرواد في هذا المجال ما قيل عن دودي بن عثمان  
(ت198هـ/ 813م) بانه اول من ادخل كتاب الكسائي<sup>(5)</sup>، ومحمد بن عبدالسلام

---

(1) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص185-186؛ الحميدي، جذوة المقتبس،  
ص166.

(2) ابن حيان، المقتبس، تح: شالميتا، ج5/ ص80.

(3) ليفي، الشرق الاسلامي والحضارة العربية الاسلامية، دار الطباعة المغربية، (تطوان،  
1975)، ص30.

(4) ابن خير الاشبيلي، فهرسة، ص58.

(5) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص256.

الحشني (ت286هـ/ 899م) - من علماء الحديث - الذي رحل الى المشرق والتقى بعلمائها<sup>(1)</sup>. وقد استمرت هذه الرحلات الاندلسية الى المشرق للقاء مشاهير النحويين وتلامذتهم من اصحاب مدرسة البصرة والكوفة النحويتين الشهيرتين في المشرق الغربي، فسمعوا من علمائها وعادوا الى الاندلس<sup>(2)</sup>، وانتسخ محمد بن موسى (ت307هـ/ 920م) كان اديباً مهتماً بالاخبار في رحلته الى الشرق كتاب سيبويه وابن قتيبة ورواها في الاندلس<sup>(3)</sup>. وكان من النتائج العلمية للرحلات العلمية المتبادلة بين الاندلس وبلاد المشرق انتشار مذهب المدرستين الكوفية والبصرية في الاندلس<sup>(4)</sup>.

وقد انتقلت الى بلاد الاندلس، بعضاً من الكتب التاريخية المشرقية لاعلام المؤلفين منها على سبيل المثال، تاريخ الرسول والملوك للطبري (ت310هـ/ 922م)<sup>(5)</sup>، وكتاب التاريخ لخليفة بن خياط (ت240هـ/ 854م) في عشرة اجزاء<sup>(6)</sup>، وكتاب الخلفاء للمدائني (ت215هـ/ 830م)<sup>(7)</sup>، وكتاب التاريخ لاحمد

---

(1) المصدر نفسه، ص268.

(2) ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج1/ 365؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص330.

(3) ابن الابار، ابو عبدالله محمد بن عبدالله (ت658هـ)، التكملة لكتاب الصلة، نشر: عزت العطار الحسيني، (القاهرة، 1956)، ص362.

(4) الافغاني، سعيد، هل في النحو مذهب اندلسي، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، 1959، م7، 8، ص76.

(5) ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج1/ 62، ج2/ 207.

(6) المصدر نفسه، ج2/ 92؛ ابن خير، فهرسة مارواه عن شيوخه، ص230.

(7) ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج2/ 186.

لاحمد بن زهير بن ابي خيثمة (ت279هـ/ 892م) ويقع في ثلاثين مجلداً<sup>(1)</sup>، وكتاب المعارف لابن قتيبة<sup>(2)</sup> ولا بد ان تكون هذه الكتب وغيرها قد اثرت في اطلاع الاندلسيين بغية الاستفادة منها في بلورة كتابة تاريخهم بالشكل الامثل.

لكن الاسهام البارز والدور الفعال في تنويع الفنون التاريخية الاندلسية، يظل للتأثر المشرقي، حيث ان مآظهر من فنون تاريخية اندلسية مآهو في الحقيقة الا نتيجة عملية لذلك التأثير، فقد صنف الاندلسيون في التاريخ العام، والتاريخ المحلي وتواريخ المدن<sup>(3)</sup>، الى جانب كتب التراجم، وكتب الطبقات، كطبقات المحدثين، والاطباء<sup>(4)</sup>، والنحويين واللغويين والكتاب<sup>(5)</sup>، والقضاة<sup>(6)</sup>، والشعراء<sup>(7)</sup>، حيث انفرد الاندلسيون شأن اخوانهم المشاركة كل طبقة من هؤلاء هؤلاء بتأليف يتناول سرداً لعلومهم واحوالهم ونشاطهم العلمي، وبعضها تناول اخبار طبقة من طبقات العلماء<sup>(8)</sup>.

---

(1) ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج 1/ 365، ج 2/ 37؛ ابن خير، فهرسة مارواه عن شيوخه، ص 206.

(2) ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج 1/ 13، 365؛ ابن خير، فهرسة مارواه عن شيوخه، ص 377.

(3) ابن حزم، رسالة في فضل الاندلس، ص 173.

(4) على سبيل الذكر كتاب مطبوع لابن جلجل، ابي داود سليمان بن حسان (ت384هـ)، (ت384هـ)، طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، (القاهرة، 1955).

(5) ابن حزم، رسالة في فضل الاندلس، ص 167.

(6) على سبيل الذكر كتاب مطبوع للخشني، محمد بن حارث (ت361هـ)، قضاة قرطبة، (القاهرة، 1966).

(7) ابن حزم، رسالة في فضل الاندلس، ص 167.

(8) المصدر نفسه، ص 166-167.

وكان العراق وعاصمته بغداد الحضارة مركز اشعاع حضاري كبير على الحضارة عامة وبطبيعة الحال الاندلس بفضل بيت الحكمة وعلمائه وماتأثرت به الاندلس بمنهج بيت الحكمة البغدادي لاسيما في حركة الترجمة، حتى وصل الامر بالاسبان الى محاولتهم للتنافس بمدارس انشئوها لما كان يحصل في بغداد<sup>(1)</sup>

### ثانياً: اثر بغداد في الحياة الفكرية

كانت بغداد الحضارة منبع الفكر والعلم والثقافة العالمية، ويشهد الفارابي، وابن سينا، والبخاري، وابن المقفع، والبيروني، وعديد من علماء اللغة والآداب، والتاريخ، والجغرافية، والفلسفة، والإسلاميات بكل علومها، من ابناء الشعوب العربية والاسلامية الواسعة على مدى تأثير الحضارة العراقية وقلبها بغداد على هذه الشعوب اذ إن "خلفاء بغداد ملكوا العالم بحضارتهم على الخصوص"<sup>(2)</sup>.

لقد امتد تأثير بغداد الحضارة الى اوربا عبر صقلية والاندلس، وجنوب فرنسا، وكان التأثير الالهم فقد جاء عن طريق الاندلس، وبغض النظر ان كان حكام بغداد عباسيين<sup>(3)</sup>، وحكام الاندلس امويين، فالحضارة العربية الاسلامية

---

(1) فنندت، بيدال رامون، اسبانيا وادخال العلوم العربية الى الغرب، تعريب: احمد لطفي عبد البديع، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد، مجلد 3، مدريد، 1955، ص 90.

(2) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م)، ص 180.

(3) يذكر انه في عصر المأمون ظهر في بغداد ما سمي ببيت الحكمة، الذي وضع عليه الحفاظ، الحفاظ، وأتحفه بالترجمين والعلماء، واستطاع الخليفة أن يجعل من هذا البيت قبلة العلماء، =

هي ذات الحضارة والشعوب هي ذاتها ايضاً. وأشار الرحالة بنيامين التطيلي ان بغداد وطيطة وقرطبة تضم جامعات مشتملة وعلى مختبرات ومراصد ومكتبات غنية وكل شيء فيها يساعد على البحث العلمي، ومن الصعب تقدير عدد الكتب في مكتبات بغداد العامة والخاصة، وذلك لكثرتها وتشعب مواضيعها، وكان كان للعرب في اسبانيا وحدها سبعون مكتبة عامة، وكان في مكتبة الحكم الثاني في قرطبة 600 الف كتاب وفيها اكثر من 40 مجلداً من الفهارس فقط<sup>(1)</sup>.

وسبق وان اشرنا الى ان الاندلسيين استمدوا حضارتهم من المشرق العربي، فكانوا لا يعترفون باصالة العطاء الثقافي او العلمي اذ لم توثقه شهادات

---

وأن ينظمه التنظيم الدقيق، وقد عُرف هذا البيت باسم المأمون، واشتهر به. ينظر: ابن النديم، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحاق (ت358هـ)، الفهرست، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1416هـ/1996م)، ص395.

(1) كراتشكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي، (بغداد، 1945)، 1/ 338: ويقول يوسف العش: "يصح القول بأن التصنيف ابتداءً في العصر العباسي، ومعنى هذا أن تصنيف الكتب على أسلوب دقيق منظم بدأ في العصر العباسي، إلا أن الكتابة والتأليف والجمع حدث قبل العصر العباسي، وأياً ما كان الأمر، فالحركة في العصر العباسي كانت قوية بدرجة تذهل الإنسان: فهذه البصرة تؤلف الكتب وتستخرج الآراء، وتضع النحو، وهذه الكوفة تكتب في التاريخ والأدب، وتؤلف في النحو، وهذه بغداد تضم خضماً هائلاً من العلماء، يتكاثرون في المساجد، ويكتبون العلم، حتى إذا وصلنا إلى عصر المأمون، رأينا معظم المتعلمين يكتبون على التأليف، وعلى إخراج الكتب ينظر: العش، يوسف، تاريخ عصر الخلافة العباسية - راجعه ونقحه محمد أبو الفرج العش - دار الفكر، (دمشق 1402هـ/1983م)، ص235-236.



مشرقية بغدادية، ولانريد هنا ان نقلل من حضارة الاندلس وانما الحضارة الأم هي التي تفرض التأثير الاساس كونها اقوى التيارات في الرافد الواحد. وبالتالي كان هناك احتكاك ثقافي يشير إلى مجموعة من العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد، وبين الجماعات الإنسانية المختلفة يترتب عليها حدوث تغير ثقافي يتخذ أشكالاً متعددة، بعضها مادي وبعضها معنوي، وغالباً ما ترتبط هذه الأشكال بعادات الجماعة وتقاليدها ومثلها العليا، ومن الصعب على أي مجتمع استعارة عناصر ثقافية من مجتمع آخر دون احتكاك ثقافي، وما يترتب عليه من تفاعلات ثقافية تؤدي إلى ظهور سمات ثقافية محدّدة<sup>(1)</sup>.

لقد كان للامير عبد الرحمن الثاني بعد ان تولى السلطة عام (206هـ/ 822م) الفضل الكبير في عملية الانفتاح الى العراق وترحيبه بعلماء بغداد، اذ كان محباً للعلم لاسيما وكونه مثقفاً وشاعراً<sup>(2)</sup>، ومن الطبيعي ان الوافدين من الاندلس الى بغداد لتلقي العلوم، يتلقون العلم على جلة العلماء المشهورين في مختلف العلوم وفنون المعرفة الانسانية، فتشير مصادرنا التاريخية منهم من درس على يد الامام الغزالي كالمهدي بن تومرت مؤسس حركة الموحدين الذين انتقل بحركته الى الاندلس<sup>(3)</sup>، وكذلك المؤرخ الاندلسي الحميدي صاحب كتاب جذوة المقتبس الذي عاش في بغداد ولم يغادرها ودفن فيها وقد تتلمذ على يد الخطيب البغدادي وعلى طبقة اخرى من اهل العلم<sup>(4)</sup>

---

(1) لطفي، بركات احمد، المعجم التربوي، دار الوطن، (الرياض، 1984)، ص 28.

(2) ابن عذاري، ابو العباس احمد بن محمد (ت 695هـ)، البيان المغرب، تحقيق: ج.س كولان ولفي بروفنسال، (ليدن، 1948-1951)، ج 2/ 135.

(3) ينظر: المقري، نفح الطيب، ج 1/ 609.

(4) ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك، (ت 578هـ)، الصلة، تحقيق عزت العطار الحسيني،

واذا اردنا استعراض جمهرة العلماء الاندلسيين الذين وفدوا الى المشرق ولاسيما بغداد لدهشنا من عدد الوافدين وكثرة عددهم ونتاجهم الفكري في رفد الحركة الثقافية بالاندلس، فقد ذكرهم اصحاب المكتبة الاندلسية كابن الفرضي في كتابه تاريخ علماء الاندلس، وصاحب كتاب الصلة لابن بشكوال، والحميدي في كتابه جذوة المقتبس والمقري في نفحه، وغيرهم من مؤرخي الاندلس.

### ثالثاً: اعلام اندلسية في بغداد

من الصعوبة بمكان الاحاطة بكل الوافدين الاندلسيين الى بغداد لذلك سنقتصر على فئة من البارزين منهم كون بعضهم بقي في بغداد ودفن فيها كالحميدي صاحب كتاب جذوة المقتبس، ومنهم من عاد لبلده فأثر في حركته العلمية والادبية والفكرية امثال ابو الوليد الباجي، ومنهم من قضت عليه همجية التتر فخر شهيدا غريباً، امثال ابي عبدالله محمد بن احمد الزهري الاشيلي.

### سليمان بن خلف بن سعد ابن أيوب بن وارث التجيبي الباجي

يكنى أبا الوليد<sup>(1)</sup>، ولد عام (403 هـ / 1012م). حصل عليه من منزلة

---

مكتب الثقافة الاسلامية، (1375هـ / 1955م)، ج2/530؛ الضبي، احمد بن يحيى ابن احمد ابن عميرة (ت 599هـ)، بغية الملتبس في رجال اهل الأندلس، دار الكاتب العربي، (1387هـ / 1967م)، ص113؛ المقري، نفح الطيب، ج2/113.

(1) ابن بشكوال، الصلة، ج1/200-201؛ المقري، نفح الطيب، ج2/68؛ القنوجي، صديق بن حسن (ت 1307هـ)، اجمد العلوم والوشي المرقوم في بيان احوال العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت (1398هـ / 1978م)، ج3/145.

علمية في المشرق والمغرب وكان أبو الوليد من أهل قرطبة، وروى بها عن القاضي يونس بن عبد الله وأبي سعيد الجعفري وغيرهم ورحل الى المشرق سنة (426هـ / 1035م)<sup>(1)</sup>، وأقام مع أبي ذر الهروي ثلاثة أعوام في مكة، ثم رحل الى بغداد ولقي بها أبا الطيب الطبري، وأبا اسحاق الشيرازي، وروى عن الخطيب البغدادي، وروى الخطيب عنه<sup>(2)</sup>، وهو من أئمة المسلمين المعروفين في المشرق والمغرب حيث بقى في المشرق ثلاثة عشر عاما يطلب العلم وفي مقدمته الفقه، الذي درسه في بغداد والموصل<sup>(3)</sup>، وكان أبو الوليد في بداية حياته أديباً، شاعراً فجعل الشعر بضاعته، فقال به من كل الرغائب<sup>(4)</sup> ومن ثم مال الى علم الديانة، وكان أبو الوليد غزير الإنتاج ومن كتبه (التسديد الى معرفة التوحيد) وكتاب (سنن المناهج وترتيب الحجاج) وكتاب (الإيماء في الفقه) في خمس مجلدات وكتاب (الاستيفاء) وكتاب (أمام الفصول في أحكام الأصول)<sup>(5)</sup>. وقد رجع أبو الوليد الى الأندلس بعلم كثير ودراية واسعة وولي القضاء هناك<sup>(6)</sup>

---

(1) ابن بشكوال، الصلة، ج 1 / 201؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج 2 / 409؛ المقرئ، نفح الطيب، ج 2 / 69؛ خورشيد، إبراهيم زكي، دائرة المعارف الإسلامية، (القاهرة، دون تاريخ)، المجلد الخامس، ص 587

(2) ابن بشكوال، الصلة، ج 1 / 201؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج 2 / 409؛ القنوجي، امجد العلوم، ج 3 / 145.

(3) ابن بشكوال، الصلة، ج 1 / 201؛ خورشيد، دائرة المعارف الإسلامية، م 5، ص 587.

(4) المقرئ، نفح الطيب، ج 2 / 68.

(5) مزيدا من التفاصيل حول مؤلفاته ينظر: المصدر نفسه، ج 2 / 68-69.

(6) القنوجي، امجد العلوم، ج 3 / 145.

حتى صار اكثر العلماء يسمعون منه، ومنهم أبو عمر بن عبد البر وغيره<sup>(1)</sup> ومما يفتخر به انه روى عنه حافظا المغرب والمشرق أبو عمر بن عبد البر والخطيب البغدادي<sup>(2)</sup> وكان أبو الوليد من أبرز الذين دعوا الى وحدة الأندلس، وقد توفي بالمرية سنة (0474 هـ / 1081م).

#### محمد بن عبد السلام الخشني

وهو محمد بن عبد السلام بن ثعلبة بن زيد بن الحسن بن كلب بن ابي ثقلية الخشني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل قرطبة يكنى ابا عبدالله<sup>(3)</sup> رحل قبل الاربعين ومائتين فحج ودخل البصرة فوجد اهلها متوافدين فسمع فيها من محمد بن بشار بن دار ومن ابي موسى الزمين، ونصر بن علي الجهصمي، وغيرهم من اصحاب الحديث. ولقي ابا حاتم سهل بن محمد السجستاني، والعباس بن الفرج الرياشي و ابا اسحاق الزبادي فاخذ عنهم كثيراً من كتب اللغة ورواية الاصمعي وغيره.<sup>(4)</sup>

---

(1) ابن بشكوال، الصلة، ج 1/ 202 ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج 2/ 409. القنوجي، اجد العلوم، ج 3/ 145.

(2) ابن بشكوال، الصلة، ج 1، ص 202؛ المقري، نفح الطيب، ج 2/ 69. واتفق القنوجي في مكان وفاته واختلف في السنة، حيث ذكر سنة (471 هـ / 1078م). انظر، اجد العلوم، ج 3/ 145.

(3) ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، ج 2/ 16

(4) الذهبي، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت 748 هـ)، سير اعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف ومحي هلال السرمان، مؤسسة الرسالة (بيروت - 1985م)، ج 15/ 242

دخل بغداد فسمع بها من غير واحد وكتب بها كتب أبي عبيد القاسم بن سلام عن محمد بن وهب المسعري وأبي عمران موسى بن خاقان، وروى عنه المشاهد وجماعة كثيرة من البصريين وغيرهم<sup>(1)</sup>، وادخل إلى الأندلس كثيراً من حديث الأئمة وكثيراً من اللغة والشعر الجاهلي رواية، وكان فصيح اللسان جزل المنطق، وكان صارماً وانوفاً منقبضاً عن السلطان وأراد أن يمدد محمد بن عبد الله على القضاء فابى وسمع منه الكثير من طلاب العلم والحديث، توفي محمد بن عبد السلام الحشني رحمه الله يوم السبت لاربع بقين من شهر رمضان سنة ست وثمانين ومائتين وهو ابن ثمان وستين سنة<sup>(2)</sup>.

#### محمد بن أبي نصر فتوح الأزدي الحميدي الأندلسي

يكنى أبا عبد الله<sup>(3)</sup>، الحافظ المشهور، وأصله من قرطبة<sup>(4)</sup>، ولد في بليدة بالأندلس قبل سنة (420هـ / 1029م)<sup>(5)</sup>، وأول سماعه كان سنة (425هـ / 1033م) أو نحوها من أصبغ بن راشد بن أصبغ اللخمي أبو القاسم من أهل

---

(1) المصدر نفسه، ج 15 / 242

(2) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج 2 / 16.

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 4 / 283؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق فؤاد، (1381هـ / 1981م)، ج 3 / 323؛ الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن عماد، (ت 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة القدسي، القاهرة، (1350هـ / 1936م)، ج 2 / 392.

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2 / 282؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج 2 / 392.

(5) المقرئ، نفح الطيب، ج 2 / 113.



اشبيلية الفقيه المحدث<sup>(1)</sup> وكان أبو عبد الله دؤوباً على العلم، أخبارياً، متقناً، كثير التصانيف<sup>(2)</sup> مؤلف (الجمع بين الصحيحين)<sup>(3)</sup>، وصاحب كتاب (تاريخ الإسلام ومن ادعى الامان من أهل الايمان)، وكتاب (الذهب المسبوك في وعض الملوك)، وكتاب (تسهيل السبيل الى علم الترسيل)، وكتاب (مخاطبات الأصدقاء)، واشهر كتبه (جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس وأسماء رواة الحديث والأدب)<sup>(4)</sup> الذي ألفه في بغداد بناءً على طلب أهلها منه<sup>(5)</sup>، حيث يُعدُّ يُعدُّ هذا الكتاب من التراجم الأندلسية القديمة المهمة، سمع الحميدي بالأندلس من ابن عبد البر وابن حزم الظاهري، وصحب كلاهما<sup>(6)</sup> مدة بالأندلس وروى عنهما<sup>(7)</sup>، وبعد تجوال في عدد من المدن الإسلامية استقر في بغداد التي روى عن شيوخها ولاسيما الخطيب البغدادي (ت 463هـ / 1071م) حافظ المشرق<sup>(8)</sup>، وهذا يدل على ما وصل اليه الحميدي وان منزلته بلغت منزلة العلماء المشهورين حيث روى عن حافظا المغرب والمشرق. وقد توفي الحميدي

(1) الذهبي، العبر، ج 3/325.

(2) الحميدي، جذوة المقتبس، ص 173-174؛ ابن بشكوال، الصلة، ج 1/109.

(3) ابن خير، الفهرسة، ص 222. الحنبلي، شذرات الذهب، ج 2/392.

(4) مزيداً من التفاصيل لمؤلفاته ينظر: المقري، نفح الطيب، ج 2/113.

(5) الحميدي، جذوة المقتبس، ص 3.

(6) الذهبي، العبر، ج 3/325.

(7) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج 4/282. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج 18/155.

(8) ابن بشكوال، الصلة، ج 2/530؛ الضبي، بغية الملتبس، ص 113؛ المقري، نفح الطيب،

ج 2/113.

بيغداد سنة (488هـ / 1094م) عن نحو سبعين سنة، وكان أحد أوعية العلم<sup>(1)</sup>

أحمد بن قاسم بن عيسى بن فرج اللخمي الاقليشي.

يكنى أبا العباس المقرئ، سكن قرطبة، وكانت ولادته في سنة (363هـ / 973م)، ورحل أبو العباس الى المشرق ودخل بغداد<sup>(2)</sup>، وسمع بها من ابن حبانة البزاز وإبراهيم الكتاني وغيرهما<sup>(3)</sup>، ألف أبو العباس كتباً في معاني القراءات أخذها الناس عنه، وكان ثقة، فاضلاً، صالحاً، مجوداً للقرآن قائماً بالروايات فيه، وملتزماً في مسجد الغازي بقرطبة لاقرأه الناس عن شيوخ المشرق<sup>(4)</sup>، وقد انتقل أبو العباس على اثر الفتنة من قرطبة الى طليطلة وقرأ الناس بها الى أن توفي في سنة (410هـ / 1019م)<sup>(5)</sup>.

أحمد بن الفضل بن العباس الدينوري<sup>(6)</sup>

يكنى أبا بكر المطوعي، ومن المشرق سمع من أكبر علمائها ومنهم جعفر بن محمد الفريابي، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري فأخذ عنه كتابه المعروف

---

(1) ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص531؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدر اباد الدكن، ط3، (1375هـ / 1955م)، ج4/1219؛ المقرئ، نفح الطيب، ج2/113.

(2) الحميدي، جذوة المقتبس، ص142. ابن بشكوال، الصلة، ج1/31.

(3) ابن بشكوال، الصلة، ج1/31.

(4) المصدر نفسه، ج1/31.

(5) ابن بشكوال، الصلة، ج1/32.

(6) الحميدي، جذوة المقتبس، ص140؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج17/79.

(ذيل المذيل)<sup>(1)</sup> وكتابه (صريح السنة)<sup>(2)</sup> وكتابه (فضائل الجهاد)<sup>(3)</sup>، ودخل الأندلس وحدث بها<sup>(4)</sup> وقد حدث عنه بالأندلس الكثير من العلماء المعروفين ومن المعهم أبو عمر ابن عبد البر النمري، وأبو الوليد بن الفرضي<sup>(5)</sup>.

#### عبدالله بن محمد بن عبد المؤمن بن يحيى التجيبي

يعرف بابن الزيات، ويكنى أبا محمد، من أهل قرطبة<sup>(6)</sup>، ولد سنة (314هـ/926م)، ورحل الى المشرق رحلتين دخل فيهما الى العراق وسمع ببغداد من إسماعيل بن محمد الصفار ومن ابن السماك<sup>(7)</sup>، وغيرهم الكثير، وسمع بالبصرة من أبي بكر داسة التمار، وغيره<sup>(8)</sup>، ورجع وحدث بالأندلس وكان تاجراً صدوقاً<sup>(9)</sup>، قال فيه ابن الفرضي: كان كثير الحديث، مسنداً،

---

(1) الحميدي، جذوة المقتبس، ص 140

(2) المصدر نفسه، ص 140

(3) الحميدي، جذوة المقتبس، ص 140.

(4) المصدر نفسه، ص 140.

(5) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج 17/79.

(6) ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ج 1، ص 288؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص 252؛ الذهبي،

الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج 15/538؛ ابن حجر، احمد بن علي بن حجر العسقلاني

(ت 852هـ)، لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند، مؤسسة الاعلمي

للمطبوعات، بيروت، ط 3، (1406هـ/1986م)، ج 3/353.

(7) ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ج 1/288. الحميدي، جذوة المقتبس، ص 252

(8) ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ج 1/288

(9) ابن حجر، لسان الميزان، ج 3/353

صحيحاً للسمع، صدوقاً في روايته، الا ان ضبطه لم يكن جيداً...<sup>(1)</sup>، وقد توفي ابن الزيات في سنة (390هـ / 1000م)<sup>(2)</sup>.

#### محمد بن عمرو بن العاص

يكنى أبا عبد الله<sup>(3)</sup>، من أهل قرطبة<sup>(4)</sup> ومن ابرز شيوخها<sup>(5)</sup>، روى في قرطبة عن أبي عبد الله بن مفرج وآخرين<sup>(6)</sup>. كانت له رحلة ودخل الى العراق بعد ان حجّ وروى في بغداد عن الفقيه أبي بكر الابهري والدارقطني وغيرهم<sup>(7)</sup>. وغيرهم<sup>(7)</sup>. وذهب الى البصرة والتقى بابي بكر أحمد بن محمد الاسفاطي<sup>(8)</sup>، ورجع الى الأندلس بعلم جم<sup>(9)</sup> توفي أبو عبد الله سنة (400هـ / 1009م)<sup>(10)</sup>

#### عبد بن أحمد بن محمد الهروي:

يكنى أبا ذر والمعروف ببلده بابن السماك، الانصاري، الخرساني المالكي،

---

(1) ابن الفرضي، تاريخ العلماء، ج 1/ 288

(2) المصدر نفسه، ج 1/ 289

(3) ابن بشكوال، الصلة، ج 2، ص 487. المقرئ، نفح الطيب، ج 2/ 61.

(4) المصدر نفسه، ج 2/ 487.

(5) المقرئ، نفح الطيب، ج 2/ 61.

(6) ابن بشكوال، الصلة، ج 2/ 487. المقرئ، نفح الطيب، ج 2/ 61.

(7) المقرئ، نفح الطيب، ج 2/ 61.

(8) ابن بشكوال، الصلة، ج 2/ 487.

(9) المصدر نفسه، ج 2/ 487.

(10) المقرئ، نفح الطيب، ج 2/ 61.

الإمام، الحافظ، المجود، العلامة، شيخ الحرم<sup>(1)</sup>. ولد أبو ذر سنة (356هـ/966م)<sup>(2)</sup>، رحل الى العراق وسمع ببغداد من عبيد الله بن عبد الرحمن الرحمن الزهري، وأبي الحسن الدارقطني، وبالبصرة سمع من هلال بن محمد، وشيبان بن محمد الضبعي<sup>(3)</sup>.

وهذا يعطينا الانطباع لما وصل اليه هذا الإمام من درجة علمية ومستوى رفيع حيث حدث "بخراسان وبغداد والحرم"<sup>(4)</sup> ويدل على أن شيخا مثله لم يجز لتلميذ او لصاحب علم علمه، الا اذا كان يستحق هذه المكانة والأمانة العلمية، وكان أبو ذر ثقة، ضابطا، فاضلا، وقيل انه كان يميل الى مذهب الاشعري<sup>(5)</sup>، وقد ألف معجما لشيخه<sup>(6)</sup>، وله تصانيف عدة وراوي الصحيح عن الثلاثة المستملي والحموي والكشميهني<sup>(7)</sup>، وألف أيضاً (مسند الموطأت) او (مسانيد

---

(1) ابن بشكوال، الصلة، ج2/677؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج17/554، ج18/157؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت 597هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، دار صادر، بيروت، (1358هـ/ 1938م)، ج8/116.

(2) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج17/554.

(3) المصدر نفسه، ج17/554.

(4) المصدر نفسه، ج17/554.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج8/116.

(6) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج17/554.

(7) الطبري، احمد بن عبد الله بن محمد (ت 694هـ)، الرياض النظرية في مناقب العشرة، تحقيق عيسى عبد الله محمد مانع الحميري، دار الغرب الاسلامي، بيروت، (1416هـ/ 1996م)، ج2/223.



الموطأ<sup>(1)</sup>، وهناك الكثير من تواليفه<sup>(2)</sup> ولم يعمر أبو ذر حيث توفي في سنة (434هـ / 1043م)<sup>(3)</sup>

#### حسين بن محمد بن فيره بن حيون

ويعرف بابن سكرة الصدي أو السرقسطي<sup>(4)</sup> وهو من أهل سرقسطة سكن مرسية، يكنى أبا علي. وكان أبو علي إمام عصره في علم الحديث وآخر أئمة في الأندلس، فقيهاً، فاضلاً، ديناً، متواضعاً، حليماً، وقوراً<sup>(5)</sup> تنقل بين أرجاء الأندلس وسمع من أكبر علمائها<sup>(6)</sup> ورحل إلى المشرق وتنقل بها بعد أن حجّ وذهب إلى البصرة ثم بغداد<sup>(7)</sup> ثم رجع إلى الأندلس واستقر بمرسية وأخذ يحدث الناس بجامعها<sup>(8)</sup> وكثر طلابه من الأندلس وخارجها، واستقضى بمرسية مدة<sup>(9)</sup> واستشهد أبو علي في وقعة قنطرة بغير الأندلس سنة (514هـ / 1120م)

---

(1) ابن خير، الفهرسة، ص 89؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج 8 / 85.

(2) للتفاصيل انظر، ابن خير، الفهرسة، ص 286-287.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج 8 / 116.

(4) ابن بشكوال، الصلة، ج 1، ص 144؛ ابن فرحون، برهان الدين ابراهيم (ت 799هـ)، الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب، تحقيق: محمد الاحمدي، (القاهرة، بلا. ت)، ج 1 / 331.

(5) ابن بشكوال، الصلة، ج 1، ص 144؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ج 1 / 331.

(6) ابن فرحون، الديباج المذهب، ج 1 / 331.

(7) ابن بشكوال، الصلة، ج 1 / 144-145؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ج 1 / 331.

(8) ابن بشكوال، الصلة، ج 1 / 145.

(9) المصدر نفسه، ج 1 / 145.

وهو من أبناء الستين<sup>(1)</sup>.

## الخاتمة

كان العراق موطن للعلم ومرتع للعلماء والباحثين سواء اكان القادمين اليه من مشرقه او من مغربه، اذ توفرت في العراق اكبر خزائن الكتب واشهرها واضخمها، حيث كانت بغداد الحضارة مركز الخلافة جمعت بين حسن الموقع واعتدال الطبيعة وتباين المجتمع وعمارة الاسواق وتصارع الافكار وتصادم الاراء وتمازج العقول وتقبل الغرباء والترحيب بالاصدقاء ومحاربة الاعداء، وفي الطرف الغربي من العالم الاسلامي حيث قرطبة قاعدة الاندلس وعاصمتها ايام الامارة والخلافة الاموية، ومن خلال ماتوصلنا اليه من خلال ماتقدم نجد ان العراق وعاصمته بغداد هي صاحبة الفضل على الاندلس ومدنها فلقد كان العالم في الاندلس لايجد له منزلة مالم يكن قد زار بغداد واتصل بالمشرق عن طريق الرحلة والدراسة والتحصيل والزيارة فهذا ابن بسام يقول إلا أن أهل هذا الأفق، أبوا إلا متابعة أهل الشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة، رجوع إلى قتادة؛ حتى لو نعت بتلك الآفاق غراب، أوطن بأقصى الشام والعراق ذباب، لجثوا على هذا صنما، وتلوا ذلك كتاباً محكماً، وأخبارهم الباهرة، وأشعارهم السائرة، مرمى القصية<sup>(2)</sup>.

ومما تقدم من دراسة حول اثر بغداد الفكري والعلمي على الاندلس كشفت هذه الدراسة عن ان ميلاد التأليف بالاندلس بكافة العلوم والمعارف، لم

---

(1) المصدر نفسه، ج 1/ 146؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ج 1/ 333.

(2) ابن بسام، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، ق 1/ مج 1/ ص 2.

يكن مستقلاً عن كتابات المشاركة، إذ إن التاج الفكري الأندلسي لم تكن نشأته وانتشاره بمعزل عن ما سبقه من ازدهار في المشرق تمثل ذلك في التفاعل الحضاري والسياسي الذي ساد بقاع العالم الإسلامي، متمثلاً برحلات التجار، ورحلات الحج، ورحلات طلب العلم، وأقرب مثال على ذلك رحلات الانتقال للاستقرار في بلدان العالم الإسلامي كرحلة الحميدي إلى بغداد وبقاءه هناك حتى وفاته، الأمر الذي أفاده في الاطلاع على كتب المشاركة. وأبرزت هذه الدراسة مكانة بغداد التاريخية ودورها الكبير في نشر الفكر والعلم والمعرفة في كل الأمصار العربية والإسلامية وخارج نطاق هذه الجغرافية بمعنى أنه وصل إلى الأندلس ومنها إلى أوروبا.

## المصادر والمراجع

1. ابن الابار، ابو عبد الله محمد بن عبدالله (ت658هـ)، التكملة لكتاب الصلة، نشر: عزت العطار الحسيني، (القاهرة، 1956).
2. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت 597هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، دار صادر، بيروت، (1358هـ / 1938م)
3. ابن الفرضي، ابو الوليد عبدالله بن محمد (ت403هـ)، تاريخ علماء الاندلس، (القاهرة، 1966).
4. ابن القوطية، محمد بن عمر بن عبدالعزيز (ت367هـ)، تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق: عبد الله انيس الطباع، (بيروت، 1958).
5. ابن النديم، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحاق (ت358هـ)، الفهرست، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1416هـ / 1996م).
6. ابن بسام الشنتريني، ابي الحسن علي (ت542هـ)، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، (بيروت، 1979).
7. ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك، (ت 578هـ)، الصلة، تحقيق عزت العطار الحسيني، مكتب الثقافة الاسلامية، (1375هـ / 1955م).
8. ابن جلجل، ابي داود سليمان بن حسان (ت384هـ)، طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، (القاهرة، 1955).
9. ابن حجر، احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، لسان الميزان، تحقيق دائرة المعارف النظامية، الهند، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط3، (1406هـ / 1986م).

10. ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد (ت456هـ)، ابن حزم، رسالة في فضل الاندلس، نقلها المقرئ في نفح الطيب، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة، 1949).
11. ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت469هـ)، المقتبس من علماء أهل الاندلس، تحقيق: محمود علي مكي، (بيروت، 1973).
12. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد (ت681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، 1968-1972).
13. ابن خير، أبو بكر محمد الأشبيلي (ت575هـ)، فهرسة مارواه عن شيوخه، تحقيق: قداره زيد بن وخبان، (بيروت، 1979).
14. ابن سعيد المغربي، علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، (القاهرة، 1953).
15. ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت695هـ)، البيان المغرب، تحقيق: ج. س. كولان وليفي بروفنسال، (لندن، 1948-1951).
16. ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم (ت799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق: محمد الاحمدي، (القاهرة، بلا. ت).
17. أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم (ت333هـ)، طبقات علماء إفريقية وتونس، تحقيق: علي الشابي ونعيم حسن البافي، (تونس، 1968).
18. الحميدي، محمد بن أبي نصر (ت488هـ)، جذوة المقتبس، (القاهرة، 1966).
19. حنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن عماد، (ت1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة القدسي، القاهرة، (1350هـ / 1936م).



20. الخشني، محمد بن حارث (ت361هـ)، قضاة قرطبة، (القاهرة، 1966).
21. الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي (ت463هـ)، تاريخ بغداد، المكتبة السلفية، (المدينة المنورة، بلا. ت).
22. الذهبي، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت748هـ).
- a. تذكرة الحفاظ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدر اباد الدكن، ط3، (1375هـ/ 1955م).
- b. سير اعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف ومحي هلال السرمان، مؤسسة الرسالة (بيروت - 1985م).
- c. العبر في خبر من غير، تحقيق فؤاد، (1381هـ/ 1981م).
23. الزبيدي، محمد بن الحسن (ت379هـ)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة، 1973).
24. الضبي، احمد بن يحيى ابن احمد ابن عميرة (ت 599هـ)، بغية الملتبس في رجال اهل الأندلس، دار الكاتب العربي، (1387هـ/ 1967م).
25. الطبري، احمد بن عبد الله بن محمد (ت 694هـ)، الرياض النظرية في مناقب العشرة، تحقيق عيسى عبد الله محمد مانع الحميري، دار الغرب الاسلامي، بيروت، (1416هـ/ 1996م).
26. القنوجي، صديق بن حسن (ت 1307هـ)، ابجد العلوم والوشي المرقوم في بيان احوال العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت (1398هـ/ 1978م).

27. المراكشي، أبو محمد عبد الواحد بن علي (ت647هـ / 1250م) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي (القاهرة، مطبعة الاستقامة، 1368هـ).
28. المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت1041هـ)، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، (بيروت، 1949).
29. المراجع الثانوية
30. الافغاني، سعيد، هل في النحو مذهب اندلسي، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، 1959، م7، 8.
31. بدر، أحمد، تاريخ الاندلس في القرن الرابع الهجري، (عصر الخلافة)، (دمشق، 1974).
32. بروكلمان، كارل، دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة: محمد ثابت الفندي وآخرون، (مصر، 1933).
33. خورشيد، إبراهيم زكي، دائرة المعارف الإسلامية، (القاهرة، دون تاريخ)، المجلد الخامس.
34. سالم، السيد عبد العزيز، في تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (الاسكندرية، 1985).
35. السامرائي، كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، دار الحرية لطباعة، (بغداد، 1985).
36. الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، (بيروت، 1977)، ص248

- ومابعدھا؛ ماجد، عبد المنعم، تاريخ الحضارة الاسلامية، (القاهرة، 1978).
37. العش، يوسف، تاريخ عصر الخلافة العباسية - راجعه ونقحه محمد أبو الفرج العش - دار الفكر، (دمشق 1402هـ / 1983م).
38. العلي، صالح احمد وآخرون، تاريخ الحضارة العربية الاسلامية، مطبعة الاداب، (النجف الاشرف، 1395هـ / 1975م).
39. العميد، طاهر مظفر، بغداد - مدينة المنصورة، منشورات المكتبة الاهلية، (بغداد، 1967).
40. فننت، بيدال رامون، اسبانيا وادخال العلوم العربية الى الغرب، تعريب: احمد لطفي عبدالبدیع، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد، مجلد 3، مدريد، 1955.
41. كراتشكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي، (بغداد، 1945).
42. لطفي، بركات احمد، المعجم التربوي، دار الوطن، (الرياض، 1984).
43. لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م).
44. ليفي، بروفنسال، الشرق الاسلامي والحضارة العربية الاسلامية، دار الطباعة المغربية، (تطوان، 1975).
45. الوزاد، محمد، الاتجاهات الفكرية في الاندلس خلال القرن الثالث الهجري، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية، فاس، 1980-1981، العدد 4 و 5.

# هجومات النورمانيين على الاندلس







## هجومات النورمانيين على الاندلس

اكتسب اهل الاندلس خبرة متميزة في الحروب ومايرتبط بها من تنظيم وجهود مختلفة، يدل على ذلك تاريخهم العريق في خوض المعارك وتحقيق الانتصارات منها، اذ كانت الاندلس عرضة لاطماع الكثير ممن حولها من قوى، فقد نشبت على ارضها وسواحلها حروب عدة ومن هذه الحروب هجوم النورمان عليها لذلك سنتطرق في هذه الدراسة عن تلك الهجمات والدور الكبير الذي مارسه الاندلسيون في صد تلك الهجمات فضلاً عن جهودهم في بناء قوة بحرية قادرة على صد أي هجوم مستقبلي.

### 1. النورمان اصلهم وتسميتهم:

أصلهم جرمني وينقسم هذا الشعب الى ثلاث: السويديون والنرويجيون والدنماركيون<sup>(1)</sup>، وكان للظروف الجغرافية وغيرها اثر في الوجه التي قصبتها كل مجموعة من هذه الثلاثة في نشاطها الحربي أو التجاري<sup>(2)</sup> فالسويديون اتجهوا الى شرق اوربا للتجارة والغزو احياناً، والنرويجيون، اتجهوا الى غزو اسكتلندا وايرلندا، واتجه الدنماركيون الى غزو هولندا وبعض سواحل شرق انكلترا وسواحل الامبراطورية الفرنجية<sup>(3)</sup>.

اما ماتسميه مصادرها الاندلسية هؤلاء النورمان، بالمجوس او الاردمانيون<sup>(4)</sup> ويعرف باللغة الاسبانية wikingos أو Norman بل ذلك بالانكليزية Vikings أو Norsemen<sup>(4)</sup>، فقد ذكر انهم استخدموا النار من قبلهم للتدفئة ويبدو ان معتقدتهم الديني يجعلهم يقدسون النار<sup>(6)</sup> وعبادتها بوصفها ظاهرة من الظواهر الطبيعية فضلاً عن استخدام النار في كل موضع

يحلون به بل كانوا يحرقون جثث الموتى من زعمائهم<sup>(7)</sup> ولعل الاندلسيين قصدوا من هذه التسمية انهم كانوا وثنيين في معتقداتهم<sup>(8)</sup> وقد جاءت تسمية المجوس على النورمان من قبل مؤرخينا الاوائل ولان هذه التسمية تطلق اصلا على الزرادشتيين عبدة النار، ولان النورمان حين غزو الاندلس كانوا يكثرون من اشعال النار<sup>(9)</sup> فظن المسلمون انهم يعبدون النار كالزرادشتية.

اشتهر هؤلاء النورمان المجوس (الاردمانيون) بنشاطهم البحري والتجاري او الحربي واتخذت اعتدائهم شكلا خطيرا على سواحل الدول الاوربية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي<sup>(10)</sup> وانهم كانوا على خلاف الجرمان الاخرين حيث لم يتاثروا بالمؤثرات اللاتينية<sup>(11)</sup>. فالاردمانيون هم النورمانيون اي اهل الشمال وقلب النون الى همزة في اوائل اسماء الاعلام ليس غريبا في لسان اهل الاندلس، فهم يقولون مثلا "اربونه" "تربونه"<sup>(12)</sup>

اما المسيحية فقد دخلت اليهم بعد انتشار الكنيسة خارج حدود المملكة الرومانية عند الشعوب الاسكندنافية فقد دخلت في وقت واحد مع الشعوب الاسلافية<sup>(13)</sup>.

## 2. غزو النورمان الاول 229هـ/844م

حددت مصادرنا العربية الاسلامية ولا سيما الاندلسية، شهر ذي الحجة سنة 229 هـ/ اب 844م تاريخ ابتداء اول هجوم للنورمانيين على السواحل الغربية للاندلس، قبالة مدينة اشبونة<sup>(14)</sup> وان ظهور مراكب النورمان ذات الاشرعة السود<sup>(15)</sup> مفاجئة لاهل الثغر الادنى، اذ كان كتاب عامل مدينة لشبونة وهب الله بن حزم الى الامير عبد الرحمن بن الحكم ايذانا ببدء هجومهم على سواحل الاندلس الغربية والذي ذكر فيه انه حل بالساحل للثغر الادنى اربع

وخمسون مركبا من مراكب المجوس معها أربع وخمسون قاربا آخر<sup>(16)</sup> فكتب الأمير عبد الرحمن بن الحكم الى العمال للتحفظ والاحتراس.<sup>(17)</sup>

كما يدل على ان عبد الرحمن بن الحكم وعماله كانوا على أهبة الاستعداد دائما حتى من هذه الناحية القريبة التي لم تهددهم منها اي خطر الى هذه الساعة، ففي الوقت الذي استنفر الثغور بالاستعداد واخذ الحيلة والحذر منذ اول حركة المجوس عند نزولهم سواحل غرب الاندلس واحتلالهم لشبونة<sup>(18)</sup> حيث تشير المصادر الاندلسية ان اهالي لشبونة لم ينتظروا أن تأتيهم قوات الأمير عبد الرحمن بن الحكم بل نهضوا واستعدوا للقاء الغزاة بما لديهم من امكانيات وقوة فتصدوا للغزاة وكانت هنالك وقائع شديدة بين الطرفين استولى على اثرها النورمان على سهول المدينة وبقوا فيها ثلاثة عشر يوما<sup>(19)</sup> ثم عادوا الى مراكبهم نتيجة لما لاقوه من مقاومة اهالي لشبونة كذلك لعدم صلاحية الاجار في نهر تاجة والتوغل نحو الداخل حيث انحدروا نحو الجنوب بحثا عن مصبات صالحة للملاحة مما اضطروا الى النهوض الى جزيرة قادس ثم الى أشدونة وقد كانت بينهم وبين الاندلسيين معركة شديدة<sup>(20)</sup>.

ويصف ابن عذارى ظهورهم في مياه اشبيلية وطرقهم اياها بقوله "فخرج المجوس في ثمانين مركبا كأنما ملئت البحر طيرا جوثا، كما ملئت القلوب شجوا وشجوناً، فحلوا بلشبونة ثم الى قادس والى أشدونة ثم قدموا الى اشبيلية ونازلوها الى ان دخلوها قسرا فستباحوا اهلها قتلا واسرا، فبقوا بها سبعة ايام يسقون اهلها كأس السقام"<sup>(21)</sup>

ثم مالبث النورمان بعد ان لاقوا مقاومة شديدة من اهالي الاندلس فتجمعوا باسطولهم في مدخل الوادي الكبير ليقوموا بغارة كبيرة على اشبيلية والمناطق المجاورة لها.

فاحتل النورمان مدخل الوادي الكبيرة جزيرة القبطيل\* وقد استراح النورمان في هذا الوادي مدة ثلاثة ايام استعدادوا خلالها لمواصلة الهجوم واتخذوا من هذه الجزيرة قاعدة لهم في غزواتهم الداخلية وجعلوها معسكرا لهم بالاندلس<sup>(22)</sup> ويصف ابن القوطية<sup>(23)</sup> دعر السكان من هؤلاء النورمان بقوله "ففروا بين ايديهم، وأخلى أهل أشبيلية وفروا منها الى قرمونة والى جبال اشبيلية، ولم يتخلف احد من اهل المغرب مقاتلتهم، فاستنفر الناس بقرطبة ومن والاها، وخرج الوزراء بأهل قرطبة ومن جاورها الى النورمان وقد كان استنفار أهل الثغر من أول حركة المجوس عند احتلالهم سواحل غرب الاندلس، وأخذهم الى لشبونة، فحل الوزراء ومن معهم في قرمونة ولم يقدرُوا على مقارعة القوم لشدة شوكتهم حتى قدم عليهم أهل الثغر".

ففي 12 محرم من عام 230هـ/ 844م تقدم النورمان نحو قرية قورة\*، تبعد 12ميلا عن اشبيلية فدارت بينهم وبين الاندلسيين الذين بادلوهم بمعركة عنيفة، انسحب الاندلسيون على أثرها بعد أن استشهد كثير منهم وأقاموا النورمان بقية يومهم فيها<sup>(24)</sup> وفي يوم 13 محرم هاجم النورمان حصن طلياطه<sup>(25)</sup> الذي يبعد ميلين عن اشبيلية، فقد هاجموا الحصن ليلا، وفي الصباح ظهرُوا في مدينة اشبيلية وتحصنوا في موضع الفخارين، فخرج اليهم أهلها وقاتلوهم قتالا شديدا، انسحب الاندلسيون على أثرها ومضى النورمان بمراكبهم حتى نزلوا من مدينة اشبيلية<sup>(26)</sup> ففر أهلها الى قرمونة ذعرا مما مكن النورمان من دخول هذا الجزء من المدينة<sup>(27)</sup> في الوقت الذي أبدت المدينة مقاومة عنيفة، وبعد أن أحرقت المراكب الاشبيلية التي ارسلت لتوقف تقدم النورمان، انتهت باستيلاء النورمان عليها، وحل النورمان في المدينة<sup>(28)</sup>

وفي اليوم الرابع عشر من محرم بعد معركة حامية، استشهد فيها الكثير من



الاندلسيين "ولم يرفعوا السيف عن كل ذي روح ظفروا به من الرجال والنساء والصبيان والدواب والانعام والطيور وكل ما تناولته سيوفهم وسهامهم"<sup>(29)</sup>.

ودخلوا بذلك حاضرة اشبيلية، بعد أن انسحب الاندلسيون من اهلها الى مدينة قرمونة وجبال اشبيلية لتنظيم امورهم والاستعداد للجهاد، فأقام النورمان بها يوما وليلة ثم عادوا الى مراكبهم<sup>(30)</sup> بينما يذكر بن سعيد بأن المجوس "حلت على اشبيلية وهي عورة فدخلوها واستباحوها سبعة أيام"<sup>(31)</sup>، ثم غادروها وعسكروا في ضاحيتها طلياطة في الوقت الذي حملت فيه سفنهم الغنائم والاسرى، وأرسلوها الى جزيرة القبطيل، وعادوا ثانية الى اشبيلية<sup>(32)</sup> فلم يجدوا فيها أحدا باستثناء جماعة من أتقياء الشيوخ في المسجد فقتلوهم فسمي ذلك المسجد "مسجد الشهداء" منذ ذلك الحين.<sup>(33)</sup>

وقد وصف لنا ابن القوطية ما فعله المجوس بجامع اشبيلية وصفا اسطوريا بعض الشيء ولكنه يصور لنا أفعالهم في البلد والوضع الذي خلفوه في نفوس أهل الاندلس قال "وكان عبد الرحمن بن الحكم يرى في نومه عند تمام جامع اشبيلية أن يدخله فيجد النبي صلى الله عليه وسلم ميتا مسجى في قبلته، فأنبته مغموما، فسأل أهل العبارة عن ذلك، فقالوا: هذا موضع يموت دينه، فحدث فيه اثر ذلك ما كان من غلبة المجوس على المدينة... وحدث غير واحد من شيوخ اشبيلية انهم كانوا يحمون سهامهم من النار، ويرمون بها سماء المسجد، فكان اذا احترق ماحوله السهام سقط، وأثار السهام في سمائه الى وقتنا هذا ظاهرة، فلما يثسوا من احراقه جمعوا الخشب من أحد البلاطات ليدخلوا النار وتتصل بالسقف"<sup>(34)</sup>.



ان سرعة استيلاء النورمان على اشبيلية يرجع الى عدة اسباب:

1- عندما هاجم النورمان مدينة اشبيلية لم يكن بها حصون ولم تكن مسورة وهذا ما جعل ابن سعيد يصفها بأنها "عورة"<sup>(35)</sup> ولعدم وجود تلك التحصينات لم يتمكن أهلها من المقاومة.

2- ان الذعر الذي اصاب أهل أشبيلية والذعر الذي دخل قلوبهم جعلهم يفرون منها الى قرمونة والى جبال اشبيلية<sup>(36)</sup> ولعدم وجود الاستعداد التام للدفاع عن المدينة كما يتطلب وظنوا بان النورمان لن يتوجهوا نحو الداخل، الامر الذي أتاح للنورمان الدخول والاستيلاء عليها ولعل الاضطراب الذي حل بأهالي أشبيلية جعل ابن عذاري يقول بأن أخبارهم "ملأت القلوب شجوا وشجوناً"<sup>(37)</sup>

3- السرعة التي وصل بها النورمان للغزو كانت شبه مفاجأة اذ لم تستغرق المدة سوى ثلاثة أيام من جزيرة القبطيل من مدخل الوادي الكبير حتى مدينة أشبيلية، علما بأن النورمان خاضوا معركتين الاولى عند قرية قورة والثانية في موقع الفخارين.<sup>(38)</sup>

4- ان النورمان كانوا ذو قوة لا يمكن الاستهانة بها فهذا ابن القوطية يقول "فحل الوزراء ومن معهم بقرمونه ولم يقدرُوا على مقارعة القوم لشدة شوكتهم"<sup>(39)</sup> كما وقد وصفوا بأن لهم شدة وبأس وقوة وجلد في ركوب البحر<sup>(40)</sup> مما جعل أهل المدينة يفرون الى الجبال والوديان المجاورة لها لحين وصول الامدادات من مناطق الاندلس الاخرى.

5- استخدام النورمان فرقا من الخيالة استخدموها في عملية احتلال اشبيلية مما سهل عليهم السيطرة عليها<sup>(41)</sup>.

اما هزيمة النورمان ودور الاندلسيين من أهالي الثغر الادنى فقد استنفر الامير عبد الرحمن بن الحكم الثغور الاندلسية، من بداية نزول النورمان سواحل الثغر الادنى واحتلهم أشبونة (لشبونة)، كما استنفر أهل قرطبة وبقية المدن الاندلسية الاخرى لمقاومة هذا الغزو المفاجيء، فأرسل أول الامر على الفور جيشا بقيادة الحاجب عيسى بن شهيد الذي كان يقود فرقة الخيالة من جيش قرطبة<sup>(42)</sup> وأردفها الامير بجيوش أخرى، تقدمت الجيوش نحو قرمونة والتي تؤلف من فرقة الخيالة جيشا واحدا واتخذوا من موضع قريب من اشبيلة مقرا لقواتهم يعرف الشرف<sup>(43)</sup>

ولما عرف النورمان بقدوم الاندلسيين بدأوا بقتالهم، وثبت الاندلسيون في مواضعهم حتى هزموا النورمان وقتلوا منهم نحو سبعين رجلا وطاردهم حتى دخلوا مراكبهم، ولكن توقف الاندلسيين عن قتالهم قد فوت فرصة ثمينة من النصر<sup>(44)</sup> وأعطوا لهم الفرصة لتجميع فلولهم والاستعداد لجولة ثانية وهذا التهاون أغضب الامير عبد الرحمن بن الحكم مما جعل على قيادة الجيش محمد بن سعيد بن رستم<sup>(45)</sup> الذي مضى فيمن ضم اليه من الجيش فورا، حتى نزل مدينة أشبيلية<sup>(46)</sup>.

تجمعت الجيوش الاندلسية في قرمونة فحل الوزراء ومن معهم بقرمونة ولم يقدروا على مقارعة القوم لشدة شوكتهم، حتى قدم عليهم أهل الثغر، وقدم من أهل الثغر موسى بن قسي استلطاف عبد الرحمن بن الحكم له وتذكيره له بولائه للخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك (86-96هـ / 705-715م) واسلام جده على يديه، فلان بعض اللين وقدم في عدد كثيف، فلما قابل قرمونة، انعزل عن سائر أهل الثغر وعن عسكر الوزراء<sup>(47)</sup>.

وعلى الرغم من وصول قوات الثغر بقيادة موسى بن قسي الى مشارف اشبيلية، الا انه لم يشترك مباشرة مع القوات الاندلسية بقيادة محمد بن سعيد بن رستم، وانما أثر الانفراد والقيام بأعمال حربية أخرى، لكن هذا الانعزال لقوات موسى عن القوات الاندلسية التي يقودها بن رستم لا يعني انه ليس هنالك تعاون، ربما كان هذا مخطط له من قبلهم لاضعاف قوة الغزاة وقطع الاتصال للغزاة وسراياها الخارجية.

اجتمع موسى بن قسي فور وصوله بالوزراء، ووضع خطة عسكرية لمهاجمة النورمان، كما وانه قام بعملية استطلاع لأماكن تواجد العدو وقد اتخذت عملياته الطابع السري لصعوبة الملاحه في مجرى الوادي الكبير بين اشبيلية وقرطبة، وقد غنم خيول كثيرة اثناء حملاته نحو المناطق البرية المجاورة والى جهة قرطبة ومورور<sup>(48)</sup>

بدأ الجيش عملياته الحربية ضد النورمان وفق الخطط الموضوعة تجاه ذلك وقد اتخذ الجيش من كنيسة قديمة في الجهة الجنوبية من اشبيلية مرصدا لرصد تحركات العدو، وفي الصباح خرجت طائفة من النورمان تقدر بحوالي ستة عشر ألفا، يريدون التقدم نحو مورور، فلما وصلوا القرية، اشار الراصد بعدم مهاجمتهم حتى يبعدوا عن القرية فلما كان الامر كذلك، نهضت اليهم الكمائن وحملوا السيف في رقاب النورمان وتم قتل الكثير ففروا الى مراكزهم<sup>(49)</sup>.

وان الهجوم على اشبيلية من جهة وتدمير القوة التي ذهبت الى مورور من جهة اخرى، اضعفت معنويات النورمان فقد تخلخلت صفوفهم فقرروا الانسحاب من اشبيلية الى مراكزهم الا ان ابن رستم لم يكتف بخروجهم من اشبيلية بل قرر متابعتهم وكله تصميم على الحاق الهزيمة المرة بقواتهم وفي هذا

يقول العذري<sup>(50)</sup> فاتبعهم ابن رستم ونزل عليهم يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من ربيع الاول ونصب عليهم المجانيق، وقد عمم عليهم في ذلك اليوم نصر الفتى بالمدد من قرطبة، وأنهض الناس لمحاربة المجوس من كل جهة، فناشبوهم القتال وكادت هزيمة المسلمين تستحق فترجل محمد بن رستم وترجل الناس معه وادخل الرجال بين العدو والنهر الاعظم فحالتوا بينهم وبين المراكب، فانهزم المجوس وقتل منهم نحو خمسمائة عالج واصيبت لهم أربعة مراكب بمن فيها، فأمر ابن رستم باحراقها وبيع مافيها من الفياء وأقام من معسكره ذلك.

ان رواية ابن عذاري يجعل تاريخ المعركة يوم 25 صفر بدلا من 2 ربيع الاول، ويضيف ان المجوس خسروا في هذه المعركة ثلاثين مركبا<sup>(51)</sup>.

من يلاحظ ان تصميم القوات العربية الاسلامية كانت مصممة على قتال الغزاة وملاحقتهم، كما وقد نجح العرب المسلمين من جر الغزاة الى البر بعد ان حال بينهم وجودهم في مراكبهم، الامر الذي أربك الغزاة فخسروا أعدادا كبيرة من رجالهم برا واعدادا كبيرة من مراكبهم.

وبعد معركة طلياطه لجأ النورمانيون الى مراكبهم وبقيت القوات العربية الاسلامية أيا ما لا يصلون الى المجوس لانهم في مراكبهم<sup>(52)</sup> وهذا ما يدل على ضعف القوات العربية الاسلامية في البحر وعدم امتلاكها لأسطول وهذا ما تلافته الدولة فيما بعد.

وقد استمر المجوس يجوبون الوادي الكبير بين طلياطة وقبيل، ثم خرجوا من جهة النهر الذي يلي لبله وامعنوا في الشرق فتعرض لهم المسلمون بقيادة امير الجيش في تلك الناحية عبد الله بن كليب بن ثعلبه فأثر المجوس النورمان الى الانسحاب الا أنهم أصابوا في هذه الناحية سبيا وغنائما<sup>(53)</sup>.



فاتجهوا الى شذونه فدخلوها وأقاموا فيها يومين<sup>(54)</sup> وفي هذا الاثناء واصل الامير عبد الرحمن بن الحكم الامدادات فأرسل خمسة عشر مركبا محملة بالمقاتلة والعدة، فنزلوا اشيلية فلما أحسوا بها المجوس تراجعوا الى لبله ثم مضوا الى ان وصلوا باجه ومنها الى المدن ثم انتقلوا الى اشبونه فأقلعوا منها وانقطع خبرهم.<sup>(55)</sup> وهكذا تخلصت الاندلس في جهاتها الغربية من خطر داهم ترك بصماته وآثاره الواضحة في الاندلس.

مما تقدم يمكننا تسجيل الملاحظات والنتائج التي أفرزها غزو النورمان الاول:

1. لم يكن النورمان كما صورتهم المصادر التاريخية مجوس وانما كانوا وثنيين عبدوا الظواهر الطبيعية كالنار والنجوم وغيرها<sup>(56)</sup>.

2. كان غزو النورمان للسواحل الاندلسية مفاجأة لم تكن في حسابات الاندلسيين وبنفس الوقت فلقد أثبت الامير عبد الرحمن بن الحكم حسن ادارته للامور وقدرته على مجابهة الشدائد وهو أهلا للمسؤولية وقد بينا كيف تابع مجريات الامور وذلك من خلال ارسال فتاه "نصر" لمقارعة الاعداء ومن ثم الاستعانة بموسى بن قسي رغم خروج الاخير عن الطاعة وذكره باسلامهم على يد الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك ومن ثم استجابة موسى للامير عبد الرحمن بن الحكم، فحق له أن يستبشر باندحارهم وقد أرسل الى الآفاق يخبرهم بذلك، حتى انه أرسل الى من بطنجه من منهاج يعلمهم بما كان من صنع الله في المجوس وبما أنزل فيهم من النعمة والتهلكة وبعث اليهم برأس أميرهم وبمائتي رأس من أنجادهم<sup>(57)</sup>.



3. رأينا كيف كانت منطقة الثغر الأدنى الساحلية قبل هجوم النورمان وعدم تفكير الاندلسيين بأنه يوجد خطر يهددهم من هذه الجبهة لكن بدخول النورمان هذه المنطقة أصبحت جبهة ساحلية قريبة لمقاومة هجمات النورمان فأنشأ عبد الرحمن بن الحكم التحصينات الحربية وأكثف حاميتها<sup>(58)</sup>.

4. نتيجة لتعرض اشبيلية لهذا الهجوم أولى الامير عبد الرحمن بن الحكم اهتماما وعناية خاصة بمدينة اشبيلية كبرى المدن الاندلسية، وأدرك الامير أن عدم وجود حصن أو سور للمدينة كان سببا في سرعة اقتحام الغزاة لمدينة اشبيلية لهذا أمر بتسويرها ويذكر ابن القوطية أن الوزراء أشاروا على الامير عبد الرحمن بن الحكم ببناء سور اشبيلية<sup>(59)</sup>، ويبدو أن فكرة بناء السور قد وصلت الى أسماع عبد الملك بن حبيب الفقيه الاندلسي المعروف لدى الامير عبد الملك بن الحكم فأيد الفكرة وأفتى بأولوية بناء السور على اتمام الزيادة في المسجد الجامع بقرطبة يقول ابن حيان كتب عبد الملك بن حبيب الى الامير عبد الرحمن بن الحكم اثر محنة اهل اشبيلية وتحصينها ورافق ذلك ايام شروع الامير عبد الرحمن بن حيان زيادة بالجامع بقرطبة المشهور بها، وذكر له في كتابه أن بنيان سور مدينة اشبيلية وتحصينها اوكد عليه من بنيان الزيادة في المسجد الجامع، فعمل برأيه من بنيان سور مدينة اشبيلية<sup>(60)</sup> وقد اوكل الامير مهمة البناء الى عبد الله بن سنان احد المقربين اليه، فأنجز عبد الله بناء السور وكتب اسمه على ابوابه<sup>(61)</sup> وقد وصف هذا السور بأنه كان محكما ومبنيا بالحجر<sup>(62)</sup>.

5. كما وقد أنشأ الامير عبد الرحمن بن الحكم الرباطات على السواحل الغربية للثغر الأدنى وجعلها مراكز للجهاد<sup>(63)</sup> يقيم فيها المرابطون والحراس وقد زودت بالمناثر والتي عرفت بالطوالع<sup>(64)</sup>.

6. ان الثغر الادنى منطقة ساحلية ولغرض حماية منطقته لابد من اقامة اسطول بحري قوي لحمايتها، وقد أثار ابن القوطية الى هذه النتيجة في سياق كلامه عن أعمال الامير عبد الرحمن بن الحكم واستعداداته حيث قال "واستعد الامير عبد الرحمن بن الحكم فأمر باقامة دار صناعة في اشبيلية، وأنشأ المراكب واستعد برجال البحر من سواحل الاندلس فألحقهم ووسع عليهم بآلات النفط"<sup>(65)</sup>. وقد عد حسين مؤنس هذه المبادرة على جانب عظيم من الاهمية اذ ان ميلاد البحرية الاندلسية الحربية تمت من خلالها<sup>(66)</sup> وهذا الامر لم يكن كذلك لأن صناعة السفن وبناء المراكب في الاندلس بدأت منذ أيام الامير الحكم الربضي (180-206هـ).<sup>(67)</sup> وبفضل ذلك اصبح الاسطول الاندلسي الكبير يمتلك مئات المراكب<sup>(68)</sup> وأصبح عصر القوة الحقيقية للاندلسيين في البر والبحر<sup>(69)</sup> وهذا كان له الاثر الايجابي في هزيمة النورمان بفعل قوة الاسطول الاندلسي والسرعة الفائقة والجدية في بناء البحرية الاندلسية كما سنرى حين عاد النورمان مرة ثانية الى غزو السواحل الاندلسية.

7. ومن النتائج المترتبة على غزو النورمانيين للاندلس وأثره فيهم فيما بعد، تبادل الوفود وهنالك رواية واحدة تشير الى تبادل السفارة بين الامير عبد الرحمن بن الحكم والملك هوريك ملك النورمانيين بالدنمارك، حيث أورد الرواية ابن دحية<sup>(70)</sup>، أن ملك الدنمارك هو الذي أرسل الى الامير عبد الرحمن بن الحكم وفدا لطلب الصلح على أثر فشلهم وهزيمتهم في الاندلس، فاستقبل الامير عبد الرحمن بن الحكم وفدهم ورحب بعقد الصلح معهم وقرر ارسال سفارة الى بلاد النورمان ردا على سفارتهم لتسوية العلاقات بينهما برئاسة يحيى بن حكم البكري الجياني المعروف

بالغزال<sup>(71)</sup>، وقد انفرد بذكرها ابن دحية<sup>(72)</sup> ووصفها وصفا مضطربا، تشبه في تفاصيلها رحلة الغزال الى النسيم وهذا التشابه أثار الشك والالتباس لدى المؤرخين عن مدى صحة سفارة الغزال الى النورمان<sup>(73)</sup>، وقد تناول سفارة الغزال هذه الى ملك الدنمارك عدد من الباحثين المحدثين من أبرزهم حسين مؤنس، ومحمد صالح، حيث أوردا رواية ابن دحية وناقشاها بأسلوب علمي وردا على بروفنسال الذي عدها اسطورة وانكر قيامها، فأكدا قيامها وكونها حقيقة تاريخية ثابتة<sup>(74)</sup>.

8. ان غزو النورمان وكما قلنا في السابق مفاجئاً لكنه بنفس الوقت ايقظ المسلمين الاندلسيين وجعلهم مهينون لدرء الاخطار القادمة مستقبلاً فقد استفادوا من تجربتهم السابقة مما جعل البحر محروسا ومراكب المسلمين معدة تجري وتجوب البحر وهذا ملاقه النورمان اثناء الحملة الثانية.

9. ومن النتائج التي لا بد الاشارة اليها في احداث الاندلس، هنالك امران الاول استغلال موسى بن قسي لتوسيع نفوذه في الثغر الاعلى رغم اسهامه في طرد النورمان، والثاني ظهور القائدان بن رستم ونصر الفتى كمنقذين للاندلس.

### 3. غزو النورمان الثاني

غزا النورمان للمرة الثانية السواحل الاندلسية الغربية في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ - 852-886م) في سنة 245هـ / 859م<sup>(75)</sup> في حين جعلها بعض المؤرخين الاندلسيين انه تم غزو سنة 244هـ<sup>(76)</sup> اي بعد مدة من الهدوء والأمن التي سادت السواحل الاندلسية بعد هزيمتهم الاولى سنة 230هـ / 844م والتي تم بموجبها توقيع معاهدة الصلح والسلام بين الامير عبد

الرحمن بن الحكم مع ملك النورمان ونتيجة لتحويلات الامور الكثيرة من كلتا الجهتين حالت دون استمرار معاهدة السلام. ففي الاندلس توفي الامير عبد الرحمن بن الحكم في سنة 238هـ / 852م وفي سنة 239هـ / 853م توفي ملك النورمان، وسادت الفوضى وعدم الاستقرار داخلهم واخذت اساطيلهم على معاودة ممارستها الاولى القرصنة والغزو في المناطق التي كانت تقع تحت نفوذهم<sup>(77)</sup> ونتيجة هذه الفوضى أن تحرر قرصان النورمان من كل قيد.

واستنادا الى اقدم الروايات التي تذكر غزوهم الثاني وما ترتب عليه من نتائج رواية ابي حيان بقوله "وفيها خرج المجوس - لعنهم الله تعالى - الى ساحل الغرب من ارض الاندلس، وهو خروجهم الثاني، خرجوا في اثنين وستين مركبا، فألفو البحر محروسا ومراكب الامير محمد فيه جارية ما بين حائط افرنجة من الشرق الى اقصى حائط غليسية من الغرب، وتقدم من مراكبهم مركبان تلقتهما المراكب المنصوبة الجارية من حائط جليقية من بعض مراسي كورة باجه فغنمتها بما كان فيها من مال ومتاع وعدة وسي<sup>(78)</sup> .

اما رواية ابن عذاري فهي وافية ايضا في هذا المقام فهي تقول "خرج المجوس ايضا الى سواحل البحر بالغرب من اثنين وستين مركبا، فوجدوا البحر محروساً ومراكب المسلمين معدة تجري من حائط افرنجة الى حائط جليقية في الغرب الاقصى، فتقدم مركبان من مراكب المجوس فتلاقت بهم المراكب المعدة، فوافوا هذين المركبين من بعض كور باجه فأخذوها بما كان فيها من الذهب والفضة والسي والعدة"<sup>(79)</sup> .

وتهمنا تلك الروايتان من ان شدة التحسب والحراسة الدقيقة الشاملة التي كانت لدى الاندلسيين في مجارهم الشمالية وبالرغم من معاهدة الصلح والسلام



التي تمت مع النورمان في عهد الامير عبد الرحمن بن الحكم والتي نقضها النورمان لكن الاندلسيين كانوا يتوقعون عودتهم ودرسوا هذه المشكلة النورمانية فحاطوا طلائع من سفنهم لتراقب حركاتهم، فعندما تقدم مركبان من مراكب الغزاة باتجاه السواحل الاندلسية بقصد الاستطلاع كما يبدو كان الاسطول الاندلسي بالمرصاد لهم فوقعهما في كمين ومع هذا فقد نجح النورمانيون من التقدم باتجاه الساحل الغربي للاندلس وهم يحملون معهم الرعب والفرع لسكان هذه المنطقة الا ان هذه المرة لم تكن عناصر المباغته متوفرة لديهم بدليل ان الجيش الاندلسي خرج لملاقاتهم وقد قام الامير محمد بن عبد الرحمن اطلاق سراح لب بن موسى بن قسي الذي كان رهينة في قرطبة وعينه قائداً لاحد الجيوش وأرسله الى اشبيلية<sup>(80)</sup>.

ويبدو ان الطابع العام لغزوات النورمان هو النهب والتخريب مع تحين الفرص للاستيطان في الاماكن التي يغزونها، فقد كان ظهور النورمان في بادي الامر عند سواحل اشتوريش، وجليقيه<sup>(81)</sup> ولم ينجحوا في غاراتهم هذه ولم يحصلوا الا على اليسير من الغنائم والسي، الامر الذي ادى بهم الى ترك اشتوريش والتوجه نحو سواحل الاندلس الغربية، كما بينا ان قدوم النورمان والتوجه الى الثغر الادنى وجدوا الثغر بخلاف عهده في ممارستهم الاولى ايام الامير عبد الرحمن بن الحكم، فقد ذكر ان الامير محمد بن عبد الرحمن انشأ في البحر سبعمائة غراب<sup>(82)</sup> وان جيش الاندلسيين بلغ ايام الامير محمد الى مائة الف فارس، منهم عشرون الفا بدروع الفضة<sup>(83)</sup> ويواصل ابن حيان، رواية فيقول "وفضت مراكب المجوس في الريف حتي أنتهت الى مصب نهر اشبيلية وما يليها، وذهب الرعب لهم كل مذهب، وبادر الامير محمد باخراج الجيش الى الغرب واستنفر الناس الى العدو الطارق، فنفروا من كل أوب، وكان القائد



لجيش السلطان نحوهم عيسى بن ابي عبيدة الحاجب، وتقدمت مراكب الكفرة عن اشبيلية<sup>(84)</sup>.

ولم يذكر ابن حيان مادار وما حدث عن الاستعداد الشعبي لملاقاة النورمان سوى انه ذكر خروجهم من اشبيلية، لكن ابن القوطية يروي لنا ما حدث حيث يقول "فلما قدموا القدمة الثانية سنة اربع واربعين ومائتين من ايام الامير محمد تلقوا من حوض نهر اشبيلية من البحر، فهزموا فحرقت لهم مراكب فانصرفوا"<sup>(85)</sup>. وهذا مايؤكد ويدلل على ان اولى معاركهم مع الاسطول الاندلسي باءت بالفشل والخسران فقرروا الانسحاب من امام اشبيلية.

وقبل ان نواصل عرض الرواية التي اوردها ابن حيان لابد ان نذكر ان النورمان هاجموا سواحل وادي تاجة والمنطقة الواقعة الى الجنوب منه فتصدى لهم سعدون بن الفتح الذي كان متمردا مابين وادي تاجة ومدينة قللمرية فكانت له معارك حاسمة وخطوب عظيمة في جهاد النورمان الذين استطاعوا في نهاية المطاف اسره، ثم اطلق سراحه لقاء مبلغ في المال<sup>(86)</sup>، ثم ذكر ابن حيان تكملة لهجومهم الى اشبيلية فيقول بروايته "وتقدمت مراكب الكفرة من اشبيلية فاحتلت الجزيرة الخضراء، وتغلبت على الحاضرة فاستباحتها واحرقت المسجد الجامع"<sup>(87)</sup>، وهذا ما يدل على ان النورمان قد وطئوا الارض هذه المرة ايضا واستباحوا حاضرة الجزيرة الخضراء وحرقوا مسجدها ويقول الحميري "انهم قاموا بغرس راياتهم في مسجد اخر بالجزيرة الخضراء بقصد اذلال وايداء الناس والتاثير على مشاعرهم وان هذا المسجد سمي الرايات وان له بابا من خشب سفن المجوس"<sup>(88)</sup>. وقد نستبعد هذه التسمية فقد عرف مسجد الرايات بالتاريخ الاندلسي من اول الفتح الذي تم بقيادة الوالي موسى بن نصير وقد وقع خلط

لدى الحميري فاطلق هذه التسمية لكن من الممكن ان يكون له باب من خشب سفن المجوس.

المهم من كل هذا ان النورمان انسحبوا من الجزيرة الخضراء بسرعة بفعل مقاومة السكان<sup>(89)</sup>، وبعد هذا يقول ابن حيان "ثم اقلعت مراكبهم عن بر الاندلس تطلب العودة واحتلتها واستباححت اريافها، ثم عادت الى ريف الاندلس الشرقي"<sup>(90)</sup> حتى انصرفوا الى ريف بحر الاندلس، وقد ذهبت من مراكبهم اكثر من اربعين مركباً، ولاقتهم مراكب الامير محمد فأصابوا مركبين من مراكبهم<sup>(91)</sup>، وبعد هذه المعركة عاد النورمانديون الى بلادهم سالكين الطريق نفسه التي جاءوا منها وقد اورد بن حيان عودتهم فقال "ثم مضت مراكب المجوس مصممة حتى انتهت الى حائط بنبلونة، فاستغارت عن البشكنس واصابوا منهم واسروا غرسية بن دفقة اميرهم فاقتدى منهم بسبعين الفاً، ارتهنوا في بعضها اولاده واخلوا عنه وقد كانوا اسروا من اول ظهورهم بناحية باجة عبد الملك وعبد الله بن محمد بن سلمة، فاطلقوا عبد الله ومضوا بعبد الملك اخيه معهم"<sup>(92)</sup>.

وفي مقام حديثنا عن هجوم النورمان الثاني على السواحل الاندلسية يتبين لنا:

1. ان مدى الاستعداد والتهيؤ لمقاومة المخاطر كانت على درجة من الدقة والتحسب من سواحل الاندلس الغربية حيث كانت السفن تجوب المياه خارج سواحلها، بغية القيام بحركة الاستطلاع والتذكير والحذر لقدم الاعداء.

2. كانت حركة الاستطلاع هذه الاثر الكبير في اسر مركبين من مراكب النورمان<sup>(93)</sup>، اذ ان الاسطول الاندلسي، علم بقدومها مما حدا به الى

نصب الكمانن لاسرهما "وتقدم من مراكبهم مركبان تلقتهما المراكب المنصوبة"<sup>(94)</sup>.

3. ان عملية الاستعداد والتهيؤ هذه افقدت النورمان عنصر المباغتة من الهجوم مما جعل هجماتهم على السواحل الاندلس الغربية محدودة وقليلة التأثير<sup>(95)</sup>.

4. عدم تمكن النورمان في اجتياز مجموع النهر الكبير كما فعلوا في غزوتهم الاولى في سنة 229هـ / 843م في الوقت الذي وصلت فيه مراكبهم الى مصب النهر المذكور، وهذا يدل على قوة الاسطول في حماية سواحل الاندلس الغربية.

5. ان القوات البرية التي ارسلت من قرطبة الى اشبيلية كان لها الاثر الفعال في هزيمة النورمان، اضافة الى جهود الاسطول الاندلسي. وبعد هذه الغارات التي شنوها اثناء رحلة العودة الى بلادهم لم تروي لهم عن غارات اخرى اذا اثروا الاندلس الى بلادهم.

ولابد من الاشارة الى ان الاندلسيين قد استفادوا واعتبروا من الغزو الأول واحتاطوا لكل طارئ جديد.

#### 4. غزو النورمان الثالث ( 247هـ / 861م )

لم يمض سوى سنتين على غزو الثاني، حتى عادوا الكرة من جديد بالاغارة على السواحل الاندلسية الغربية، والنورمان كما بينا يغلب عليهم روح المغامرة والنهب والسلب، وهذا هو المألوف والغالب في جميع غزواتهم، اذ ان الطابع العام هو النهب والتخريب مع تحين الفرص لهم والاستقرار في بعض

الاجزاء من اوربا، فإن الاندلس كانت ابعد من ان ينالوا منها شىء، لانها كانت اقوى منهم وتصميم اهلها على مقارعة الغزاة والتصدي لهم كان كبيرا فكان الشعب وكانت الارادة، فكان النصر حليف الاندلس.<sup>(96)</sup> ويبدو ان الاندلس بنعمها وخيراتها هي التي اجبرتهم من العودة مرة اخرى... ويذكر العذري<sup>(97)</sup> وفي سنة سبع واربعين ومثتين ظهرت مراكب المجوس من البحر، فكتب الى عمال الساحل بالاحتراس والتحفظ، فعطب بعضها من ناحية البحيرة من الجزيرة، وكتب بذلك العامل على الجزيرة مطرف بن نصير الى الامام محمد، ونجا باقي المراكب الى جهة افرنجة.

ويذكر ابن حيان كان خروج المجوس الى الاندلس، فلم يكن لهم في هذه الكرة من الانبساط من البحر والاضرار باهل السواحل ماجرت به عاداتهم، ولم يجدوا من السواحل مطمعا لشدة ضبطها، ولاقوا مع ذلك من البحر هولا عطبت له من مراكبهم اربعة عشر مركبا بناحية البحيرة من الجزيرة فنكبوا عن حائط الاندلس واعتلوا الى جهة الافرنجة، فلم يلقوا ظفراً، واسرعوا الانصراف الى بلدهم بالخيبة، فلم يكن لهم بعد الى الاندلس الى اليوم عودة<sup>(98)</sup>.

ظهر النورمان امام سواحل الاندلس الغربية من عهد الامير محمد من اسطول يتكون من ستين مركباً<sup>(99)</sup> يتغنون فرصة سانحة للنزول الى السواحل الاندلسية ولكن الامر لم يكن كذلك فلم يكن لهم في هذه الكرة من الانبساط في البحر والاضرار باهل السواحل ماجرت به عاداتهم، ولم يجدوا في السواحل مطمعا لشدة ضبطها<sup>(100)</sup> فقد اتخذ اهل الاندلس الاحتياطات اللازمة لحماية سواحل الاندلس بعد الغارتين المذكورتين انفا فاسرع الامير محمد بن عبد الرحمن الى تحرير الجيوش نحوهم واستنفر الناس اليهم، وقدم كليب بن محمد بن ثعلب في كثيف من الرجال الى الجزيرة واخرج اثيره الحاجب عيسى بن الحسن بن ابي



عبدة الى اشبيلية، واخرج عبد السلام بن عبد الله بن ثعلبة الى السرية، واكشف بهم العدو<sup>(101)</sup>. ان مثل هذا الاحتراس والاستعداد على اكثر من جبهة، لملاقاة الغزاة قد وفرت عليهم الفرصة التي كانوا يتحينونها، فعندما تقدم اسطولهم الى جبهة اشبيلية وانتهى الى مصب نهرها في البحر تصدى لهم القائد عيسى بن الحسن بن ابي عبدة ومن معه في الاسطول واجبرهم على الفرار<sup>(102)</sup> ثم اجروا بعدها جنوبا بمحاذاة الساحل وباتجاه الجزيرة الخضراء بغية البحث عن ثغرة ينفذون منها الى الساحل الاندلسي، الا انهم وجدوه محروسا ولم ينجحوا من الحاق اي ضرر باهل الاندلس وفي هذا يقول ابن حيان " فلم يكن لهم في هذه الكرة من الانبساط في البحر والاضرار باهل السواحل ماجرت به عادتهم ولم يجدوا من السواحل مطمعا لشدة ضبطها<sup>(103)</sup> وحين اقتربت مراكب المجوس النورمان في الجزيرة الخضراء، وبالتحديد من ناحية البحيرة<sup>(104)</sup> تعرضت الى عاصفة اعطبت اربعة عشر مركبا من مراكبهم<sup>(105)</sup> مما اضعفهم وحد من اندفاعهم وكتب عامل الجزيرة مطرف بن نصير الى الامير محمد بن عبد الرحمن بما حدث لهم<sup>(106)</sup> ولم يحققوا اي شئ من مهاجمة الجزيرة الخضراء او اي منطقة اخرى من السواحل الاندلسية، وعلى حد تعبير ابن حيان "نكبوا عن حائط الاندلس<sup>(107)</sup>". الامر الذي ادى الى فشل الحملة الثالثة من تحقيق اهدافها في السلب والاستيطان وهذا ما اكدته رواية معاوية بن هشام التي اوردها ابن حيان " فالفوا البحر محروسا والمراكب تجري ما بين حائط افرنجة من الشرق وحائط جليقة من الغرب<sup>(108)</sup>".

وقد عد الامير محمد بن عبد الرحمن العدة اللازمة لحماية سواحل الاندلس، بارسال الجيوش الثلاثة بغية تأمينها من خطر مهاجمة النورمان. حاول النورمان النزول من السواحل عند مصب النهر الكبير لاجل القوافل نحو



اشبيلية، ولكنهم وجدوا البحر محروسا بالاسطول الاندلسي، ومدعوم من قوات برية، التي حالت دون وصولهم وادي النهر الكبير، واجبرتهم على الفرار حسب ما يذكر عن معاوية بن هشام: "فزادهم عنها الحاجب عيسى بن الحسن بمن معه من الاسطول خشخاش وابن مثكوم عن اشبيلية"<sup>(109)</sup>. ويبدو هنا ان رواية معاوية بن هشام لم تكن دقيقة، اذ ان خشخاش صاحب الاسطول الاندلسي، قد استشهد من جهاد النورمان من غزوهم الثاني على الاندلس سنة (245هـ، 859م) الى قبل سنتين حسب ما ذكر بن حيان "وحملوا المجوس عند ذلك على خشخاش فاحرقوا به، وحاربهم في صدر مركبة داركا حتى استشهد رحمه الله"<sup>(110)</sup>. فقد اختلطت رواية بن حيان بين اخبار هذا الغزو والغزو الذي سبقه<sup>(111)</sup>. هزم النورمان من سواحل الاندلس الغربية ولم يحصلوا على شيء لمتانة جبهتها وحصانة حراستها، فانحدروا صوب الجنوب حيث الجزيرة الخضراء، وما ان اقتربوا منها عند ناحية البحيرة<sup>(112)</sup> حتى تعرضت مراكبهم لعاصفة كما ذكرنا سالفاً.

لم يحقق النورمان اي شيء من اهدافهم تجاه الجزيرة الخضراء وسواحل الاندلس الاخرى. كما حققوه في غزواتهم السابقة بدليل قول بن حيان "فنكبوا عن حائط الاندلس واعتلوا الى جبهة الافرنجة، فلم يلقوا ظفرا واسرعوا الانصراف الى بلدهم بالخيبة"<sup>(113)</sup>. وبعد هذه الغزوة لم نسمع عن غزو اخر لهم خلال عصر الامارة الا انهم عادوا الى مهاجمة السواحل الاندلسية في عصر الخلافة.

#### 5. هجوم النورمان الرابع (247هـ/861م)

وبعد مضي خمس سنوات عاود النورمان هجومهم على الأندلس في حين

يذكر ابن خلدون ان ظهور المجوس سنة 354هـ بقوله "وظهرت في هذه السنة مراكب المجوس من البحر الكبير، وافسدوا لبسائط أشبونة وناشبهم الناس القتال، فرجعوا الى مراكبهم واخرج الحاكم القواد لاحتراس السواحل، وامر قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس بتعجيل حركة الاسطول، ثم وردت الاخبار بان العساكر نالت منهم من كل جبهة من السواحل"<sup>(114)</sup>.

ويلاحظ ان هناك اختلاف في ظهور النورمان في عهد الخلافة ما بين 353-355هـ فرمما ظهوروا لعدة مرات خلال هذه السنوات. وعلى كل حال فان الخليفة الحكم ورجال اسطوله الاشداء كانوا على اتم الحذر واليقظة واهبة الاستعداد لمواجهة مراكب النورمان حيث خرج اليهم المسلمون وكانوا لهم بالمرصاد فالحقوا بهم هزيمة ساحقة، بعدها عاد الاسطول الاندلسي الى قاعدته باشبيلية وانصرف النورمان المجوس خائبين.

#### 6. هجوم النورمان الخامس سنة ( 360هـ / 970م )

في بداية رمضان من سنة 360هـ / 970م ظهرت مراكب النورمان مرة اخرى على سواحل الأندلس الغربية وعهد الخليفة الحكم الى قائد البحر عبد الرحمن بن محمد بن رماحس بالخروج والتاهب لملاقاتهم ورد هؤلاء المجوس ومن هذا يقول ابن حيان "وفي صدر رمضان منها وقع الارجاف لتحرك المجوس الاردمانيين - لعنهم الله - وظهورهم في البحر الشمالي ورد لهم سواحل الأندلس الغربية على عاداتهم، فانزعج السلطان لما سيق له خبرهم، وعهد الى عبد الرحمن ابن رماحس قائد البحر وهو صاخر بقرطبة بالخروج الى المرية والتاهب للركوب الى ناحية الغرب، فنفذ بامرهم يوم الاثنين لست خلون من شهر رمضان المؤرخ"<sup>(115)</sup>.

وكان المجوس قد هاجموا الساحل الشمالي الغربي للاندلس ونزلوا ساحل جليقة من الركن الشمالي للجزيرة الاندلسية وغاروا على سنت برية لكنهم انصرفوا خائبين ومن هذا يقول ابن حيان: "ومن يوم السبت لخمس بقين منه دخل قرطبة سلس رسول القديس عند شلب بن مسرة بكتابه من مدينة لسترة من أدنى جليقة بتاريخ يوم الاحد لاثنتي عشر خلف من شهر رمضان يذكر دخول المجوس - اهلكهم الله - يوم السبت قبله وادي دويره، وذلك شطر النهار، وانهم خرجوا في الغارة الى شتبرية وبسيطها، وانهم انصرفوا خائبين<sup>(116)</sup>. فقد قتل النورمان هنا من ساحل جليقة وقد خدم هذا الفشل الاندلسيين انفسهم حيث ادى الى اتعاب وارهاق النورمان واقتص قوتهم وسهل على الاندلسيين مهمتهم من التصدي لهم فضلاً عن استعدادهم لهم وخدرهم وحيطتهم منهم.

لذلك انفذ الخليفة المستنصر بالله من العشر الاخيرة من شهر رمضان مباركا ومبشرا الى كورة شذونة الاطعمة منها وارسالها الى الاسطول من ساحل الغرب<sup>(117)</sup>. سار القائد عبد الرحمن بن محمد بن رماحس باسطوله من مدينة اشبيلية عائدا الى قاعدة المرية بعد ان وردت انباء تفيد بعودة سفن النورمان الى مناطقهم بعد ان عرفوا استعداد المسلمين لحربهم وبهذا الصدد يقول ابن حيان<sup>(118)</sup>: "وفي يوم الاثنين لاربع بقين من ذي القعدة منها وافى الخبر باقلاع صاحب الشرفة العليا قائد البحر عبد الرحمن بن محمد بن رماحس من مدينة اشبيلية بالاسطول منصرفا الى المرية عاقا عن اجرائه الى جهة المجوس الظاهرين من البحر الشمالي اذ وردت الانباء وتوالت بهزيمتهم وهربهم بعد اقدامهم من البحر الشمالي لايلوون على شىء... فولوا على اعقابهم ناكسين... خائبين".

ويبدو انه لم تحدث اية معارك بين الطرفين لانهم بمجرد معرفتهم بتأهب واستعداد المسلمين لهم هربوا خائبين، فقد ادركوا صمود الخليفة الحكم المستنصر

بحربهم. وحسن تدبيره عليهم بحيث جرد لهم القائد غالب بن عبد الرحمن مدير حروبه وتحريكه للأساطيل الثقيلة والذي لم يجرؤا على ملاقاتها.

#### 7. هجوم النورمان السادس سنة (361هـ/971م)

بعد مضي عام على هجومهم الفاشل على سواحل الأندلس الغربية عاود النورمان هجومهم على هذه السواحل لتحقيق ما لم يتم تحقيقه في المرة السابقة، ولما كان مصيرهم فيها الخيبة والفشل ففي ليلة الجمعة لليلتين من صفر احتل الوزير القائد غالب بن عبد الرحمن بحملة فحص السرادق قافلاً من غزات إلى سد الغرب التي تجول فيها، واشرف على الأردمانيين الجائشين في هذه السنة فاستركب إليه الجيوش يوم السبت بعدة من قصر قرية من التعبئة المنتظمة بالعدد الفخمة فيها الشرنج والالوية فتقدم وبين يديه المراكب على أجل هيئة وأتم أهبة إلى أن وصل قرطبة والخليفة يومئذ مقيم فيه فتوصل إليه وقعد بين يديه ملياً مفاوضاً له وسائلاً عن حركاته وتقلبه في غزاته التي كفى الله فيها المسلمين القتال وكان الله قوياً عزيزاً فخلع عليه وآنلق إلى داره محموداً سعيه<sup>(119)</sup>

وعلى الرغم من انصراف أسطول النورمان عن متابعة غاراته على سواحل الأندلس وزوال خطرهم عنها فقد كان الخليفة ما يزال يخشى عودتهم من جديد بأسطول لغزو هذه السواحل فلم يطمئن لعودتهم المبكرة إلى بلادهم وظل يتوقع قدر مهم<sup>(120)</sup> وفي هذا يقول ابن حيان<sup>(121)</sup> "وفي يوم الخميس لخمس خلون من شهر رمضان منها استدعى الخليفة المستنصر بالله إلى مجلسه الخارجي مع الوزراء أصحاب الخيل زياد بن أفلح مولاه وصاحب الشرطة هشام بن محمد بن عثمان فأمرهما بالتأهب للخروج هذا العام المجردة إلى الغرب لما لا يزال يتوقع من عادية المجوس الأردمانيين الطارقين له "عاداً قائداً هذه من غزاتها إلى



ساحل الغرب لتتبع اخبار المجوس الاردومانيين الذين عن مواجهة المسلمين عند سماعهم بخبر الاستعداد لهم براً وبحراً فأنقلبوا على وجوههم وجدوا في فتوحهم<sup>(122)</sup>.

ومن استعدادات الخليفة انه طلب احضار كل من القائد قيصر وسعد الجزري ورشيقا من وجوه موالي ابيه الناصر لدين الله، واسماعيل بن عبد الرحمن بن الشيخ وعبد الرحمن بن يوسف بن ارمطيل وعبد الرحمن بن ابي جوشن من اكابر الاحرار فامرهم بالتاهب للغزاة من الاسطولين المجهزين اسطول اشبيلية واسطول المرية وخلع على جميعهم ودفعت اليهم الصلات الوافرة فخرجوا من مدينة الزهراء الى مدينة اشبيلية<sup>(123)</sup>. فكان لحسن اعداد الحكم المستنصر من رسم الخطط لمعرفة اخبار الرومان واتخاذ كافة التدابير اللازمة لاحتياط الموقف اكبر الاثر من نكوص هؤلاء الانورمان وردهم على اعقابهم ومن عودة جيش الاسلام بعد ان كفى الله المؤمنين القتال

ان هجمات النورمان على سواحل الأندلس الغربية في عهد الخليفة الحكم المستنصر حفزته على بذل المزيد من الاهتمام والعناية بالاسطول فقد وزع وحدات جيشه على ثغور الأندلس حتى اذا ما اغار المورمان على ساحل من سواحلها تصدى له اقرب الاساطيل الى الساحل المذكور ريثما يتم تجميع بقية الاساطيل<sup>(124)</sup> وهذا ان دل على شيء فانما يدل على سياسته الحكيمة وحسن تدبيره واستخدامه لافضل الاساليب التعبوية الهجومية<sup>(125)</sup>. وقد تعددت هذه الصوائف بحيث كانت تخرج كل عام كما تعدد الغرض منها<sup>(126)</sup>.

وهكذا انتهت غارات النورمان على عهد الخليفة الحكم بعد ان اعد للامر عدته وكبح جماح عدوه، فصار يحسب له ألف حساب، وهذا بلا شك دليل على مكانة وعظمة دولة الاسلام من الأندلس ومدى ما وصلت اليه في عهده.



## 8. هجوم النورمان في عهد دول الطوائف (مأساة بربشتر 456هـ/1064م)

تذكر المصادر العربية<sup>(127)</sup>، ان النورمان والفرنسيين من اهل غالة تقدموا بجيش كبير قدر باربعين الف مقاتل او يزيديون وتوجهوا نحو مدينة وشقة، التي تمثل قاعدة من قواعد مدينة سرقسطة المهمة وقد حاول النورمان احتلال تلك المدينة، لكن بسالة اهلها استعصت عليهم دخولها، مما اخطروا للتوجه شرقا نحو بربشتر وهذه المدينة لا تقل صمود ومنعة عن مدينة وشقه، وبربشتر تبعد حوالي 60 كم شمال شرق سرقسطة، وكانت حين ذاك احدى المدن التابعة الى المظفر يوسف بن هود والذي كان من تلك العقبة منتقلا في نزاع مع اخيه احمد المقتدر حول ولاية العهد مما ادى هذا الخلاف الى فسح المجال امام النورمان ليقوم بمحاصرة المدينة وقد دام ذلك الحصار مدة اربعين يوما عانى خلالها اهالي بربشتر القلق والخوف حيث ادى هذا الحصار الى قلة الطعام والماء مما وصل الامر بهم الى ان يئسوا الحياة رغم ما جرت معارك عديدة خارج المدينة لكنها لم تثمر عن شىء.

وقد ذكرت كتابات المؤرخين او ما نقل عن الاخرين حول هذه المأساة يقول الحميري "وقد غزاها على غرة وقلعة عدد اهلها وعده، اهل غاليش والروذمانيون وكان عليهم رئيس يسمى البيطيين وكان من عسكره نحو اربعين الف فارس، محضرها اربعين يوما حتى افتتحها وذلك سنة ست وخمسين واربع مئة، فقتلوا عامة رجالها وسبو فيها من ذراري المسلمين ونسائهم مالا يحصى كثرة"<sup>(128)</sup>، فيما ينقل ابن بسام من ذخيرته فيقول "ان جيش الاردمانين طلبوا عليها ووالوا حصرها وجدوا قتالها طامعين فيها وقد اسلمهم اميرهم يوسف بن سليمان بن هود لخطبهم ووكلهم الى انفسهم وقعد عن النفير نحوهم، فاقام عليها

العدو منازلًا لأربعين يوما، ووقع بين أهلها تنازع على القوات لقلته ولما علم العدو بذلك جد من القتال فدخل الكفرة المدينة البرانية في الحملة بأربعين ألفا أو يزيدون، واستمر الحصار أربعين يوما وجرت معارك عديدة خارج المدينة لما قلت القوات واشتد الصيف بالمدينة واستطاع النورمانديون بعد قتال عنيف اقتحام المدينة الخارجية وجرت معارك أخرى وتحصن المسلمون بالقصبة والمدينة الداخلية مصممين على الثبات حتى آخر رمق لكن حدث أن تعرض المهاجمون إلى مكان مجرى الماء الأرضي واشتد بالمدافعين العطش فعرضوا على النورمانديون التسليم بشروط فرفضوا ثم دخلوا المدينة ربما من شهر شعبان من العام عنوة واستباحوا المدينة الباسلة بكل ما فيها ومن فيها وقدر عدد القتلى والأسرى بين أربعين ومئة ألف ثم أعطى قائد الحملة الأمان لكنه حين رأى كثرة أهل المدينة أمر جنده أن تقلل أعدادهم، حصاداً بالسيف، فأذبح أرضاً بستة آلاف من الرؤوس، ثم انهم انتهبوا المدينة واحتلوا دورها لأنفسهم ورتكبوا أبشع الجرائم فضلاً وهتكاً للأعراض، وكان الخطب أعظم من أن يوصف أو ينقض<sup>(129)</sup>. ويذكر ابن بسام<sup>(130)</sup> أن النساء كن يصعدن إلى أعالي سور المدينة، وينادين من يدنو منهن من جنود الأعداء، وقد علقن أنية بحبال مدلاة نحوهم ويتوسلن بهم في سبيل جرعة ماء لهن ولأطفالهن، وكان جنود العدو يقايضون إناء الماء بما لديهم من مال أو حلية أو كسوة ويبدو أن شحة الماء كانت بسبب إغلاق العدو لمصدره.

وعندما لم يتقدم أي من الأخوين الحاكمين، أحمد المقتدر ويوسف المظفر بأية مساعدة تذكر لانقاذ هذا الوضع المأساوي، بسبب انشغالهم بنزاع داخلي، أدت هذه الحالة الخلافة إلى نتيجة تسليم المدينة من قبل أهلها، على أن يعطوا الأمان على حياتهم، مع تجريد كامل لما يملكونه، ويغادروا المدينة، فوافق النورمان

والفرنج على هذه الشروط وتم الاتفاق لكن العدو نقض عهده، اذ ان اهالي بربشتر لم ينج احدا منهم من الموت او التعذيب، حتى بعد ان اذن العدو لهم بالابتعاد عن المدينة، حيث كان الكثير منهم، لاسيما الشيوخ والاطفال وذلك بسبب الازدحام الشديد التي ضاقت به ابواب سور المدينة يتدلون بالحبال من اعالي السور فرارا من الازدحام على الابواب وتسابقا على شرب الماء وبعدها نودي فيهم مرة اخرى بالرجوع الى ديارهم ونال منهم الازدحام ماناله في اثناء خروجهم ولما استقروا قسم العدو ديارهم بما فيها من نساء واولاد وغنائم<sup>(131)</sup>.

وتشير المصادر العربية<sup>(132)</sup> الى ان هذه الحملة خرجت من فرنسا الا انها كانت صليبية ويؤيد ذلك معظم المراجع الحديثة<sup>(133)</sup> ويرى المؤرخ هـ. و. ديفز<sup>(134)</sup> ان الخوف من تقدم المسلمين كان الحوافز الاساسية لنشوب الحرب الصليبية وتؤيد هذه الرواية التي ذكرها مع رواية رنسيماي التي تقول: ان مصرع راميرو الأول ملك اراغون في معركة حرادوس من احدى حملات الامير المسلم، احمد المقتدر بن هود، عام 455هـ/ 1063م قد اثار خيال اوربة فبادر البابا الاسكندر الثاني الى اصدار وعوده ببذل الغفران لكل من قاتل المسلمين من اسبانية، وشرع بتأليف جيش من اجل مواصلة عمل راميرو فكان وليم مونترا قائد جيش شمال ايطالية وابلس كونت روسي قائد جيش شمال فرنسا على ان اضخم جيش كان الذي جمعه جفري كونت اكيثانيا قائد الحملة<sup>(135)</sup>، واذا كانت حادثة سقوط طليطلة عام 478هـ/ 1085م قد اثارت مورخنا ابن الاثير<sup>(136)</sup>، وجعلته يضعها في مقدمة الحملات الصليبية فاننا نستطيع القول فان مأساة بربشير كانت اسبق وابعدها عنها لصورة الفعل الصليبي من ابعاده العدوانية الحاقدة، وقد حصل الصليبيين من الغنائم من حملتهم هذه على الشيء الكثير حيث قدرت حصة قائد الحملة نحو الف وخمسمائة فتاة عربية مسلمة ونحو

خمسائة حمل من اوقار الامتعة من الحلبي والكسوة وغيرها<sup>(137)</sup>، واختار العدو هدية الى امبراطور القسطنطينية، هي عبارة عن خمسة الاف فتاة عربية مسلمة<sup>(138)</sup>، واستغل اليهود هذه المأساة حيث عملوا وسطاء بين العدو وبعض اغنياء المسلمين، لاجل فدية بناتهم مقابل اموال معينة<sup>(139)</sup>.

لقد أثارت هذه المأساة أهل الأندلس وثبت منهم القلق والخوف من المستقبل المجهول ولقد أوبأئهم الوضع السياسي، فترى ابن حيان يصب غضبه على حكام دويلات الطوائف، ووضعهم بانهم أحتوى عليهم الجهل، واقتطعهم الزيف... واركستهم الذنوب... يعللون نفوسهم بالباطل<sup>(140)</sup>. ورثا بربشتر الفقيه الزاهد، ابو محمد عبد الله بن العسال (ت487هـ، 1094م) بقصيدة نقل خلالها الوضع السياسي والاجتماعي المتدهور في الأندلس<sup>(141)</sup>، وكتب الاديب ابو محمد عبد الله بن عبد النميري (ت 458هـ/ 1065م)، رساله طويلة على لسان اهل بربشتر يشكون منها حالهم الى أخوانهم الأندلسيين<sup>(142)</sup>.

وينقل لنا الحجي<sup>(143)</sup> استرجاع بربشتر بقوله: كان لهذه النكبة اثر كبير ومدى عميق في انحاء الأندلس كافة. قام تيار الدعوة الى الجهاد في انحاء البلاد الاندلسية واهتز لها الامراء والمقتدر بن هود- الذي يمثل الكثير من وزرها- في مقدمتهم ولبي الدعوة كثير، وسار المتطوعون من الجهات الى الثغر، جهاداً في سبيل الله، فاشرقت النفوس بمعاني الاسلام حين استشيرت، او علت الهمم حين تنادت بدعوة الاسلام، فاستجابت لندائه الخالد: ((لا اله الا الله محمد رسول الله)) وهتافه الماجد ((الله اكبر))، قامت الامة المسلمة في وحدتها اليمانية تسير برسالتها السماوية، تستظل معاني الاسلام تستمدّها من كتاب الله تعالى: القرآن الكريم، ومن سنة رسوله الامين صلى الله عليه وسلم، قائدها وامامها ابد الابد متجهين الى الله وحده.



ولقد اصاب أحمد المقتدر ما أصاب أهل الأندلس من الحزن والقلق على مستقبل البلاد، فشرع من القيام برد فعل مناسب يوقف به الزحف الصليبي على سرقطة وبقية بلاد الأندلس، كما ان انتقاد الاهالي له في قصيره لنصرة برشتر قد أثر سلبيا على سمعته السياسية والعسكرية، لذلك صمم على استرجاع المدينة، فكتب الى حاكم اشبيلة المعتضد بن عباد ان يمدّه بالمساعدة "فبعث اليه قائدا سمي معاذ بن ابي مرة بعسكر انتخبه واعدّه"<sup>(144)</sup>، قدر عدده بخمسمائة فارس<sup>(145)</sup>، كما اعلن دعوة الجهاد في عموم الأندلس "فحميت نفوس اهل الاسلام وجاء منهم خلق عظيم لا يحصى عددهم ذكر انه وصل من سائر بلاد الأندلس"<sup>(146)</sup>، وهو عدد لا يستهان به في ظل ظروف ذلك العصر فحملوا على العدو حملة رجل واحد واستطاعوا ان يشاروا وينتزعوا المدينة من الصليبيين<sup>(147)</sup>، وكان ذلك بعد سنة من احتلالها عام (457هـ / 1065م)<sup>(148)</sup>، وكانت الغنائم التي حصل عليها المسلمون كثيرة قدرت بنحو خمسة الاف اسير وalf فرس وalf درع وغير ذلك من الاموال والثياب ويذكر البكري<sup>(149)</sup> أن أحمد بن هود لقب ب (المقتدر بالله) اثر هذا الانتصار الكبير.

ولقد كان استرجاع برشتر على يد أحمد المقتدر تأثيره على الفكر السياسي والعسكري لبني هود حيث بدأوا يطمحون في التوسع نحو البحر المتوسط محاولين ابتلاع الدويلات المطلة عليه وذلك من اجل تقوية نفوذهم والوقوف بامكانات اكبر امام اية محاولة صليبية اخرى.



## الخلاصة

لقد توصلت الدراسة الى ان دور الاندلسيين في الانشطة الحربية البحرية كان دوراً كبيراً، كما هو دورهم في قتال أي عدو خارجي على الارض، وقد تتبعنا في دراستنا هذه عن تلك الحملات الهجومية من قبل النورمان ابتداءً من هجومهم الاول سنة 299هـ/ 844م الى اخر هجوم لهم في عام 456هـ/ 1064م. وقد اعطينا نتائج كل حملة من حملاتهم على الاندلس في ثانيا دراستنا هذه، وبيننا مجال تنظيماتهم الحربية ومدى العناية بالسواحل الاندلسية، اما اهم ماتوصلنا اليه فهو التأكيد على ان الماضي هو درسنا البليغ للحاضر والمستقبل وتاريخ الاندلس احد اهم عناوين الدروس الرائعة في التاريخ العربي الاسلامي. اذ لازالت الغايات والاهداف واحدة في نفوس اعدائنا اذ يمكن اعادة صنع تاريخي عربي اسلامي مجيد من قبل العرب ممكن ومتاح رغم كل التحديات التي تبدو فمن يستطيع ان يكذب التاريخ؟

## الهوامش

- (1) عنان، محمد عبدالله، دولة الاسلام في الاندلس، (القاهرة، 1969)، ص 227، عاشور، سعيد عبد الفتاح، تاريخ اوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، (بيروت، 1972)، ص 175.
- (2) ابن حيان، ابو مروان حيان بن خلف المقتبس في اخبار الاندلس، تحقيق: عبدالرحمن علي الحجبي، دار الثقافة، (بيروت، 1965)، ص 250، الحجبي، الحضارة الاسلامية في الاندلس، (بيروت، 1969)، ص 46.
- (3) الحجبي، عبدالرحمن علي، اندلسيات، المجموعة الثانية، (بيروت، 1969)، ص 67.
- (4) ابن الابار، ابو عبدالله محمد بن عبدالله، الحلة السيرة، تح: حسين مؤنس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة النشر، (القاهرة، 1963)، ج 2، ص 372، العذري ابن الدلائي، احمد بن عمر بن انس، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك (نشر بعنوان عن نصوص عن الأندلس)، تح: عبدالعزيز الاهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد (مدريد، 1969)، ص 31، ابن سعيد المغربي، علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، (القاهرة، 1953)، ج 1، ص 49، ابن عذاري المراكشي، ابو العباس احمد بن محمد، البيان المغرب اخبار الاندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان، وأ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، (بيروت، 1980)، ص 138، المقري، شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني، نفخ الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تح: د. احسان عباس، دار صادر (بيروت 1388هـ-1968)، ج 1، ص 167، ج 2، ص 257.
- (5) عاشور، تاريخ اوروبا، ص 135.
- (6) الكبيسي، خليل ابراهيم، غزوات النورمانيين في عصر الامارة، مجلة المؤرخ العربي، العدد 40، لسنة 1989، ص 150.
- (7) الشيخ، محمد مرسي، دولة الفرنجة وعلاقتها بالامويين في الاندلس - اواخر القرن العاشر الميلادي، مؤسسة دار الثقافة الجامعية، (بلا مكان طبع، 1981)، ص 12.
- (8) الشعراوي، احمد ابراهيم، الامويون امراء الاندلس الاول، دار النهضة العربية، (القاهرة، 1969)، ص 318.
- (9) ينظر: ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال

- للطباعة والنشر، (بيروت، 1979)، ج4، ص248؛ ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي كرم، الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت، 1965)، ج7، ص58.
- (10) للتفاصيل راجع عاشور، اوروبا العصور الوسطى، ج1، ص210.
- (11) فشر، أ. ل، تاريخ اوروبا (العصور الوسطى)، ترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور السيد الباز العريبي، (القاهرة، 1969)، ص113.
- (12) ابن القوطية، ابو بكر محمد بن عمر القرطبي، تاريخ افتتاح الاندلس، تح: عبد الله انيس الطباع، دار النشر للجامعيين، (بيروت، 1957)، ص66.
- (13) نوف، سمير، تاريخ الكنيسة المسيحية، (بيروت، 1989)، ص210؛ عمران، محمد سعيد، معالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، (بيروت، 1986)، ص231.
- (14) العذري، نصوص عن الاندلس، ص98؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص130.
- (15) العبادي، احمد مختار، تعليقات على كتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب لابن الخطيب الغرناطي، ص16، هامش (6).
- (16) العذري، نصوص عن الاندلس، ص98..
- (17) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص130.
- (18) ابن القوطية، افتتاح، ص84
- (19) ابن خلدون، العبر، ج2، ص129.
- (20) المصدر نفسه، ج4، ص129.
- (21) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص89.
- \*القبطيل: جزيرة كبيرة مشهورة في مدخل اشبيلية وهي قرية من البحر المحيط ينظر ابن سعيد، المغرب، ج1، ص292 وجاء في الروض المعطار تحت مادة قبطيل بالاندلس، مفرغ وادي اشبيلية في البحر ويعرف أيضا بالعسكر، لانه موضع عسكر فيه المجوس واحتفروا حوله خندق أثره باقي الى الان، ينظر: الحميري، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، جزء منتخب منه نشر بعنوان (صفة جزيرة الاندلس)، نشره: ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1937)، ص150.
- (22) مؤنس، حسين، غارات النورمانيين على الاندلس بين سنتي 229-245هـ، العدد الاول من المجلد الثاني من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ص33.

- (23) ابن القوطية، افتتاح ص 63.
- قورة: وهي قرية صغيرة تقع على ضفة الوادي الكبير جنوب اشبيلة ينظر العذري، نصوص عن الاندلس، ص 174.
- (24) ابن الاثير الكامل، ج 7، ص 16.
- (25) سالم، السيد عبدالعزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف، (لبنان، 1962)، ص 235، الصوفي، خالد، تاريخ العرب في اسبانيا، تاريخ العرب في اسبانيا، نهاية الخلافة الاموية في الاندلس، منشورات مكتبة دار الشرق، (حلب، 1963)، ص 31.
- (26) العذري، نصوص عن الاندلس، ص 99، ابن عذارى، البيان المغرب، ج 2، ص 131.
- (27) الكبيسي، غزوات النورمان، ص 150.
- (28) مؤنس، غارات، ص 33.
- (29) العذري، نصوص عن الاندلس، ص 99، قارن: ابن الاثير، الكامل، ج 7، ص 16، ابن عذارى، البيان المغرب، ج 2، ص 130.
- (30) النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب، نهاية الارب في فنون الادب،، تح: محمد رفعت فتح الله، المكتبة العربية، (القاهرة، 1975)، ج 22، ص 48.
- (31) المغرب، ج 1، ص 49.
- (32) العذري، نصوص عن الاندلس، ص 100، سالم، عبد العزيز، تاريخ المسلمين، ص 236.
- (33) مؤنس، غارات، ص 34.
- (34) افتتاح، ص 66.
- (35) المغرب، ج 1، ص 49.
- (36) ابن عذارى، البيان المغرب، ج 1، ص 82.
- (37) العذري، نصوص عن الاندلس، ص 99؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج 2، ص 131.
- (38) افتتاح ص 84.
- (39) الحجبي، التاريخ الاندلسي، ص 228.
- (40) مؤنس، غارات، ص 34.

- (41) انظر ابن القوطية، افتتاح، ص95، ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص26، ويسميه ابن عذارى عيسى بن سعيد، البيان، ج2، ص130.
- (42) ابن عذارى، البيان، ج2، ص130.
- (43) الكبيسي، غزوات، ص151.
- (44) العذري، نصوص عن الاندلس، ص99، ابن الاثير، الكامل، ج7، ص17، ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص130، التويري، نهاية الارب، ج22، ص49.
- (45) العذري، نصوص عن الاندلس، ص99.
- (46) ابن القوطية، افتتاح، ص85.
- (47) المصدر نفسه، ص86.
- (48) نصوص عن الاندلس، ص99-100. ثم انظر ابن الاثير، الكامل، ج7، ص17.
- (49) البيان المغرب، ج2، ص88.
- (50) ابن الاثير، الكامل، ج7، ص17.
- (51) العذري، نصوص عن الاندلس، ص100.
- (52) المصدر نفسه، ص100.
- (53) ابن الاثير، الكامل/ ج7، ص17، المقرئ، نفح الطيب، ج1، ص246.
- (54) الحميري، الروض المعطار ص449، الشعراوي، الامويون، ص318.
- (55) ابن عذارى، البيان، ج2، ص88.
- (56) ابن خلدون، العبر، ج4، ص129.
- (57) افتتاح، ص86.
- (58) المقتبس، تحقيق الحجى، ص244.
- (59) ابن القوطية، افتتاح، ص86-87.
- (60) البكري، جغرافية الاندلس واوربا، ص112.
- (61) مؤنس، غارات، ص41.
- (62) العبادي، المغرب والاندلس، ص150.



- (63) افتتاح، ص 88.
- (64) مؤنس، غارات، ص 151.
- (65) سالم والعبادي، تاريخ البحرية، ص 160، العبادي، عبد الحميد، مجمل، ص 110.
- (66) المقتبس، تحقيق مكّي، ص 2، ابن عذاري، البيان، 2/ 89.
- (67) باربر، فيفل، أثر القوة البحرية، صحيفة معهد الدراسات، مج 14، ص 317.
- (68) ابن دحية الكلبي البلنسي، المطرب من اشعار المغرب، تح: الابياري وآخرون، المطبعة الاميرية، (القاهرة، 1955)، ص 138-146.
- (69) الضبي، احمد بن يحيى، بغية الملتبس في تاريخ رجال اهل الأندلس، مطبعة روخس، (مدريد، 1884)، ص 485؛ الحميدي، ابي عبدالله محمد بن ابي نصر فتوح بن عبدالله، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الاندلس، (الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966)، ص 374.
- (70) المطرب في اسفار اهل المغرب، ص 138 ومايليها.
- (71) بروفنسال، ليفي، الاسلام في المغرب والاندلس، ترجمة السيد عبدالعزيز سالم ومحمد صلاح الدين حامي، (القاهرة، 1956)، ص 112.
- (72) للتفاصيل تنظر: مؤنس، غارات، ص 42-62، البنداق، محمد صالح، يحيى بن الحكم الغزال، (بيروت، 1979)، ص 93-161. ثم انظر: عنان، دولة الاسلام، 28؛ الحجّي، التاريخ الاندلسي، ص 233.
- (73) ابن عذاري، البيان المغرب، ج 2، ص 145؛ الحجّي، الحضارة الاسلامية، ص 49.
- (74) بروفنسال، الاسلام، ص 112.
- (75) العذري، نصوص عن الاندلس، ص 118؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 130، ا؛ المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 328.
- (76) ابن القوطية، افتتاح، ص 88، سبيل، اخبار امم المجوس، ص 4.
- (77) مؤنس، غارات، ص 64-65، العبادي، احمد مختار وسالم، السيد عبدالعزيز، تاريخ البحرية الاسلامية في البحر الابيض المتوسط، دار النهضة العربية، (مصر د. ت)، ص 162.
- (78) المقتبس، تحقيق مكّي، ص 307-308.
- (79) البيان، ج 2، ص 99.

- (80) العذري، نصوص عن الاندلس، ص31.
- (81) عنان، دولة الاسلام، ج1، ص242، الشيخ، دولة الافرنجة، ص102.
- (82) الغراب: سفينة من سفن البحر القوية، ينظر: ش م، تعليقات على كتاب ابن ابي الدينار، ابو عبدالله محمد بن ابي القاسم الرعيني، المؤنس في اخبار افريقية وتونس، تح وتعليق: محمد شمام، مطبعة 20 مارس، (تونس، 1387هـ-1967م)، ص100 هامش (1).
- (83) ابن ابي الدينار، المؤنس، ص99.
- (84) المقتبس، تحقيق مكّي، ص307-308.
- (85) تاريخ افتتاح، ص88.
- (86) المصدر نفسه، ص88.
- (87) المقتبس، تحقيق مكّي، ص308.
- (88) الحميري، الروض المعطار، ص63.
- (89) مؤنس، غارات، ص69، سالم والعبادي، تاريخ البحرية، ص164.
- (90) المقتبس، تحقيق مكّي، ص308.
- (91) المقتبس، تحقيق مكّي، ص309، العذري، نصوص عن الاندلس، ص119.
- (92) المصدر نفسه، ص309، المصدر نفسه، ص119.
- (93) الكبيسي، غزوات، ص151.
- (94) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكّي، ص308.
- (95) نصوص عن الاندلس، ص109.
- (96) المقتبس، تحقيق مكّي، ج2، ص311-312.
- (97) العذري، نصوص عن الاندلس، ص119.
- (98) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكّي، ص310. قارن: ابن القوطية، افتتاح، ص88، ابن عذاري البيان المغرب، ج2، ص145.
- (99) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكّي، ص311-312.
- (100) المصدر نفسه، ص311.
- (101) العذري، نصوص عن الاندلس، ص119.

- (102) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص310. قارن:ابن القوطية، افتتاح، ص88، ابن عذاري البيان المغرب، ج2، ص145.
- (103) العذري، نصوص عن الاندلس، ص119.
- (104) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص311-312.
- (105) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص145..
- (106) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص312.
- (107) العذري، نصوص عن الاندلس، ص119.
- (108) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص311، العذري، نصوص عن الاندلس، ص119
- (109) مكى، تعليقات على كتاب المقتبس لابن حيان، ص63، الكبيسي، غزوات، ص153.
- (110) وهي البحيرة الصغيرة الواقعة غرب الجزيرة الخضراء. انظر: مكى، تعليقات على كتاب المقتبس لابن حيان، ص63.
- (111) المقتبس: تحقيق مكى، ص311.
- (112) البيان المغرب، ج2، ص238-239.
- (113) ابن الخطيب الغرناطي، لسان الدين محمد، اعمال الاعلام في من بويق قبل الاحتلال من ملوك الاسلام، نشر أ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، (بيروت، 1965)، ص41-42.
- (114) ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة في اخبار غرناطة، تح: محمد عبدالله عنان، دار المعارف، (القاهرة، 1973)، ج1، ص478-479.
- (115) البيان المغرب، ج2، ص236.
- (116) ابن خلدون، العبر، مج4، ص314، قارن مع المقري، نفع الطيب، ج1، ص383-384.
- (117) المقتبس، تحقيق الحجى، ص23-24.
- (118) المصدر نفسه، ص27.
- (119) المصدر نفسه، ص28.
- (120) عنان، دولة الاسلام في الأندلس، ج2، ص687.
- ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجى، ص58.
- (122) المصدر نفسه، ص78.

- (123) المصدر نفسه، ص 91-93.
- (124) المصدر نفسه، ص 81.
- (125) سالم والعبادي، تاريخ البحرية، ص 47.
- (126) طه، عبد الواحد ذنون، دراسات اندلسية، مطابع جامعة الموصل، (الموصل، 1986)، ص 71.
- (127) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحججي، ص 219.
- (128) البكري، ابو عبدالله عبدالعزيز، جغرافية الأندلس واوروبا من كتاب المسالك والممالك، تح: عبدالرحمن علي الحججي، دار الارشاد، (بيروت، 1968)، ص 92-94؛ ابن بسام الشنتري، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، 1979)، والقسم الثاني، المجلد الاول، تح: الدكتور لطفي عبدالبديع، (القاهرة 1975)، مج 1، ج 5، ص 181، ابن الكردبوس، عبدالملك، قطعة من كتاب الاكتفاء في اخبار الخلفاء (تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط) تح: احمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية (مريد، 1971)، ص 71-73.
- (129) الحميري، الروض المعطار، ص 40.
- (130) الذخيرة، ق 3، مج 1، ج 5، ص 181.
- (131) المصدر نفسه، ق 3، مج 1، ج 5، ص 181..
- (132) عنان، محمد عبدالله، دول الطوائف، (القاهرة، 12969)، ص 264، بروفسنال، ليفي، حضارة العرب في الاندلس، ترجمة ذاوقان قرقوط، (بيروت، بلا. ت)، ص 124.
- (133) البكري، المسالك والممالك، ص 93، وهامش رقم (1)، ابن بسام الذخيرة، ق 3، مج 1، ج 5، ص 181، ابن عذاري، البيان المغرب، ج 3، ص 225.
- (134) دوزي، رينهارت، ملوك الطوائف، ترجمة كامل كيلاني، (القاهرة، 12933)، ص 177.
- (135) اسمه البيطين من الرواية العربية، انظر: البكري، المسالك والممالك، ص 93، ابن عذاري، البيان المغرب، ج 3، ص 225، الحميري، الروض المعطار، ص 90، واختلفت الرواية الاوربية حول اسمه. انظر حول ذلك هامش رقم (2) من كتاب ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس، ص 69-70.
- (136) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج 10، ص 142.
- (137) ابن بسام، الذخيرة، ق 3، مج 1، ج 5، ص 182.

- (138) البكري، المسالك والممالك، ص 94؛ الحميري، الروض المعطار، ص 90-91.
- (139) ابن بسام، الذخيرة، ق 3، مج 1، ج 5، ص 186.
- (140) المصدر نفسه، ص 188.
- (141) انظر ترجمته وقصيدته: ابن سعيد المغربي، علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، (القاهرة، 1953)، ج 2، ص 21.
- (142) انظر ترجمته الحميدي، جذوة المقتبس، ص 268، ابن بشكوال، الصلة، ق 1، ص 279؛ ابن سعيد، المغرب، ج 2، ص 402، ابن بسام، الذخيرة، ق 1، مج 1، ج 5، ص 173-175.
- (143) الحجري، التاريخ الاندلسي، ص 361.
- (144) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص 73.
- (145) ابن بسام، الذخيرة، ق 3، مج 1، ج 5، ص 190.
- (146) ابن عذاري، البيان المغرب، ج 3، ص 2127.
- (147) حاول المستشرق دوزي ان يقلل من اهمية الانتصار الذي حققه المسلمون من استرجاعهم لبربشتر حين وصف الحامية الصليبية التي بقيت بالمدينة ضعيفة، بينما ذكر ابن عذاري ان قوة الحامية بلغت الف فارس واربعة الاف رجل وذكر ابن بسام ان قائد الحملة الصليبية ترك في بربرشتر من رابطة ضئيلة الف وخمسمائة ومن الرحالة الفين: انظر: ص 226، الذخيرة، ق 3، مج 1، ج 5، ص 186.
- (148) قارن ياقوت الحموي الذي يشير واهما الى ان سيطرة العدو على بربرشتر دامت خمس سنوات، معجم البلدان، (بيروت، 1956-1957)، مج 1، ص 370.
- (149) البكري، المسالك والممالك، ص 95، الحميري، الروض المعطار، ص 91، بينما يذكر ابن الخطيب انه نال هذا اللقب بعد انتصاره على اخيه يوسف المظفر. اعمال الاعلام، ص 171.





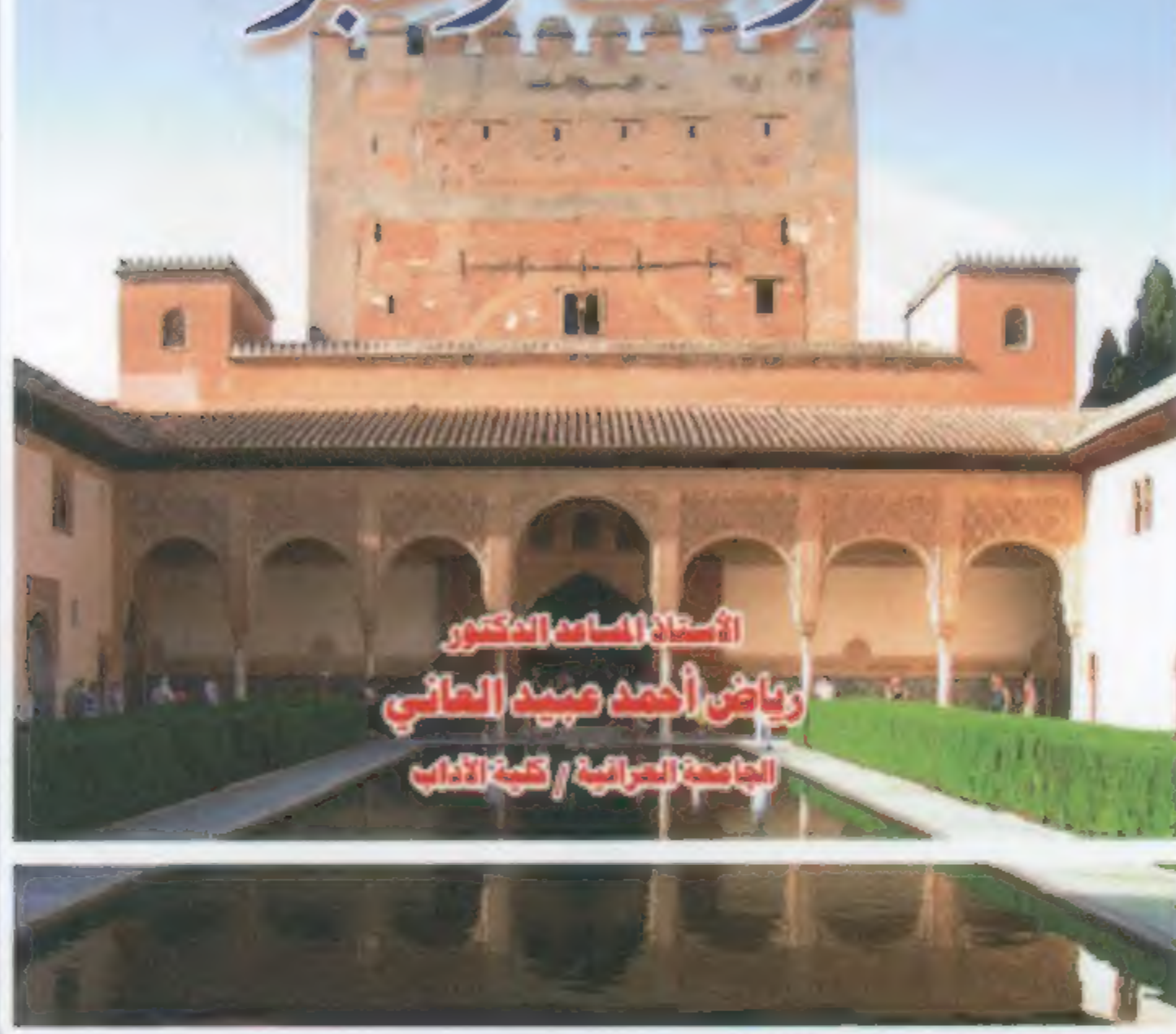






# التاريخ الأندلسي

## مواقف وعبر



أستاذ المساء الدكتور  
رياض أحمد عبيد العاني  
الجامعة العراقية / كلية الآداب

Bibliotheca Alexandrina



1503972



9 789957 714710

### دار دجلة

ناشرون وموزعون



عمان - شارع الملك حسين - مجمع الفحيح التجاري

تلفاكس: +96264647550 خلوي: +962795265767

ص ب: 712773 عمان 11171 الأردن

E-mail: dardjlah@yahoo.com

www.dardjlah.com

جميع كتبنا متوفرة لدى



designed by  
M. Khudair